

ردّ على كتاب

"إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح" لـ أحمد زكي

أ. جوزف قزّي

نسبيه ١٩٩٧

هويّة الكتاب

إسم المؤلِّف : أ. **جوزف قزّي**

إسم الكتاب: **نَزَعْنَا القناعَ**

نُشِــرَ في : **نِسْبَيْه سنة ١٩٩٧**

قياســـه : **٢٤×١٧ سم**

صفحـاته : **٣٥٢ صفحة**

تصنيـفه : ردّ على كـتاب "**إنزعوا قناعَ بولس عن وجـه المسيح**"، لـ أحمـد زكي؛ توزيع دار الحداثة للطباعة والنّشــر والتوزيع؛ بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥؛ (١٧×٢٤ سم)؛ ٩٠٨ صفحات.

مُقَدِّمَاتٌ عَامَّة

المقدّمة الاولى

التعريف بكتاب
"إنزعوا قناعَ بولس عن وجه المسيح"
لمؤلّفه احمد زكي

على غلاف الكتاب صورةٌ لرأس المسيح، طويل الشـعر، ذي شاربَين ولحية، وعينَين بائسـتَين، وجبهـة عريضة، وفم مطبق، بادٍ عليـه الأسى، ضمن قناع، هو، طبعـاً، قناع بولس الرسول، وفي سجن نجـمة داود، رمز الصهـيونيّة، مسـدّسة الزوايا، كُتب فـي كلّ زاويةٍ منها كلمة مـن كلمات هذه الجملة: "المـسيح المخلّص يحتـاج إليك لكي تخلّصه". والكلّ ضـمن ثعبـانَين متلاقـيَي الذنَبَين ومعـقودَي الرأسَين، ينفثان سـمًا. وفي أسفل الغلاف آية من الإنجيل: "أيّهـا الحيّات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنّم" (متى٢٣/٣٣).

وفي الصـورة أيضاً تبرز يـدان، هما، بدون شكٍّ، يدا السـيّد أحـمد زكي، تمزّقان القناع، وتكشفـان عن وجه المسيح الحقيقي.. وفي العـمق يظهر جزء من

خريطة العالم الذي، بلونه الأخـضـر، تبدو عليه علامـة انتظار، أي انتظار المَسِيّا، النّبيّ القادم، الذي هو محمّد نبيّ المسلمين...



غلاف كتاب أحمد زكي

الكتاب توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة أولى ١٩٩٥؛ قياس (٧٠×١٠٠)؛ ٩٠٨ صفحات. وجاء على رأس الصفحة ٢: "إنّ الآراء الواردة في هذه الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن آراء تتبنّاها دار الحداثة. وإيمانا منّا بحريّة الكلمة، قمنا بطبع هذا الكتاب".

إلاّ أنّ "دار الحداثة" طبعت هذا الكتاب، وقامت بتوزيعه، وعبّرت، في طبعه وتوزيعه، عن آرائها، واستفادت من الحرّيّة في لبنان، وسهّلت للسيّد أحمد زكي، أردنيّ الجنسيّة، بسماح من الحكومة السعوديّة، بطباعة هذا الكتاب، وتمويله، ونشره، وتوزيعه.. فهي، بهذا، وبالرغم من إعلانها عدم مسؤوليّتها، لا تستطيع التهرّب من أيّة مسؤوليّة.

يتألّف الكتاب، من مقدّمة صغيرة عنوانها "**هذا الكتاب**"، من صفحتَين ونصف الصفحة (٥–٧)، ومن جزءَين غير متوازيين:

الجزء الأوّل، بدون عنوان، (٨–١٨٦). فيه إثنا عشر فصلاً. يتناولُ مفهوم الوحي، ومصادره الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن، وأصالته. كما يتناول رسالة عيسى الحقيقيّة، بنظرالمؤلّف طبعا. ثم المؤامرة على هذه الرسالة، والخروج عليها. ثم الكلام على الكنيسة وسلطانها في فرض ما فرضته . ثمّ نظريّة القرآن في المسيح. ويعود، بعد ذلك، إلى الكنيسة التي تآمرت على المسيح، وإلى شاؤول، أي القديس بولس، "ألدّ أعداء المسيح"...

أمّا **الجزء الثاني**، (١٨٧–٩٠٣)، فهو تحت عنوان "تفسير إنجيل متّى"، يعالج المؤلّف إنجيلَ متّى، إصحاحاً فإصحاحاً، وآيةً فآيةً. وهو من ثمانية

وعشرين إصحاحاً. وكلّها بدون عناوين رئيسيّة، أو عناوين فرعيّة.

وفي الكتاب أيضاً ٣٩ مرجعاً في فصل "المراجع العربيّة" (٩٠٤-٩٠٥)، و٨ مراجع في فصل "المراجع الإنكليزيّة" (٩٠٦). نشير هنا إلى أنّه لا يوجد أي تعريف كامل بأيّ مرجع. فالمؤلّف لا يذكر عادة، لا دار النشر، ولا التاريخ، ولا الطبعة التي يعتمدها، ولا عدد الصفحات، ولا القياس.. وحتّى نسخة الأناجيل التي يعالجها لا نعرف عنها شيئاً دقيقاً.

وأخيرا "ألفهرس" (٩٠٧-٩٠٨)، وهو مختصر جدّا، لا يدلّ على أيّ موضوع يرغب القارئ الاستدلال عليه. غير أنّنا نجد على الصفحة الأخيرة من الغلاف مختصراً شيّقاً للمواضيع الأساسيّة الشائكة التي عالجها الكتاب في كلّ صفحة من صفحاته تقريبا. وهي خمسة عشر موضوعا، تحت عنوان "إقرأ في هذا الكتاب". وسنذكرها بالتفصيل في المقدّمة الثالثة، لأنّها تشكّل أهداف الكاتب الحقيقيّة من كتابه.

وإذا كانت صفحات الكتاب ٩٠٨ صفحات، فهي في الحقيقة تقدّر، إن اعتمدنا المقاييسَ المتعارف عليها في الطباعة، بحوالَي ألفَي صفحة. فسطر الكتاب من ١٣,٥٠ بدل ١١,٥٠؛ والصفحة ٣٢ سطراً بدل ٢٢؛ والعناوين ضمن النصّ تكاد تكونُ مفقودة؛ والفسحات بين المقاطع غير موجودة.. إنّه فعلاً كتاب ضخم، في حروف صغيرة، يقتضي لقارئه صبر وجلَد، وأن يكون حامل رسالة الحقيقة مهما كانت السبلُ إليها صعبة.

***

المقدّمة الثانية

أهداف السيّد أحمد زكي

يظهر هدف الكاتب من خلال الموضوعات الخمسة عشر التي أظهرها على الصفحة الأخيرة من غلاف كتابه. وهي:

١- رسالة الله واحدة لكل البشر.

٢- مفتاح الجنّة والخلاص الأبدي: الإيمان بالله الواحد.

٣- المسيح جاء بالوحدانيّة المطلقة.

٤- الله واحد وليس ثالوثاً.

٥- الثالوث من اختراع اليهوديّة العالميّة القديمة.

٦- بولس خائن وعدوّ المسيح الأوّل، ودينه ليس دين المسيح.

٧- التوراة والأناجيل محرّفة.

٨- التلاميذ لم يكتبوا الأناجيل.

٩- الأناجيل ليست وحياً ولا إلهاماً.

١٠- المسيح لم يولد في ٢٥ ديسمبر والاحتفال بعيده أكذوبة.

١١- المسيح لم يُقتل، لا صلباً ولا رجماً.

١٢- يهوذا لم يخن المسيح.

١٣- مسيحيّة اليوم مقتبسة من الوثنيّة.

١٤- سبب عداء اليهود للمسلمين حتى اليوم.

١٥- محمّد هو "النبيّ المنتظر" الذي كان ينتظره اليهود...

وثمّة هدف آخر يصرّح به السيّد زكي في كتابه، وقد قال بأنّه عانى وتعب واهتمّ من أجله، وهو "واجب" عليه، في "مساعدة المسيحيّين والأخذ بأيديهم لاسترداد أماكنهم في الجنّة" (٢٥٨)، التي حرمهم منها اليهود.

وقال أيضاً: "أعزّائي القرّاء! قلنا إنّ واجبنا في هذا الكتاب هو تخليص أكبر عدد ممكن من الأنفس البريئة المضلّلة... واللهِ!.. لا يهمّنا إلاّ خلاص أرواحكم وأنفسكم" (٦٣٩).

وفي مكان آخر، تصريح آخر بأنّه يريد تخليص المسيح من قبضة شاؤول والمجامع الكنسيّة. يقول: "إنّ الهدفَ كلّه من هذا الكتاب هو تخليص المسيح من براثن شاؤول والمجمّعات الكنسيّة اليهوديّة الوثنيّة، ونزع جميع الأقنعة التي غطّوا بها وجهَه بالضغط والإكراه" (٧٠٩).

وفي مكان آخر أيضاً، يقول: "إنّ واجبَنا الأوّل من هذا الكتاب هو إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأرواح المضلّلة بالمزاعم الشاؤوليّة الكنسيّة لنجنّبَها النارَ ما أمكننا..." (٧٧٦).

وأيضا يقول في مكان آخر: "وقد آلينا على أنفسنا أن نكشف الحقيقة، كلَّ الحقيقة، لجميع الذين ضلّلهم شاؤول والمجمّعات الكنسيّة بهذه الأناجيل، ونحرّرهم ممّا هم فيه من أوهام وضلال.." (٧٩٨).

ومرّة أخرى، يقول: "ونحن قد آلينا على أنفسنا، في هذا الكتاب، كما

وعدناك، أن ننزع قناعَ شاؤول، ومعه جميع أقنعة المجامع الكنسيّة اليهوديّة الوثنيّة، التي غطّوا بها وجهَ المسيح عبرَ العصور، لنخلّصَ المسيحَ ودينَ المسيح من جميع الشوائب والمخازي التي ألصقوها به وبتلاميذه.. " (٨٣١).

وأخيرا، لا آخرا، يقول: " قلنا ونقول: إنّ هدفَنا من هذا الكتاب هو نزع الخشبة التي غرسَها شاؤول والمجمّعات الكنسيّة من بعده في عيونهم.. من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذُه من أرواحهم البريئة المضلّلة، ليستعيدوا أماكنهم في الجنّة، وذلك عن طريق كشف الحقيقة، كلّ الحقيقة، لهم.. " (٨٤٤).

***

المقدّمة الثالثة

أسلوب السيّد زكي في كتابه

يعذرنا القارئ إن لم يكن بوسعنا تعيين الصفحات والأسطر التي تزخر ببعض التعابير والألفاظ غير المستساغة في الكتابة والنقد. فهي، ونرجو أن يصدّقنا القارئ، موجودة في كلّ صفحة، إن لم نقل في كلّ سطر..

وهذه بعض عيّنات من بعض الألفاظ والتعابير:

فـالسيّـد زكي لا يبرح يردّد عن مـتّى صـاحب الإنجيل الأوّل، بأنّه "مـتّى المزيّف" و"متّى المزعـوم". وتكرّ سبـحةُ الشتـائم، مثل "التزيـيف، والتدليس، والتناقضات، والتـحريف، والتخريف، والخبص، والتـزوير، والمسخ، والتضليل، والتحـالف مع الشيطـان، والكذب المكشوف، والأضـاليل، والخرق والتـخريق، والغشّ والبهلونيّات، والـهراء، والفضائح، والحيلة العـرجاء، والنبوءات الكاذبة، والفبـركة المضحكة، القسـاوسة الجهلة، السذّج، السـطحيّين، المضلّلين المضلّين، أصحـاب السكر والعربدة، والعـشيقـات والخليلات.. ومن ذلك قـوله أيضاً عن الأناجيل، أنّها خبيصة، مشحونة بالكذب والدسائس، والكلام الهذر..

ومع هذا، لا نلوم السيّد أحـمد زكي كثيراً على هـذا الأسلوب العنيف. فهو، إن دلّ على شيء فهو يدلّ على أمرين:

ألأمر الأوّل: حمـاس صاحبه لـقضيّتـه التي يدافع عنها؛ أي أنّ أسلوبه هو تعبير أمين وصادق عن إيمانه وعقيدته الأسلاميّة، التي يريد دعوةَ الناس إليها .

ألأمر الثاني: إظهار ضلال المسيحيّين كافّة، ودعوتهم إلى الإيمان الحقّ، كما رأينا منذ حين، وذلك بإسلوب غـير علـميّ لما فيـه من ألفاظ وتعـابير يريد منـها الكاتب إظهار فساد المعتقد المسيحي برمّته. وهو غير جائز في الكتابة العلميّة.

***

المقدّمة الرابعة

منهجنا في الردّ

أوّلا- لن يكون ردّنا متتبّعا فصول الكتـاب فصلا فصلا، أو مقطعا مقطعا. ولو قصـدنا ذلك، لاضطررنا نقلَ نصوص العـهدَين القديم والجـديد، ونصوص الكتاب الـذي هو موضوع ردّنا والردّ. أي لتـخطّت صفـحاتُ الردّ عـشرة آلاف صفحة.. لهذا فإنّنا نتتبّعُ الكتابَ بحسب مواضيعه، لا بحسب فصوله.

ثانيا- لقد اعتمدنا هذه المنهجيّة تحاشيا للتكرار والترداد اللذين وقع فيهما الكاتب. وهما حقّا مدعاة للمَلل والتعب. وكم هي كثيرة ومملّة!

ثالثا- ولكي تكون نظريّة الكاتب واضـحة، اضطُررنا أحيانا إلى نقلهـا كما هي، وأحيانا إلى اختصار مضمونها... وأردنا ذلك حتى يكون القارئ على اطّلاع واف بمضـمون الكتـاب وبمقصـود المؤلف. خصـوصاً وإنّ المركـز الكاثوليكي للإعلام طالب -بغير حقّ- السلطات الرسميّة منعَ توزيع الكتاب.

رابعا- إنّنا نلفتُ نـظرَ القارئ بأنّه لن يجدَ دائمـاً ردّاً مباشـراً، بل سيكون ردُّنا انطلاقا من المبادئ العامّة التي ترتكز عليهـا المسيحيّة، والتي تختلفُ جذريّا عن مبـادئ المؤلّف الإسلاميّـة. ولسنا، في كلّ حال، في مجـال المفاضلة بين دين

ودين، أو بين موضـوعات الإيمان المخـتلفة، أو بين وحي ووحي، أو بين حـقيـقة وأخرى. يعنينا منطقُ البحث والتأليف أكثر ممّا يعنينا الحقّ الذي يُقنع صاحبَه.

خامـسا- إلاّ أنّنا سنعتمـد الردّ المباشر على مـقدّمة الكتـاب، وعلى الفصل الأوّل من الجزء الأوّل؛ وذلك لسبَـبَين: ١- لأنّ موضوع مقدّمـة الكتاب والفصل الأوّل من الجزء الأوّل مسـتقلاّن عن سائر مواضيع الكتـاب وفصوله. ٢- لكي نلفت نظرالقارئ، بتوقّفنا هذا، إلى منطق الكتاب ومؤلّفِه منذ بداية الطريق.

سادسا- ونرجو ألاّ يخطر في بال أحد بأننا نقوم، في ردّنا هذا، بالدفاع عن اللّه، أو عن المسـيحـيّـة، والكنيـسة، وبولس الرسـول، والقـيم..، أو بالطعن في معتقدات السيّد أحمد زكي، ومن خلاله، بالمسلمين، ونبيّهم، وكتابهم، وتعاليمهم... إنّنا نقوم، وفي همّنا ذلك، ببحث علمي، وبإداء الأمـانة، بصدق وإخلاص مع ذاتنا ومع الناس...

ولكن، لا بدّ لنا من الإشـارة إلى ما قصـده المركز الكاثوليكـي للإعلام في طلبه منع الكتاب من الـتداول، فهو واضح: الحفاظ على الـتعايش الوطني الهشّ بين الطوائف والأديان في لبنان. لقد فوّت المركـز الكاثوليكي للإعلام، بهذا المنع، فرصةً حقـيقيّة للردّ، ولإعلان ما به يؤمن. وإذا كان المركـز هذا لا يودّ الاستفادةَ من هذه المناسبة، ليشهدَ لإيمانه، فإنّ سواه ممّن يؤمن يريد هذه الشهادة.

واختيـارنا عنوانَ كتابنا: "نَزَعْنَا القِنَاعَ" نَقـصِد به ردوداً ثلاثة: ردّاً على كـتاب السـيّد أحـمـد زكيّ : "إنزعوا قناعَ بولـس عن وجه المسـيح"، وردّاً على تخـاذل المركز الكاثوليـكي للإعلام، لينزع عنه قـناع التخـاذل، وردّاً على الذين يقفون في وجه حرّيّة الكلمة، لينزعوا عنها وعنهم المخاوف والمحاذير كلّها...

ودعوتنا إلى الجميع لكي ينزعوا عن أعينهم البراقع والأقنعة ليروا وجه المسيح الحقيقي من خلال ضبابيّات كثيفة وضلالات كثيرة. وأقلّهم ضلالا السيّد أحمد زكي، الذي دلّ، في كتابه، على معاناةٍ شخصيّةٍ وهمٍّ كبيرٍ في نشدانِ حقيقةٍ يبحث عنها بغير ملل. ويبدو لي أخيرا أنّ أحدا من المركز المذكور لم يقرأ الكتاب، لأنّ التهمة الموجهّة إلى الكاتب من أنّه يعمل في خدمة اليهود والصهاينة هي تهمة يوجّهها الكاتب نفسه الى المسيحيّين والكنيسة، بما فيهم هذا المركز.

***

المقدّمة الخامسة

تصميم الردّ

لقد وجدنا من المناسب، كما قلنا سابقاً،أن لا نتتبّع الكتابَ بحسب فصوله، لما في ذلك من ترداد. فكان لا بدّ لنا من أن نقتصر على موضوعات الخلاف الأساسيّة.

وعليه تكون موضوعات ردّنا هي التالية:

***

الفصل الأوّل

منطق السيّد أحمد زكي في كتابه

على القارئ أن يعرف، منذ البداية، وقبل الولوج في الموضوعات الأساسيّة، طريقةَ نقد الكاتب للحقائق المسيحيّة، منطقَه، رصانتَه، صحّتَه، أسلوبَه، سخريّتَه، وخفّتَه.. ولقد كان علينا أن نسهّلَ الأمر عليه، ولكنّنا رأينا أن نحمّلَه مسؤوليّةَ الحكم معنا، دون التنازل عن حكمنا وموقفنا اللّذين يظهران عفويّاً في معالجة قضايا إيمانيّة مصيريّة كالتي عالجها السيّد زكي.

فإلى القارئ عيّنات من منطق السيّد زكي:

على أعجوبة المسيح في **عرس قانا الجليل،** حيث "أنّ عيسى حوّل ستة أجران مليئة بالماء إلى خمر"(يوحنا ٢/١-١٠)، يعلّق السيد زكي:

"لا شكّ أنّ مَن دسّ هذه المعجزة المزعومة على نبيّ اللّه هو قسّيس وثني سكّير مولعٌ بالخمر المعتّق والولائم.. كيف يزعم هذا القسّيس المترنّحُ أنّ المسيحَ شتَم أمّه في العرس أمام الجميع قائلا لها: "ما لي ولكِ يا امرأة؟".. هل نسيَ هذا القسّيس السكّيرُ أنّ هذه الامرأة هي أمّه؟.. لا شكّ أن هذا السكّير الذي تفوح رائحةُ الخمر من فمه يهذي، ولم يفتح التوراة والإنجيل، ولو مرّة واحدة في حياته ليقرأ قول اللّه: أكرمْ أباكَ وأمّكَ.. لأنّ هذا القسّيس وثنيٌّ مندسٌّ بين

المسيحيّين، لا يعرف المسيحَ ولا إلهَ المسيح. وكلّ ما عرفه من دين شاؤول كان ما يملأ به جوفَه ويذهب به عقله.. " (٢٧٢).

نسأل السيّد زكي:

هل حقّاً "شتم المسيح أمّه بهذا الكلام!" وهل حقّاً هي قصة قسّيس سكّير عربيد مولع بالأكل والشرب! وهل حقّاً هو قسّيس لم يقرأ التوراة!.. إنّه في الحقيقة كلام بعيد جدّاً عن العلم والرصانة والمسؤوليّة...

وعلى قول التلميذ للمسيح: "إئذن لي سيّدي أن أذهب وأدفن أبي. قال له يسوع: **دع الموتى يدفنون موتاهم**" (متى ٨/٢١-٢٢)، يعلّق السيّد زكي:

"أوّلا- نسيَ هذا الكاتبُ الملهم أن يُخبرنَا عن إسم هذا التلميذ المسكين الذي مات والدُه، وحُرم دفنه. وكأنّ ذكر حماة بطرس أهمّ في هذه الأناجيل من ذكر إسم هذا التلميذ. فللّهِ درّه من مؤلّف!

ثانيا- إنّه قولٌ متناقض لقول المسيح: أكرم أباك وأمّك". والمعروف أنّ إكرام الميت دفنه.

ثالثا- .. هل كان المسيح يحمل معه سجلاً للحضور والغياب، ويسجّل فيه مَن حضرَ من تلاميذه ومَن غاب حتى يأتي هذا التلميذ ليستأذنَ منه؟!" (٤٤٧-٤٤٨).

نقول:

ما يستفيد السيّد زكي إنْ ذُكر له إسم التلميذ! وهل حقّاً لم يفهم معنى قول المسيح: "دع الموتى يدفنون موتاهم"! ألا يعلم أنّ المقصود بهذا الكلام بأنّ أبناء هذه الأرض يهتمّون بأمور هذه الدنيا؛ فيما أبناء الملكوت السماوي يهتمّون بأمور

الخلاص! ثمّ هي نكتة من السيّد زكي في مطالبة يسوع بسجلٍّ للتلاميذ...

وعلى أعجوبة **تسكين يسوع العاصفة ونومه في السفينة** (متى ٨/٢٣-٢٧)، يعلّق السيّد زكي، مفصّلاً هذه الأعجوبة، ويقول:

*** دخل يسوعُ السفينةَ ونام:**

يقول: "أنتَ مدعوٌّ عزيزي القارئ لتقرأ النّصَّ مرّة أخرى وثالثة ورابعة، لعلّكَ تستطيع أن تفهم: متى دخل المسيحُ السفينةَ، ومتى نام؟ لأنّي بصراحة قد خانني ذكائي في معرفة متى نام المسيحُ وغطّ في النوم، وهو لم يكد يدخل السفينةَ، كما ذكرَ هذا العبقري!... هل تعلم الكنيسة حقّاً ماذا يحدث للكون لو انّ اللّهَ نام لحظة؟".

*** فتقدّم تلاميذُه وأيقظوه قائلين: يا سيّد.**

يقول: "إذا كانت التلاميذُ تناديه يا سيّد، وإذا كانت الأناجيل تناديه يا سيّد، فبأيِّ حقّ تقول الكنيسةُ لطوائفها إنّه اللّه؟"

*** ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان.**

يقول: "يُستبعَد جدًا أن يصف المسيح تلاميذَه، وهم أقرب المقرّبين إليه، بأنّهم قليلي (كذا) الإيمان؟ ألا يدعو هذا إلى العجب؟ وإذا كان التلاميذُ المقرّبين (كذا) قليلي الإيمان، فكيف، باللّهِ، تكونُ أطقمُ الكنيسة وباقي أفراد الشاؤوليّين؟" (٤٤٩).

*** قام وانتهر الرياحَ.. فتعجّبَ الناس.**

يقول: "الحقيقة نحن الذي يجب أن نتعجّب ونسأل: أي ناس هؤلاء! إنّه لم يذكر أنّ أحداً دخلَ السفينةَ سوى التلاميذ؟!.. انتهر الرياح! هذا تدليس من الكاتب حتى يجعلنا نتعجّب مع الناس ونقول معهم: أيّ إنسان هذا!.. وها هي الناس تقول: أي إنسان هذا؟ ولم يقل أحد أي إله هذا" (٤٤٩-٤٥٠).

نقول:

أن ينام يسوع ويـقوم ويتحـرّك ويأكل ويخاطب الناس.. فـهي أمورٌ تلازمُ الطبيعـةَ البشريّة. ويسوع، مع إيمان المسـيحيّين به إلهاً، التـزمَ هذه المستلزمات البشـريّة. وإلاّ فهـو يخدع البـشر بأنّه أصبـح إنساناً... ثمّ أين العـجب من قول يسوع لتلاميذه بأنّهم "قليلو الإيمان"! في الوقت الذي لم يدركوا بعد قدرة المعلّم على تغيير نظام الطبـيعة، بما فيه تسكين العاصـفة، وتهدئة الأمواج!! وهل يعني المسيح بهـذا التعبـير أنّ تلاميذَه أصـبحوا كـفّاراً مشـركين ملحدين!! أإلى هذه الدرجة أصبح السيّد زكي حسّاساً لمثل هذه الكلمات المحبّبة!!

في أعجوبة **شفـاء مجنونَين** في متى (٨/٢٨-٣٤)، يعلّق السـيد زكي على قول المجنونَين: "ما لنا ولكَ يا يسوع ابن الله!":

* **قالا: ياابنَ الله.**

يعلّق السيّد زكي: "هل قالا إبنَ الله! لا عتبَ عليهما، لأنّهما مجنونان. ولكن، كيف يزعم النـصارى أنّ عيـسى الذي هو الله وابن الله في التجـربة (أي تجربة يسوع في البـرّية) أخفى شخـصيّتَـه عن الشيطان الأكـبر، بينما ها هي صـغار الشياطين كشفته وعرفت أنّه ابن الله؟ ألا يدعو هذا إلى العجب؟!" (٤٥١).

* **فقال (يسوع) لهم (أي للشياطين): امضوا.**

يعلّق السيّد زكي: "لـم يذكر الكاتب الملهَم بأيّ لغة كلّمهم عـيسى! وما هي لغة الـشياطين! أهـي العبريّـة؟ أم الآراميّة؟ أم السـيروكلدانـيّة؟ وهل يجـيدون الفرنسيّـة والإنكليزيّة مثلاً؟.. ثم كـيف عرف الكاتب الهمّام بأنّ الشـياطين قالت لعيسى.. وهل كان صوتُهما (كذا) وقتَها مسموعاً؟

* **أما رعاة الخنازير فهربوا.**

يعلّق السيّـد زكي: "تقول الأناجيل: كلّ المدينة خرجت لملاقـاة يسوع الذي

أتلف هذه الثروة الكبيـرة، وطلبوا منه أن ينصرفَ عن تخومــهم فقط. ألم يهجم عليه أحـد من أصحابها ويوسـعه ضربا؟! لماذا لم يجـرّوه إلى صاحب الخنازير، ويطالبوه بتعويض؟!".

وأخيـراً يقول زكي: إن الشاؤوليّين "حـشدوا هذه الخرافـات في أناجيلهم المقدّسة ليضمنوا دخول أكبر عدد ممكن من العامّة في هذا الدين" (٤٥٢).

نقول نقلاً عن أونجليون:

"في آية تسكين العاصفة يظهر سلطان يسوع وانتصارُه على قوى الطبيعة، وفي آية الممســوسَين (أي المجنونَين) يظهر سلطانُه وانتصارُه النّهـائي على قوى الشــرّ جميـعهـا. ويُعلن في منطقـة وثنيّة أنّه يحـمل الخلاصَ التّـامّ إلى جمـيع الشعوب.

"أمّا مشكلات النّص الأدبـيّة فمتعـدّدة ومعقّدة: قد يحـتوي النّص الحالي على تقاليـد مختلفة، ومصـادر إنجيليّة متنوّعـة. قد لا تكون صلة في الأصل بين شفاء الممســوسَين وقصّة طرد الأبالسة منهما إلى الخنازير، ولكنّ تقليداً شـعبيّاً ربط بينهـما، فنقل الإنجيليّ هذا الرّبـط، ليبيّن بصـورة حسّيّـة انتصـار يسوع الباهر على قوى الشرّ بإدخالها في خنازير، وزجّها في عمق البحيرة".

أمّا اللّغـة التي تكلّمتها الشـياطين فنحن نجهلهـا، كما نجهل تمامـاً قصصَ الشياطين والأبالسة، سوى أنّها أسلوب كان معـتمداً في كتابات الشعوب القديمة وأساليبها العاديّة.

يعلّق السـيّد زكـي على قول المسـيح: "**هل يستطيـع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم؟**" (متى ٩/ ١٥)، فيقول:

إجابة مـضلّلة، لا معنى لها، إذ ما عـلاقة الصوم بالعـرس والعريس والنوح

والبكاء!!!(٤٥٩).

نقول: إنّ التشبيه والاستعارة والمماثلة أنواع أدبيّة صحيحة.

على **إحياء يســوع لابنة رئيس المجمع** (متى ٩/١٨-٢٠و٢٣-٢٦)، يعلّق السيّد زكي:

"لنا سؤالَين (كذا):

ألأوّل: أين كان رئيس المجمع هذا يومَ حوكم المســيح في مجمع السنهدرين الذي عُقد لمحاكمة المسيح في بيت قيافا!؟.

والثاني: مـا الفائدة من تكرار رواية ثلاث مرّات في هذه الأناجـيل الثلاثة. وفي كلّ مـرّة يســرق فـيـهـا الكاتب عن زمـيله، أو يحـرّف بعضَ مـا ســرقــه عنه؟!(٤٦٠-٤٦١).

نقول:

نجيب على الأوّل: هل يرتاحُ الســيّد زكي إذا قلنا له، مثلا، إنّ قـائد المائة قد مات؟ أو مُنع ممّا يطلبُه منه السيّد زكي؟ أو كان خـاضعاً لرؤسائه؟ أو ربّما كان عارفاً بمجريات الأمور، فلا ينفع، بالتالي، أيُّ تدخّلٍ من قِبَلِه؟..

ونجيب على الثاني: أنّ الأناجـيل روايات كتبها فـلان وفلان وفلان. لا هـي تناقضُ حرّيةَ فلان، ولا إلهـامات الروح... وقد يفهم السيّد زكي أكـثر من سواه معنى الـترداد ووجودَه في كـتب الوحي، وأخصّـها القـرآن، حيث أكـثر الأفكار والقضـايا والمعتقدات مـردّدة عشرات المرّات... ويفسّر المسلمون بأنّ اللّهَ في ذلك يشاء تربية الإنسان وتعليمَه والاهتمام به...

وفي كلٍّ حال إنّ الأناجـيلَ، التي هي سيرة المســيح وتعاليمــه، هي ذكريات

رواها فلان وفــلان... وليست هي، كمــا يعتقــد السيــد زكي، كتاباً منزلاً بحــرفه ونصّه من السماء.

على **أعجوبة المرأة المنزوفة** (متى ٩/ ٢٠-٢٣)، يعلّق السيّد زكي:

" نحن لا ننكر شفاء عـيسى للمرضى، ولكن! ليس بهذه الطـريقة المضحكة. صحيح أن الله أيّد عـيسى بمعجزات كثيـرة، لكن لم يؤيّد هدبَ ثوبِه، أو ملابسَه بشيء من هذا...

ثمّ أضاف مرقص (٥/ ٢٦) ولوقا (٨/ ٢٦) على متّى سؤالَ المسيح: " **مَن لَمَس ثيابي، لأنّي علمتُ أنّ قوّةً خرجتْ منّي؟**"، ويعلّق السيّد زكي:

" هراء. لأنّ مـرقص ولوقـا صــوّرا لنا المسيــحَ وكأنّه بطّــاريّة مشــحـونة بالكهرباء، مركّب عليها فولْطْمِيتِـر لقياسِ الشحنة التي خرجت منه. والأكثرُ هراء منه أن يقولوا لنا إنّ ثيــاب المسيح، لا بل هدبَ ثوبه، فيه القــدرة على الشفاء لأنّه يُصْدرُ إشعاعات غيرَ مرئيّة تشفي كلّ مرض مهما كان نوعُه، نزيفا أو غيره... هذا في الوقت الذي كان الناس يزاحمونه، وحتما لَمَسَ ثيابَه عشرات الناس. ولو كان لثيــابه حقّا هذه القــدرة الغريبة على الشــفاء لهجم الجـميعُ عليه، ومـزّقوها عن جســده، واحتفظ كـلّ واحد منهم بقطعة مـنها، وتركوه عـريانا، ولربّما اقــتطعوا أجزاء من جسده في عمليّتهم هذه.

" كيف يزعمون أنّه الله! وأنّ لملابسه هذه القــوّة النادرة العجيبة، وفي نفس الوقت لا يعــرف -وهو إلههم- مَن لمسَ ثوبَه من الخلف على بعـد أقلّ من نصف متراً (كذا)؟ وهل يمكن لمن لا يعرف مَن لمسَ ثوبَه من الخلف على بعد نصف متر أن يعرف ماذا كان يجري في إيطاليا أو فرنسا أو اليابان أو البرازيل، ليحاسبَهم يومَ الدينونة على ما يفعلون؟ ألم نقل إنّ الله إذا تجسّد انتهى كإله، لأنّه إنْ حلّ في مكان يشغله ويخلو منه بقية العالم.. ويل لهم من الله الحقيقي يوم الدينونة!.. أمّا

الشفاء بلمس الثوب، أو هدب الثوب، فهذا منتهى الهراء" (٤٦١-٤٦٢).

نقول:

المؤمنون، مسيحيّين كانوا أم مسلمين، إنْ آمنوا بهذا أو ذاك من القدّيسين إو الأولياء، يؤمنون في الوقت عينه بقدرة هذا القديس أو هذا الولي على صنع كلّ أعجوبة. أظهرتْ هذه القدرة العجائبيّة في المكان الذي شيّد على اسمه، أو في أغراضٍ كان يستعملها، أو في ظهورٍ خاصّ لهذا المؤمن أو ذاك. فمن يؤمن بقدّيسٍ أو وليٍّ، يؤمن في الوقت نفسه بقدرة هذا القديس أو هذا الولي، أو بقوّته العجائبيّة على الشفاء من كل مرض، أو على إتيان أيّ معجزة.. والمسيحيّون يؤمنون بأنّ يسوع إله، فهو بالتالي قادر على أي شيء، ولو بطرف ثوبه!! فأين هي المشكلة، والمسلمون أنفسهم يعترفون بقدرة عيسى العجائبيّة؟ والقرآن نفسُه يعدّد منها الكثير؟!

على متّى (١/١٠) حيث **دعا يسوع تلاميذه وأعطاهم السلطان،** يعلّق زكي:

"لم يفسّرْ لنا أيُّ الملهَمين الثلاثة، كيف تمّت عمليّة الشحن ونقلُ السلطان والقوّة من المسيح إليهم. فإذا كنتَ طبيباً مثلا، هل تستطيع أن تشحن رجلا فيصبح طبيبا مثلك؟!.. ولو صدق نقلُ السلطان هذا، لكانت أمُّه التي حملتْه أولى به من التلاميذ. إذ لا يوجد في الأناجيل كلّها ما يثبت أنّها قامت بمعجزة واحدة. ولسدّ هذه الثغرة، يزعم نصارى اليوم، بين الحين والآخر، أنّ العذراء ظهرت في هذا الدير في القاهرة، أو تلك الكنيسة في بيروت، وشفت أمراضَهم. فاحذَرْ أكاذيبَهم، عزيزي القارئ، إنّ الأنبياء الكذبة يتخفّون بأشكال عدّة" (٤٦٦).

نقول:

إنّ اللّهَ، بمجرّد كونه إلهاً، يستطيعُ أن يولي أولياءه قدرةً على صنع المعجزات.. وهذا شيء يقرّه المسلمون. وأمّا عن معجزات العذراء مريم، وإنْ لم يكن لها في الإنجيل ذكرٌ، فلأنّ الإنجيل لا يتوقّف على سيرة العذراء مريم. وقد لا تكون العذراء مريم صنعتْ أيّ معجزة، في حينه.. إلاّ أنّ تاريخ الكنيسة مليء بظهورات مريم وبتدخّلها العجائبي في الأحداث.. وإذا شاء السيّد زكي بعضَ الأعاجيب التي قامت بها مريم، ففي القرآن منها كثير، في سورتَي مريم وآل عمران وغيرهما.

على موضوع **اقتراب ملكوت اللّه** (متى١٠/١)، يعلّق السيّد زكي:

لقد كانت رسالةُ عيسى "البشارة والكرز باقتراب ملكوت اللّه، لا أشفوا مرضىً، طهّروا برصاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطينَ بالجملة.. لأنّ بضاعةَ المسيح لم تكسدْ حتى يُجرى عليها مثلُ هذا الأوكازيون لبيعِها بالجملة، أو بأسعارٍ مخفّضة، أو حتى مجّاناً لتلاميذه!.." (٤٧٢).

"هذه السلطات منحها اللّه لعيسى، ولا يستطيع عيسى أن يجيّرَها لغيره، لأنّها ليست شيكاً مفتوحاً لحامله" (٤٧٥).

نقول:

ليس إعطاء المسيحِ تلاميذَه سلطانَ صنع المعجزات "أوكازيوناً" لكساد سلطانه بأسعارٍ مخفّضة.. هذا كلامُ جاهلٍ باللّه، وبقدرته الإلهيّة التي بوسعها أن تصيّرَ عصاة موسى أفعى تسعى.

على قول المسيح (متى١٠/٣٤): **"لا تظنّوا أنّي جئتُ لألقي سلاماً**

على الأرض. ما جئتُ لألقي سلاماً، بل سيفاً. فإنّي جئتُ لأفرّقَ الإنسانَ ضد أبيه، والابنة ضد أمّها، والكنّةَ ضد حماتها.."، يعلّق السيّد زكي:

" ماذا دهى هؤلاء الكَتَبة!؟ هل أصابَهم مَسٌّ في عقولهم حتى يقولوا لنا كلاماً كهذا، وينسبوه إلى المسيح!؟.. هل يريدوننا أن نصدّقَهم أنّ المسيح جاء ليفرّقَ الكنّة ضد حماتها؟! ما شأن كتاب مقدّس في الكنّة والحماة!؟ ومنذ متى يترك المسيحُ العموميّات ويدخل في صميم الخصوصيّات التي تصل إلى ما بين الكنّة والحماة!؟ هل حقّا جُنَّ كَتَبَةُ الأناجيل، أم تراهم يستغفلونَنا ويحتقرون ذكاءَنا إلى الحدّ الذي يريدوننا أن نصدّقهم في أنّ المسيحَ، رسولَ السلام، جاء ليلقي سيفاً، ويشعل ناراً، ويذبحَ أعداءه قدّامه.. " (٤٨٤).

نقول:

... بل " ماذا دهى " السيّد زكي حتّى يرى ما يرى في هذا الكلام الرّائع؟! فالسيفُ هنا "ليس سيفَ العنف والثورات، بل هو السيف الذي يشطر الناسَ، بالنسبة إلى يسوع وتلاميذه، شطرَين: مؤيّدين ومعادين (لو٢/ ٣٤). على التلاميذ أن يثبتوا على حبّ يسوع، بل أن يموتوا في سبيله" (تفسير أونجليون)، أن يتركوا كلّ شيء من أجله، أن يقتدوا به، ويتبعوه. فهو أولى من كلّ شيء في الدنيا. إنّه، هو، ربّهم وإلههم ومخلّصهم وقدوتهم ومثالهم وغايتهم القصوى وسعادتهم الأبديّة وحياتهم الباقية.. ولا شيء سواه يستحقّ ما يستحقّ هو.

ثمّ إنّ مَثَلَ الحماة والكنّة ليسَ تدخّلاً للمسيح بين الحماة والكنّة، بل هو مجرّد مَثَل. يقصد المسيح فيه أنّ العيلةَ لا تُبنى إلاّ على أساس ترك الابنة أمّها وأباها والالتحاق بزوجها. وكذلك الابن أيضاً....

على قول المسيح (متى ١١/١٦-١٩): "**جاء ابنُ الإنسان يأكلُ ويشربُ..**"، يعلقّ السيّد زكي قائلا:

"عزيزي القارئ! أعطني عقلَك. هل هذا كلامُ نبيّ؟ فضلاً عن إله، كما يزعمون؟ هل سمع أحدٌ بإلهٍ، أو حتى نبيّ، يصف نفسَه بأنّه "أكّول وشرّيب خمر. يزمّر. ويطبّل"؟ إنّ المؤمنَ بالمسيح حقّاً لَيَشعرُ بالقلق والغثيان عندما يرى أنّ حياة هذا النبيّ العظيم قد تُركتْ لأيدي هؤلاء الأربعة (الإنجيليّين) وكنائسهم، ليؤرّخوا له بهذه الألفاظ.. يصفونه لنا هنا بأنّه خرّيجُ حانات، وأحلاس شهوات. وينسبون له في إنجيل يوحنا تحويلَ الماء إلى خمر، ليزيدَ السكارى سكراً وعربدة. ويكون لهم عوناً على ذهاب عقولهم. ويزيد أمّه طيشاً وخفّةً ورعونةً.. كما نسبوا إليه قبولَ عاهرة بين أتباعه..

"من أجل هذا، نحن ننزّه المسيحَ.. عن مثل هذه الألفاظ السوقيّة.. وما هي إلاّ ألفاظُ قسّيسٍ وثنيٍّ، سكّيرٍ، أكّولٍ، عربيدٍ، غارقٍ في براميل النبيذ المعتّق في أقبية الكنيسة، يحبُّ الشربَ حتى الثمالة، كما يحبُّ الطبلَ والزمرَ والرقصَ عندما يكون مختلياً مع عشيقةٍ له في خفيةٍ عن أعين الطائفة.." (٤٩٨-٤٩٩).

نقول نقلاً عن تفسير (أونجليون):

"يحكم يسوع حكماً صارماً على معاصريه اليهود، الذين ما آمنوا به، ولا بيوحنّا سابقه، ولا اتّفقوا على علامات الزمن المسيحانيّ، ولا تبيّنوا عملَ اللّه وحكمتَه، لا في زهد المعمدان، ولا في زهد يسوع، فهم أشبه بصبية في الساحة لم يتّفقوا على لعبة. ولكنّ حكمةَ اللّه، التي تتوخّى خلاصَنا، سائرةٌ نحو هدفها، قائمةٌ بأعمالها -أعمال يوحنّا ويسوع-، وهذه الأعمال دليل عليها، وتبرير لها".

هذا تفسير رائع في مستواه الفكري والخلقي. أمّا كلامُ السيّد زكي فقيمته يستجليها القارئ من تعابيره وألفاظه النابية، مثل ما جاء في نصّه، من سكرٍ

وشرب وأكل وعربدة وعشيقات وما أشبه...

على قول متّى(١٣/١-٣) أنّ يسوع **كان يعلّم الناسَ من السفينة**، يعلّق زكي:

"سؤالُنا إلى الملهَمين الثلاثة: كيف كان يعلّم الجموعَ من السفينة في البحر، أو البحيرة، والجموعُ على الشاطئ بدون مكبّر صوت، لأنّ هواء البحر، أو البحيرة، وصوت الموج الهادر سيخلخلان صوتَه، فيضيع كلامُه، ويتبدّد في الهواء!" (٥٤١).

نقول:

يبدو أنّ الناسَ سمعوا "المَثَل" الذي حدّثهم به يسوع، وهو "مثل الباذر"، بدون مكبّر صوت، بدليلِ ذكره في الأناجيل. وهذا ممكن، إذا ما كانتِ الرياحُ خفيفة والأمواجُ هادئة، والناسُ صامتين، منتبهين، متيقّظين...

على حادثة **غرق بطرس في البحر، وصراخه: "يا ربّ نجّني"** (متى ١٤/٢٢-٣١)، يعلّق السيّد زكي قائلا:

"لاحظ عزيزي القارئ، لم يقلْ بطرس "يا أب. يا إبن. يا روح قدس. نجّني". ولن تجدَ إنساناً واحدا يقول: يا أب. يا إبن. يا روح قدس. نجّني. لماذا؟ لأنّكَ في ساعة الخطر الشديد تعود نفسُكَ البشريّة إلى الفطرة الأساسيّة" (٥٦٠).

نقول:

إنّ الناسَ يقولون ما اعتادوا عليه. وليس في فطرتهم شيء محدّد في

المسائل الإيمانيّة.ثمّ هل يعتقد السيّد زكي أنّ بطرسَ اليهوديّ لا يؤمن بإلهٍ واحد!
وهل الإيمان بالمسيح إلهاً ينافي أو يناقض إيمانَه اليهوديّ بالإله الواحد!

على **المرأة الكنعانيّة** (متى ١٥/ ٢١-٢٨)، يعلّق السيّد زكي:
"لم يذكرْ لنا الكاتبُ كيف وجّهتِ المرأةُ خطابَهـا رأساً إلى عيسى دون غيره من التلامـيذ، وهي لم تكن قـد رأتْه أو عرفـتْه سـابقاً. أي كيـف عرفتْ أنّ ذاكَ بالذات هو عيسى في الوقت الذي لم يكن يلبس ما يميّزه عن تلاميذه" (٥٦٨).

نقول:

ما يمنع من أن يـكون ذكاء الكنعانيّـة، أو إشارة ما مـن أحد التلامـيذ، أو شـخصـيّة يسوع المميّزة، أو الحـوارُ الرّائع الذي جرى بين المرأة ويسوع، أو أيّ سبب آخر نجهله!!! وجهلنا له لا ينال من صحّة ما حدث، وهو أجمل ما حدث.

يقول متّى(١٥/ ٢٩-٣١) **إنّ كثيرين شفاهم يسوع.** ويعلّق زكي:
"إنّ التاريخ لم يذكر أبدا أنّ فلسطين كانت موئلاً للعرج، والعمي، والخرس، والشلّ.. حتى يقـال بأنّ جموعاً كـثيرة من هؤلاء طُرحوا عند قـدمَي يسوع.. ثمّ أين كـان هؤلاء يومَ كـانت كلّ الجـمـوع تصـرخ لبـيـلاطس الـبنطي: اصلبـه. اصلبه؟!" (٥٧٧).

نقول:

ومَن الذي قال إنّ فلسطين كلّها كانت طريحةَ الفراش! وكم قدّر السيّد زكي هذه الجموع حتّى تقف بوجه الجنود الرومانيّين الذين ينفّذون الأحكام؟!

قال المسيح لتلاميذه، وهو يحذّرهم من خمير الفرّيسيين: "لماذا تفكّرون في

أنفسكم **يا قليلي الإيمان؟**" (متى ١٦/٨). يعلق السيّد زكي:

"يضع (متّى) في فم المسيح كـلاماً مستهجناً عن تلامـيذه، لم يقله المسيح إطلاقاً. والمسـيح بريء منه، ومّمـا نسبوه إليـه. إذ كيف يُعقـل أن يصف المسيح تلاميذه وأحـبّائه (كذا) الذين احتـضنهم وفضّلهم عن أمّه أمام الجـموع.. بأنّهم قليلو الإيمان!؟. لا شكّ أن مـتّى المزعـوم هذا، لو كان حـيّاً بـين ظهرانينا اليـوم، وعقـد مؤتمراً صـحـفيّاً، لأمطره الصـحفيّـون بأسئلة عديدة عـمّا كتـبَه في حقّ التلاميذ، ولَكشفوه وعرّوه وبّينوا كذبَه بأسئلتهم الكثيرة.." (٥٨٠)

وبعد وابل من الأسئلة.. يتـوجّه السيّد زكي إلى متّى مؤنّبـاً: "كفاكَ دسّاً يا هذا. وكفـاكَ زعماً بأنّك متّى! لقـد طفح الكيلُ منكَ ومن كَتَبَةِ الأنَاجـيل الأخرى، وانكشفَ أمرُكم بأنّكم كلّكم يهـود عنصريّون وغرباء عن دين المسـيح. لم تحبّوه، ولا تلاميذه قَيدَ قطرة. لقد شوّهتم أقوالَه، بل شوّهتم دينَه..." (٥٨٢).

نقول:

يفهم القارئُ تمامـاً مقصودَ يسوع في قـوله عن تلاميذه "قليلي الإيمان". وهو ليس قولاً مشيناً بحقّهم، ولا حكماً مبرماً، ولا شتماً، ولا دسّاً من متّى !!! إنّه كلامٌ مألوف بين الأحبّـاء والأصدقاء. كلامٌ واقعيّ أيضاً لأنّ التـلاميذَ لم يؤمنوا بعدُ كـفايةً بمعلّمـهم، ولم يدركوا مَـن هو في حقيـقتـه. وها هو لا يزالُ يدرّبهم، ويصوّب خطواتهم، إلى أن يحـلّ عليهم الرّوح القدس فيـمتلأوا مـعرفةً ومحـبّةً ونضـالاً وجرأة واقتحاماً لأبواب روما.

وعلى حادثة **التجلّي على طور طابور** (مـتى ١٧/١-٨) يعلّق السيّـد زكي، جملةً جملةً:

* على **الستّ أيام**، عند مـتّى. وهي ثمـانيـة عند لوقـا (٩/٢٨). يقـول

السيّد زكي: "يبدو أنّ كلّ شيء جائز عند الشاؤوليّين الكنسيّين. فالواحد عندهم ثلاثة، والستة ثمانية، والواحد والأربعين جيلا للمسيح في متّى تصبح عندهم ستة وخمسين جيلاً في لوقا. ونحن لا ندري لماذا يكرّر الوحي نفسَه ثلاثَ مرّات في هذه الأناجيل، مناقضاً نفسَه في كلّ مرّة.

* وعلى آية **"أخذ يسوعُ بطرسَ ويعقوب ويوحنّا أخاه"**، يسأل زكي: "لماذا أخذ هؤلاء الثلاثة تلاميذ دون غيرهم؟. وماذا كان موقف التلاميذ الآخرين الذي (كذا) لم يأخذهم؟ وماذا كان ردّ المسيح على احتجاجهم؟ أم تراهم لم يكونوا موجودِين وقتئذ!؟ لم يخبرنا هؤلاء الملهَمين عنهم شيئاً!

* وعلى آية **"إلى جبل عالٍ منفردين"**، يسأل زكي: "مرّة أخرى، لماذا أخذهم عيسى إلى الجبل، وليس إلى سهل؟ وما الغرض من ذهاب عيسى إلى هناك؟. وما إسم هذا الجبل؟ وأين موقعه؟.. وكان من المفروض أن يذكروا لنا إسمَه، ويحدّدوا موقعَه، حتى يحجّ إليه الشاؤوليّون كلَّ عام. فهل لمثل هؤلاء يقال مؤلّفين أو مؤرّخين!؟".

* وعلى آية **"أضاء وجهُه كالشمس"**، يعلّق زكي: "وهذا هراء. لأنّه لو فعلاً أضاء وجهُه كالشمس، لاحترَقَ وحَرَقَ التلاميذَ معه. وفي أضعف الأحوال، لما استطاعَ التلاميذُ رؤيةَ وجهه، وهم يحدّقون في وجهه المضيء كالشمس. لأنّ النورَ والحرارةَ من وجهه ستعميهم، بل وتحرقهم".

* وعلى آية **"وصارت ثيابُه بيضاءَ كالنور"**، يسأل زكي: "متى كان لون النور أبيضاً (كذا). أمّا لوقا فقال "مبيضّاً لامعاً". ولكن للأسف، لم يذكر لنا واحدٌ من هؤلاء الملهَمين ماذا كان لونُ لباسِ عيسى قبل أن يتحوّلَ إلى الأبيض كالثلج، أو الأبيض اللامع. هل كان أسوداً (كذا)؟ أم بنّيّاً؟ أم كحليّاً؟ فانظر، باللّه، إلى هذه التناقضات والعيوب في رواية بضعة أسطر لثلاثة رواة، تزعم الكنيسةُ أنّهم جميعاً كتبوا بالوحي".

* وعلى آية **"وإذا موســى وإيليّا قــد ظهرا لهم يتكلّمــان معــه"**، يندهش السيّـد زكي ويقول: "هل كـان تغييـر لون لباس عيـسى ضروريّاً لكي تظهر روحُ مـوسى وإيليّا؟ وهل لا تـظهر الأرواحُ إلاّ في مثل هـذا الجوّ الأبيض اللأمع أو الناصع البياض؟ وإذا كان ذلك التغيير ضروريًا، وأرواحُ إيليّا وموسى لا تظهـرُ إلاّ في مثل هذا الجـوّ، فلماذا لم تؤثّر روحـاهُما على وجـوه التلامـيذ، وتغيّرْ ملابسَهم أيضا!؟

".. ثمّ كيف عـرفَ التلاميـذُ أنّ هذين اللّذان (كذا) جاءا من العـالَم الآخَر، مخترقَين البرزخَ، هما إيليّا وموسى!؟ لأنّهما قد ماتا قبل مئات السنين، والتلاميذ لم يروهما سابقا، بل لم يروا حتى صورة لهما إطلاقاً من قبل!؟

".. وبأيّ لغة كان الحديثُ (بين عيسى ومـوسى وإيليّا): أهو بالعبرانيّة؟ أم بالآراميّة؟ أم بالسريانيّة!؟"

".. كمـا لم يوضح أيٌّ من الملهَمين الـثلاثة في أيّ سنٍّ كان إيـليّا؟ وفي أيّ سنٍّ كان موسى؟.."

".. ثمّ لماذا لم يقدّمْهما عيسى إلى تلاميذه؟ أو يقدّم تلاميذَه إليهما؟

"وما العبرة من ظهورهما لهؤلاء الثلاثة دون باقي التلاميذ؟..

"وأخيرا، لماذا إيليّا وموسى؟ ولماذا ليس إبراهيم وإسحق؟ أو آدم ونوح!؟

"ما العبرة من اختيار هؤلاء الكتبَة لإيلياء وموسى بالذات؟

"ولم يشأ أيٌّ من كتبَة الأناجيل أن يكلّفَ نفسَه ويذكر لنا كيف عاد موسى وإيليّا إلى وراء البـرزخ، فارتأوا أن ينوّموا التلامـيذَ، ثم يقوم عيـسى بإيقاظهم، ليرفعوا أعينَهم فيجدوهما قد تبخّرا.

ثم "هلاّ سألتَ نفسكَ عزيزي القارئ كيف اخـتزل لنا كتبَةُ الأناجيل، بجرّةِ قلم، هذه المسافات الهائلة، واستنزلوا أرواحَ مـوسى وإيليّا من أضعاف أضعاف أضعاف هذه المســافات حيث الأرواح هناك أبعد عند بارئهـا، وكيف أعادوها إلى

مكانها في البرزخ، بجرّة قلم أيضا!!!!؟

* وعلى قول بطرس: "**يا ربّ! جيّد أن نكون هنا، فلنصنع ثلاث مظالّ**"، يعلّق زكي: "لاحظ عزيزي القارئ تكرارَ الرقم ثلاثة، الذي يشير به الكتبة دائماً من طرف خفيّ إلى الثالوث الذي في ذهنهم. فلماذا ثلاث مظالّ؟ أليسَ الأفضل مظلّة واحدة يجتمع فيها ثلاثتهم!!؟.. كيف سيصنع التلاميذُ تلك الثلاث مظالّ، وليس معهم فؤوس أو بلطات يقطعون بها أغصانَ الشجر لعملها!!!!؟ أم ترى كانوا يحملون تلك المظلاّت على أكتافهم قبل صعودهم إلى الجبل!؟ ولكن هذا مستحيل.. لأنّ المسيحَ، عندما أرسلهم إلى التبشير بملكوت اللّه، أوصاهم بأن لا يحملوا شيئاً، حتى العصي منعهم من حملها. فهل مَن كان ممنوعاً من حمْل العصي يحمل ثلاثَ مظالّ!؟"

* وعلى آية "**صوت من السحابة يقول:هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت**"، يعلّق السيّد زكي: "هذا الكلام هراء.. حاشا للّه أن يكون له إبن.. المسيح نفسُه لم يصرّح أبداً أنّه ابن اللّه..ثمّ ما الفائدة من هذا القول هنا!؟ أما كان الأجدر أن يكون ساعة محاكمة المسيح أمام قيافا وبيلاطس!؟.. وكذلك ما فائدة ظهور موسى وإيليّا لهؤلاء التلاميذ الثلاثة البلداء عديمي الفهم وقليلي الإيمان.. والذين وصف المسيح أحدَهم، حسب زعمهم، بأنّه شيطان!؟"

* وعلى آية "**ولمّا سمع التلاميذُ سقطوا وخافوا**"، يعلّق السيّد زكي: "هراء أيضا!! لأنّه، عندما يسمع الإنسانُ انفجاراً، ساعتها يسقط على وجهه من شدّة الانفجار. لكن عندما يسمع صوتاً يتكلّم، فإنّه يتلفّت حولَه باحثاً عن مصدر الصوت، ولا يسقط على وجهه ولا على ظهره!!

* وعلى آية "**أوصاهم يسوع بالاّ يُعلموا احداً**"، يعلّق السيّد زكي: ".. كيف عرف كتبَةُ الأناجيل بذلك بعد عشرات السنين!؟؟..

ويستنتج السيّد زكي:

"هل ترى عزيزي القارئ نقـاطَ الضعف والكذب اللّذان (كذا) يقطران من هذه الرواية!؟.. من أين أتوا بهـذا السيناريو!؟.. إنّ كـتبَـةَ الأناجيـل يخبّـصون ويكتبون أهواءهم ويوقِعون أنفسَهم في التناقض.." (٥٩٨-٦١٠).

نقول، نقلاً عن تفسير (أونجليون):

"بعد عـيد التكـفير بسـتّة أيّام، يبـدأ عيـد المظالّ، الذي يدوم ٧ أيّام، وهو المقصود هـنا. يردُ حدثُ التجلّي، في الأناجيل الإزائيّـة، بين إعلانَين، يعلن فيـهما يسوع مـوتَه وقيامـته (ألأوّل في ١٦/ ٢١، والثاني في ١٧/ ٢٢)، وكـأنّ التجلّي استباقٌ لقيامة يسوع، وانتصاره على الموت. ألتجلّي -كالعماد في الأردنّ- ذروة من ذروات حيـاة يسوع العلنيّة، وإثبات لإيمان بطرس مـسيحاً، وتثـبيت له في إيمانه بعد رفضه يسوع متألّماً، ودعوة ملحّة شاملة إلى سماع تعليمه واتّباعه.

"بطرس ويعقوب ويوحنّا: هؤلاء الثـالثة شهود على مجـد يسوع في تجلّيه، وشهـود على نزاع يسـوع في بستـان الزيتون، وشهـود على قيـامة ابنة يـائير: أشركهم يسوع في سرّه أكثر من الآخرين.

"ألجبل العالي هو جبل طابور، على ما يرى التقليد. وهو جبل حرمون، على ما يرجّح المفسّرون. ويتـخطّى الجبلُ هنا معناه الجغرافي ليتّـخذ معنى لاهوتيّاً، فـإذا هو جبل الـوحي، الجبل المقـدّس، جـبل أورشليم الجـديدة، حـيث تجتـمع الشعوب في آخر الأزمنة.

"وما التجلّي، فـي تعبير تبدّلت صـورته، سوى صورة شاحـبة لما سيكون عليه يسوع المتألّق في مجد القيامة.

وفيـما يخصّ "مـوسى وإيليّا، فـهمـا يمثّلان العـهد القديم، يمثّـل موسى التوراةَ، وإيليّا الأنبياءَ، وكأنّ العهد القديم يكرّم العهد الجديدَ في شخص يسوع. شهدا عهـدَ اللّه في سيناء، ويشهدان عهدَه الجديد في يسـوع ابنه. ويذكر التقليد

اليهودي أنّهما خُطفا إلى السماء كـأحنوخ، وأنّ إيليّا سيسبق مجيءَ المسيح، وقد امتزج بشخصيّة يوحنّا المعمدان.

وأمّا "المظال فـفيهـا إشارة ممكنة إلى عيـد المظالّ. فيه تُنصب الخـيام في الصحـراء لجمع الغـلأت. وهو أكثـر الأعيـاد شعـبيّة، حـتّى أنّ الكتـاب يدعوه "العيد" مطلقاً (٣ مل ٨/٢، ٦٥).

وعلى قـول يسـوع : "لا تُخـبـروا أحـداً"، نقول: "مـن المألوف، في الفنّ الرؤيويّ، كـتمـان مـا أوحى به اللّه (دانيال ١٢/ ٤-٩). وتـبع الإنجيليّـون هذا التقليد (متّى ٨/ ٤؛ ٩/ ٣٠؛ ١٢/ ١٦؛ ١٦/ ٢٠)، تبعه مـرقس خاصّة محتفظاً في إنجيله "بالسرّ المسيحانيّ" (١/ ٣٤، ٤٤؛ ٨/ ٢٠).

وعلى قـول المسـيح لتـلامـيـذه: **"لو كـان لكم إيمان مـثل حـبّـة الخردل.."** (متى١٧/ ٢٠)، يعلّق السيّد زكي:

"مـرّة أخرى يشنّع مـتّى هذا على التـلاميـذ باسم المسـيح، لكن هذه المرّة بشكل لم يسبق لـه مثيل، إذ اتّهمـهم بعدم الإيمان إطلاقاً.. ألـم يزعم لنا أنّه متّى الحقيقي الذي كان يقف على باب دار الجباية، وبمجرّد أن قال له المسيح اتبعني، ترك وظيفـتَه وتبعَـه في الحال!؟ فإذا لم يكـن عنده إيمان ولو مثل حبّـة خردل فكيف تبعه من الأسـاس!!.. ومن ناحية أخرى، فقد كان المسـيح هو معلّمهم طول الوقت. فـإذا كان لا يوجـد عندهم إيمان كحـبة الخـردل الآن بعد سـبعـة عشـر إصحاحـاً يكون المسؤول الأوّل هو معلمـهم المسيح نفسه! فـهل هناك مَن يصدّق ذلك!؟(٦١١).

ثمّ "أين ذهب ذلك الإيمان الذي شـحنَ المسيحُ به تلامـيذَه في أوكـازيون شفاء الأمراض الذي ورد في الإصحاح العاشر.. حين قال لهم: "أشفوا مرضى، طهّروا برصاً، أقيـموا موتى، أخرجوا شياطين!؟" أمـا ترى ذلك كان ضحكاً على

ذقوننـا، لأنّ الإيمان لا يُشحنُ. فـهو ليس حـقنة كالمخـدّر يحقنهـا فيهم المسيح فيمتلأوا إيماناً لفترة، ثم ينتهي مفعولها بعد مدّة" (٦١٢).

نقول:

يحتاجُ الإنسـانُ دائماً، مهما كان وضـعُه، أكان تلميذاً أم قدّيسـاً أم نبيّاً أم وليّاً، إلى نعمةٍ من اللّه دائمة لتـقوية إيمانه. هذا الإيمانُ لن يكتمل، أو يبلغَ تمامَه ونهايتَه، إلاّ عندما نصبح مع اللّه وجهاً لوجه. أمّا، ونحن على هذه الأرض، فكلّنا، بحسب تعـبير بولس الرسول، "ننظر الآن بمرآةٍ في لغـزِ. أمّا حينئذٍ فـوجهاً إلى وجـه. الآن أعـرفُ مـعـرفـةً ناقـصـةً. أمّـا هناك فـسـأعـرفُ كـمـا عُـرفتُ" (١قور١٣/١٢).وليـتنا، مثلَ الرّسلِ، نطـلبُ من الرّبّ باستـمرار: "يا ربّ! زدنا إيماناً" (لو١٧/٥).

وعلى آية "**أنّ ابن الإنسـان سـوف يسلم إلى أيـدي الناس فيقتلونه**" (متى١٧/٢٢)، يعلّق السيّد زكي:

إنّ "ما يدلّ على كذب هذه النصوص، جملةً وتفـصيلاً، هو ردّ الفعل البارد لدى التلاميذ.. وكان المفروض أن يُمطروه بعشرات الأسئلة وهم يسمعون أشياء غريبة كهـذه..مثل: كيف ستُقتَل؟ ومن الذي يجـرؤ على ذلك؟ كلّنا فداؤك. ثم ما معنى اليـوم الثالث سـتقوم؟ وهـل ستقـوم بالروح أم بالجسـد؟ وكيف ذلك... حزنوا جداً! يا للغـرابة! أهذا كلّ ردّ فعلهم!؟.. تصـوّر أنّ شـخصـاً عزيزاً عليك قال لك إنّه سيُقـتَل وفي اليوم الثالث يقوم، كم سؤالاً تسـألُه؟ وهل تصدّق قولَه؟ أم تكتفي بأن تحزن؟.. " (٦١٣).

نقول:

فات السـيّد زكي أنّ التلاميـذ سألوا المسيحَ، بعد أن تعـجّبوا، ولم يفهـموا قولَه. وكـان المسيح يُجيبُهم بأنّ هذه هي مشـيئة مَن أرسلَه. وعليـهم أن يقبلوا وينصاعوا لمشيئة أبيه المرسومة له منذ الأزل... إلاّ أنّ مثل هذه الإجابة لن تشفي غليلَ السيّد زكي، بسبب أنّ المسيح، عنده، لم يُقتل، ولم يُصلب...

على حـادثة **الضـريبة التي يـدفعـها يسـوع وشـمعـون بطرس** (متى١٧/ ٢٤-٢٧)، يعلّق السيّد زكي:

لقد صوّر لنا متّى، "كعادته، إلهه مواطناً صالحاً في الدولة الرومانيّة يؤدّي الضريبةَ للمستعمر الـوثني الكافر!.. فهل سمع أحدٌ بإله يدفع الجزية إلى الحاكم الوثني الكافـر!؟.. إنّ من صفات ذلك الـنبيّ (عيسى) هو إزالـة دولة الرومان لا دفع الجزيـة لهم! والذي أزال دولَتهم وأخـذ الجزية منهم هو مـحمّد.. أمّـا نحن فنقول: حاشا لعيسى أن يكون قد هادن المستعمر الوثني دقيقةً واحدة، أو دفع له ضريبة" (٦١٣-٦١٤).

نقول:

إنّ المسـيح، على الأرض، لا يزالُ خاضـعاً للشـريعة الطبـيعـيّة، والقـوانين المدنيّة، وللأنظمة السياسيّة القائمة، وإنْ هو جاء ليعطيها بُعداً روحيّاً جديداً..

وعلى كلام المـسيح: "**إنْ أخطأ إليك أخـوك، فاذهبْ وعاتبْـه بينك وبينه وحدكما. إن سـمعَ منك فقد ربحتَ أخاك**" (متى١٨/ ١٥)، يعلّق السيّد زكي:

"إنّ كلمات المسيح تأتيـك كطلقات المسدّس الموجّهة إلى الهـدف رأساً.. فلا تستطيع أن تحذف منها كلمة واحدة، أو حـرفاً واحداً. فانظر عزيزي القارئ إلى

نصّ الجملة.. فإنّك تستطيع أن تحذف منها كلمة "فاذهبْ"، وكلمة "وحدكما"، وكلمة "أخاك"، وأن تقرأ الجملة هكذا: "إن أخطأ أخوك فعاتبه بينك وبينه، وإن سمع فقد ربحتَه". إذاً، فهذا ليس كلام عيسى، لأنّ فيه حشواً وتطويلاً، واستطعنا أن نستغني عن ثلاث كلمات فيه دون أن يتأثّر المعنى" (٦٢٠).

نقول:

هذا تعليم المسيح. وقد لا يكون كلامه نفسه، بل كلام الذي كتبَ الإنجيل. ثمّ هو كلام بشر، فيه ما فيهم من القوّة والضعف ومتأثّر بحالات الكاتب النفسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة. وإذا فهمَ القارئ معناه يكون قد بلغ الهدف.وقد لا نجد في كلام البشر أسمى من هذا الهدف.

وعلى آية: **"فإنْ لم يسمع من الكنيسة، فليكن عندك كالوثني العشّار"** (متى١٨/١٧)، يعلّق السيّد زكي:

"مرحىً! لقد وقع كاتب هذه النصوص في شرّ أعماله، وكشفَ عن نفسهِ بنفسهِ في أنّه ليس سوى قسّيسٍ شاؤوليٍّ كنسيٍّ، وأنّ نصّه هذا مدسوس وليس من أقوال المسيح.. ألمسيحُ نفسُه لم يكن يعرف لفظ "كنيسة"، إنّما كان يعرف الهيكل والمجمع فقط، أمّا لفظة كنيسة، بالتاء المربوطة، فلم يتلفّظْها المسيحُ طيلةَ حياته على الأرض.. والذي أدخلَها هو شاؤول، إذ هو مؤسّس الكنائس الأوّل.. ومتّى التلميذ بريء أيضا من هذا الدسّ لأنّ الذي دسّه ساوى فيه بين الوثني والعشار.." (٦٢٠).

نقول، وسيسمع السيّد زكي قولَنا هذا مراراً:

إنّ المسيح لم يؤسّس ديناً، ولم يُنزّلْ كتاباً، ولم يُنشِئْ عقيدةً، ولم يأتِ

بشريعـة سمـاويّة.. لقد أسّس كنيسةً تكمّلُ سرَّ خلاصه، وتواكبُ الإنسانَ في ترقّيه، وتضع له القوانين والشرائع...

ثمّ أنّ "التاء المربوطة" هي من شأن اللغة العربيّة، لا اليونانيّة التي بها كُتبَ النصُّ الذي نحن في صدده.

ثمّ إنّ شاؤول لم يؤسّس الكنيسة، بل ناضلَ من أجلها وفي سبيلها بالفكر والقول والجهاد المستمرّ...

وأخيراً، متّى، وإنْ كان عشّاراً، لا يعني أنّه كان يجدُ الكمالَ في العشّارين، ولهذا، ربّما، ترك العشّارين، وتبع المسيح.

على قول المسيح في **الذين خَصَوا أنفسَهم لأجلِ الملكوت** (متى١٩/١٢)، يعلّق السيّد زكي:

".. فلسفة الخصي هذه.. لا شكّ أنّها من دسٍّ قسّيسٍ لغرضٍ في نفسه.. هو هراء. والمسيح لم يقلْه أبداً.. ولو طبّقها كلّ إنسان على نفسه لفني الجنسُ البشري كلُّه.. والذي حدث أنّ رجالَ الكنيسة، الذين يزعمون أنّهم بلغوا الغايةَ في الطهارة الروحيّة، قد انغمسوا في الشهوات، وارتكبوا الموبقات... الأديرة تحتوي على فساد عميق. وهيهات أن يوجد بها مَن يصلح للبقاء. إذ أنّها تضمّ بين جدرانها أفّاقين، أولى بهم غيابات السجون.. وقساوسة قلائل غير معتادين على نجاسة متكاثرة مع النساء، وأنّ أديرة الراهبات متدنّسة مثل البيوت المخصّصة للدعارة.. وأنّ حياة الطهر في الصوامع والأديرة كانت قصيرةً جدّاً، فسرعانَ ما تطرّقَ إليها الفسادُ، وشملَها الفسوق" (٦٢٩-٦٣٠، ٦٣٢)

وفي مكان آخر يقول السيّد زكي: "لو سألتَ أيَّ راهبةٍ لماذا ترهبنتْ؟ لأجابتْكَ: حتّى أكون عروساً للمسيح. والعروس، لا بدّ من أن تنام مع عريسها بالروح والجسد" (٦٩٢).

نقول:

هذا كلامٌ مشين بحقِّ قائله، لما فيه من تهمٍ لو كانت حاصلةً حقّاً، لكان علينا وعلى السيِّد أحمد زكي، أن نعملَ جهدَنا لإصلاحِ ما فسد، أو لستر ما ظهر، أو للصلاة من أجل الذين تخلّتْ عنهم نعمة اللّه. أمّا أن يُقال ما قال صاحبُنا فهو، في الحقيقة، انتقام وشتائم. يضرّ ولا يفيد. ولا يجوز الكلام عليه.

ثمّ هو كلامٌ، ألمقصود منه هو أن "يسوع يؤثر العزوبة لطالب الملكوت، دون أن يأمره بها أمراً.. هذا الوضع هو التبتّل الاختياري الدائم النهائي، الزاهد في الزواج طلباً للملكوت، وذلك دون مساس بقيمة الزواج المقدّس" (تفسير أونجليون).

على حدث **دخول يسوع أورشليم واحتفائها به، وركوبه الأتان والجحش** (متى٢١/١-٧)، يعلّق السيِّد زكي:

".. ليتأمّلْ كلُّ عاقلٍ هذا القول: إذ لا يمكن لإنسان أن يركب أتانا وجحشاً معاً في نفس الوقت. أللّهمّ إلاّ إذا كان واقفاً عليهما وليس جالساً، وبشرط أن يكون الأتانُ والجحشُ متساويَين في السير. وهذا لا يتأتّى إلاّ إلى بهلوان أو لاعب سِيرْكْ. ونحن نجلُّ المسيحَ من أن يكون بهلواناً أو لاعبَ سِيرْكْ... ثمّ هل يُعقل، عزيزي القارئ، مَن كان كرسيُّه السموات والأرض موطئ قدمَيه، أن يتغيّر ليُصبحَ كرسيُّه ظهرَ حمار!؟. ولو كان بين القوم، وقتَها، مَن يؤمن بأنّ عيسى حقّاً كان ربَّهم، لقدّسوا ذلك الجحش الذي حمل ربّهم وإلهَهم منصوراً، ولحفظوا سلالَتَه من الانقراض. كما يقدّسُ الهندوسُ اليومَ البقرة بدلَ تقديسهم اليوم للصليب الذي حمله ربُّهم مهزوماً ومقهوراً.. ومن حقّنا أن نسأل: إذا ركبَ الإلهُ الابنُ الحمارَ، فهل يكونُ الإلهُ الأبُ والإلهُ روحُ القدس قد ركباه أيضاً!؟..

".. لقد ذكرَ عيسى مراراً، وفي أكثر من مناسبة، أنّ سيِّدَ القوم خادمُهم،

ومَن أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أوّلاً فليكن لكم عبداً، وكلّ مَن يرفع نفسَه يتّضع، ومن يضع نفسَه يرتفع... فهل مَن يتّضع، عزيزي القارئ، إلى هذا الحدّ، يميّزُ نفسَه بالركوب على حجش، ويترك تلاميذَه يسيرون على أقدامهم..

لقد اكتفوا (الإنجيليّون) بأن أركَبوا لنا عيسى على جحش، ولم يَذكروا لنا بعدَ ذلك ماذا فعلَ (عيسى) بالجحش. هل تركَه على باب الهيكل؟ أم أعادَه إلى أصحابه!؟..

" .. أليسَ من المخجل حقّاً أن يتضافرَ كتبَةُ الأناجيل الأربعة الذين تُطلق عليهم الكنيسة لقبَ قدّيسين، بذكرِ حادثة الجحش هذه، وينسى ثلاثةٌ منهم ذكرَ أهم حدث في تاريخ المسيح، وهو رفعُه إلى السماء؟ فهل حملُ المسيح على ظهر الجحش أهمّ من حمله على أجنحة الملائكة إلى السماء" (٦٦٠-٦٦٣، ٦٦٩، ٦٧٣).

نقول، استناداً إلى تفسير أونجليون:

إنّه لَحَدَثٌ جَلَل دخولُ يسوع أورشليم، العاصمة والمدينة المقدّسة، وتطهير هيكلها من الباعة والشُّراة والصيارفة وباعة الحَمام. لقد دخلَ يسوعُ أورشليم بصفته المسيح الآتي، "إبن داود" ووارث عرشه، فاستُقبل بهتاف التعظيم "هوشعنا"، وحقّق نبوّة زكريّا.

أمّا ذكر "الأتان والجحش" فيتفرّد متّى بذكرهما انسجاماً مع زكريّا (٩/٩)؛ بينما سائر الإنجيليّين يكتفون بذكر الجحش.

وأمّا امتطاط يسوع لهما فبنظر شرّاحٍ أنّ ضمير الجمع، في الأصل اليوناني، لا يعود إلى الحيوانَين، بل إلى الأردية. ثمّ إنّ يسوع لا يمتطي الحصان، مطيّة العظماء والأغنياء والمحاربين، بل الحمار، مطيّة الجدود والوضعاء

والمساكين (راجع تك ٤٩/١١؛ قض ٥/١٠؛ ١٠/٤؛ ١٢/١٤؛ قابل ٣مل ١/٣٨؛ ١/٥): يسوع ملك سلام لا ملك حرب.

وأمّا ما ورد تحت قلم السيّد زكي من كلام ومداعبة فهو للتسلية. إنّه غير علمي، وغير مفيد.

على تعبير: **"ليفهم القارئ"**، في آية "متى نظرتم رجسةَ الخراب.. قائمة في المكان المقدّس، ليفهمِ القارئ" (متى٢٤/١٥)، يعلّق السيّد زكي:

"هنا أيضاً يوجد تزييف ثالث في قوله "ليفهم القارئ". أيُّ قارئ!؟ لو كان هذا قول المسيح، والمسيح يخاطب تلاميذَه على جبل الزيتون، لقال لهم "ليفهم السامع" (٧١٩).

نقول:

لا بدّ من تذكيرالسيّد زكي بأنّ مفهومَ الوحي في المسيحيّة غيره عمّا هو في الإسلام، وأنّ كتبَة الأناجيل لم يدوّنوا أقوالَ المسيح على القلم والورقة، وأنّ الأناجيلَ روايات ومذكّرات لم يكتبها المسيح بنفسه. بل كتبها فلانٌ وفلانٌ، لهدفٍ رسوليّ، ولمجتمع معيّن، وبأسلوبٍ رؤيويّ مألوف عند السامعين.

هذا يعني بأنّ كلامَ يسوع وصل إلينا بواسطة سامعيه وبأسلوبهم. ولا ضير في ذلك سوى عند الذين يقولون بـ"التنزيل الحرْفي"؛ والمسيحيّون لا يقولون بـ"التنزيل الحرفي" بل بالوحي، ولا يشدّهم الحرفُ بل الرّوح.

على **مَثَلِ العذارى العشر** (متى٢٥/١-١٣)، يعلّق السيّد زكي:

"إنّ المدقّقَ في هذا المَثل ليؤكد أنّ المسيح لم يقل حرفاً واحداً منه!..

"لماذا كانت العرائسُ عشرة، وليس ثلاثة.. أو أربعة.. وأثني عشر (كذا).. أو

خمسة عشر (كذا)، أو عشرين، أو ثلاثين.. لماذا عشرة (كذا) بالذات؟ فإلى ماذا يرمز الرقم عشرة؟

" ما العبرة في كونهنّ عذارى، وليس بينهنّ أرامل أو مطلّقات؟ فإلى ماذا ترمز العذريّة!؟ ألا يكون الإيمان إلاّ للعذارى!؟..

" أيّ عرائس هؤلاء اللواتي ينعسنَ فينمنَ ليلةَ عرسهنّ!؟ ولماذا؟ وكيف كلّهنّ نعسنَ ونمنَ!؟ ولِمَ لمْ تبقَ واحدةٌ أو اثنتين (كذا) أو ثلاثة منهنّ مستيقظات؟..

" لقد ذكر لنا الكاتب أنّ الحكيمات أخذن مصابيحَهنّ وزيتاً، ولم يذكر لنا أنّهنّ أخذنَ معهنّ ما يضئنَ به مصابيحَهنّ، أي كبريتاً مثلاً.

" ولماذا القناديل المضاءة بالزيت والعرسُ عادةً يكون مضاءً وشعلةً من نور!؟

" هل دخلَ الناسُ العرسَ أم لا؟ هل كان معهم قناديل فيها زيت أم لا؟ نسي الكاتب أنّ العرسانَ يفضّلون الظلامَ على القناديل ليلةَ العرس.

" وأيُّ عريس هذا الذي يتزوّج خمسةً في ليلة واحدة!؟..

" .. ما فائدة القناديل الباهتة التي يرتعش ضوؤها عند أي نسمة هواء؟..

" أمّا قول الكاتب: " وأغلقَ الباب "، فهذا خطأ محض، لأنّ بابَ الدخول إلى ملكوت السموات لا يُغلق أبداً، وهو مفتوح على مدار الساعة في هذه الحياة الدنيا لكلّ تائب يريد الدخول... " (٧٢٩-٧٣١).

نقول نقلاً عن (أونجليون):

إنّه مَثَلٌ. وهو، على ما يقولُ تفسيرُ أونجليون، " مَثَلٌ خاصٌّ بمتّى. والعبرةُ فيه أنّه يشدّد، كمَثَلِ القيِّم الأمين (٢٤/ ٤٥-٥١) على السهر والاستعداد لمجيء الرّبّ، مهما تأخّر، وعلى التصرّف تصرّفَ عاقلٍ لا أحمق أو جاهل.

" ... والمَثَلُ يُؤخذُ المقصــود منه، لا حرفيّته. وفــيه أمور غيرمــألوفة: عروس دون عروسه، وصول العروس في ساعة متأخّرة جداً من الليل، لا يلاقي العروسَ سوى عشر عذارى، إعداد العذارى المصــابيحَ، وكأنّ التأخّرَ متوقَّع، إمكان شراء الزّيت في أيّ ســاعــة من اللّيل... ومع هذا فــالمقـصــود مـعـروف، والضــروريّ موجود، والتوقّف عنده من غير وجهة كونه مثَلاً غير جائز".

وعلى كيف **يُضمَّخُ يسوعُ بالطيب** (متى٢٦/٦-١٣)، يعلّق السيّد زكي:
" لقد ادّعى لنا كتــبةُ الأناجيل، سابقاً، أنّ المسيحَ أكولٌ، نَــهِمٌ، وشرِّيبُ خمر؛ والآن جاؤوا ليصوِّروه لنا معاقِــراً للخاطئات، يمسحنَ رأسَه بالطيب، ويُدغدِغْنَ رجلَيه بشعورِهنّ. فمذ دخلتْ هذه الخاطئة وهي لم تزل تُبلِّلُ قدمَيه بدموعِها، ولم تكفّ عن تقبيلِهمــا، وكانت تمسحُهما بشعــرِ رأسها، وهي في الأصل بغيٌّ خاطئ. فهل نسيَ عيسى أقوالَ سليمان (الحكيم) بأنّ مَن لمسها لا يتبرّأ! وهل نسي أنّه لا يمكن أن يُخفي رَجلٌ في حــجْرِهِ ناراً ولا تحترق ثيابُه، أو يمشي عــلى جمرِ النار ولا تحترق رجلاه!..

" وكيفَ تُغفــرُ خطاياها وذنوبُها على هذا الفعل؟ هل هذا يليقُ بعــيسى نبيٍّ اللّه ورســولِه الذي يزعمــون أنّه إله!! بل هل يليــق هذا، اليومَ، بأحــدِ باباوات أو مطارنة النصارى، إذا كان ضيفاً في بيتِ أحَدِ مــعارفِه، أن يأذنَ لِقَحْبَةٍ أنْ تغسلَ رجلَيه بدمــوعها، بمحضــرٍ من الناس، علماً بأنّها لم تنبس ببنت شَــفَة!! هل نسي المسيحُ كلَّ ذلك ليجعل شعرَ المرأة الأجنبيّة يلامسُ جسدَه!!؟؟

" ثم، باللّهِ... مــاذا تفــهم عــزيزي القــارئ من القــول الذي ورد في يوحنّا (١٣/٢٣): "وكان متّكئاً في حضن يسوع واحــدٌ من تلاميذه كان يسوعُ يحبّه.. فــأتكأ ذلك على صــدر يســوع".. ألأمــر الذي جعلــني أقول: كــفى لكتــبــة هذه الأناجيل"..

" ولكنّ كتبةَ الأناجيل، اليهود الشاؤوليّين، أعداء المسيح، يريدوننا أن نشكّكَ في الصداقة التي كانت بين المسيح وأليعــازر، ويريدون أن يغمزوا بأنّ أختَه كانت عاهرةً، وأنّ المسيحَ كان يحبُّها...

".. إنّنا لا نرى إلاّ دَسّاً فاضحاً من قِبلِ القــساوسة الشاؤوليّين الكنسيّين.. ليكون هذا الدسُّ توطئــة لهم في المســتــقبل، ليــســتقــبلوا بدورهم من النســاء، عــاهرات كنّ، أو عذارى، أو مطلّــقات، وليــمســحــوهم بالعطور الغــالية الثــمن، ويمســحــوا رؤوسَهم وأرجــلَهم بشــعورهنّ.. ونــحن لا نرى في هذه الرواية إلاّ تشجيعا للخاطئات المعــترفات بذنوبهنّ إلى ذئاب القساوسة في خلوات الكنائس .. ونحن نســتــغــرب كــيف يُبــقــون على مــثل هذه الروايات المخــزية في أناجيلهم.." (٧٤٩–٧٥٠).

نقول نقلاً عن (أونجليون):

إنّ "هذا الصنيع الحسن" هو من أعمال الإحــسان عند اليهود. "والمرأةُ قد أحسنتِ الصنيعَ إلى يسوع، لأنّها صنعت ذلك لدفن يسوع قبل وقوعه.

ثمّ "يظهر في فــعل تلك المرأة سلامة الطويّة، وعــفويّة الإيمان والحبّ. أنكر بعض التلاميــذ، ومنهم الإسـخريوطيّ (يو١٢/ ٤) على المرأة تبــذيرها، أمّا يسوع فأثنى عليــها، لأنّها أتت فعلاً نــبويّاً، سبقت فضــمّخت بالطّيب جسدَه، قــبل موته ودفنه.

" ويتــوخّى الإنجيليّ أيضــاً الردَّ على مَن هزئ بيســوع وأتباعــه، لأنّه دُفِنَ محرومــاً من أيّ شعائر التكريم، حــتى من الدّهن بالطيب، كما يتوخّى تــبرير ما تُنفــقه الجمــاعة على أعــمال العــبادة، دون المسّ بواجب التــصدّق على الفــقراء. ويسوع يــدعونا إلى الاقتــداء بتلك المرأة، إلى أن نجــود على الفقراء جــودَها هي عليه" (أونجليون، تفسير على مرقس ١٤/٣–٩).

وأخيراً، لقد كـان أليق بالسيّد زكي الامتناع عن مثل هذه التُّهمِ الاعـتباطيّة والعامّة. فالأحكام العـامّة هي حجّة الضعيف. والحجّة الأضـعف في اتّهام الغير بما يجدُ المتّهِمُ في نفسِه من نوع التّهمة إيّاها.

في واقعة **إعداد الفصح**، ذكر مرقص أنّ المسيح قال لإثنين من تلاميذه: "إذهبا إلى المدينة، فيلاقيكما إنسانٌ حامل جرّة ماء" (١٤/١٣)، ومثله قال لوقا (٢٢/١٠)، ومـتّى حوّله إلـى "فلان" (٢٦/١٨). على هذه يعلّـق السيّـد زكي فيقول:

"والسؤال الذي يطرح نفـسه: لماذا لم يذكـر الملهمون الثـلاثة إسم "حامل جرّة الماء"، أو "فـلان هذا"، حتى يدخل إسـمُه التاريخ! هـل إسم الأعمى الذى حـدّده لنا بـــ"بارتيـمـاوس"، أو رئيس المجـمـع بـ"إيروس"، أو "زكّـا"، أو غـيرهم.. أهمّ من اسم الذي دلّهم على الـبيت الذي تناول فـيه المسـيح العشـاء الأخيـر!؟.. ثم لماذا لم يحدّد المسيح هذا البـيت مباشرة، ويقـول: إذهبوا إلى بيت زيد من الناس! هل كـان المسـيح عاجـزاً عن ذلك!؟.. أم لأنّ ذلك البـيت لم يكن سوى بيت "**برنابا**" تلمـيذ المسـيح المُخْلص.. برنابا الـذي باع حقلَه وكلَّ مـا يملك..برنابا صـاحب الإنجـيل المشـهور.. لذلك حـذفت الكنيـسـة إسمـه هنا.." (٧٦١-٧٦٢).

نقول:

لم يسمِّ أحدٌ من الإنجيليّين صاحبَ البيت؛ لأنّهم لم يسمّوه، ولأنّهم لم يجدوا ضرورةً لذلك. إلاّ أنّ بعض الأنـاجيل المنحولة تذكـر اسمَه، وهـو يوحنّا مرقس، خال برنابا الذي سنرجئ الكلامَ عليـه إلى فصل خاصّ.. وقد يكون ذكـرُهم لهذا الاسم صـحـيحاً، كـما قـد يكون خطأ. فلا مندوحة من ذلـك، ولا فائدة. وفي كلّ

حال لم يكن إهمالُ الإنجيليّين إسمَ صاحبِ البيت بسبب موقفهم العدائي من مرقص وابن أخته، أو بسبب مواقف الكنيسة من برنابا وإنجيله... هذه المواقف لم يُعرْها أحدٌ انتباهَه قبل اكتشاف المسلمين لما يُسمَّى "إنجيل برنابا".

على كلام المسيح: "**هذا هو جسدي. هذا هو دمي**" (متى٢٦/٢٦-٣٠)، يعلّق السيّد زكي قائلا:

"إنتبهْ جيّداً عزيزي القارئ!. هذا تشبيه مقزّز، يدعو للغثيان والتقيّوء. ولا يمكن للمسيح أن يضرب مثلاً كهذا. فلو كنتَ أحدَ المدعوّين لَمَا أكلتَ. ولو كنتَ تريدُ أن تشربَ لَمَا شربتَ... إنّ هذه الرواية مدسوسةٌ، جملةً وتفصيلاً. ولم تحدثْ إطلاقاً، لأنّ شربَ الخمر والدماء محرّمٌ بإجماع جميع الشرائع السماويّة. لأنّها سببٌ في ذهاب العقل الذي هو مناط التكليف..

"ونحن نسأل كلَّ ذي لبٍّ عندهم: متى كان الدم والخمر -وكلاهما محرّمان- يغفران الخطايا بزعمهم! فأيّ منطق معكوس هذا!؟ لقد صوّرت لنا الأناجيل أنّ المسيحَ أكّولٌ وشرّيبُ خمر، لا يفارق الكأسُ يدَه، ومعاشرٌ للخاطئات..

"ثمّ جاء يوحنّا بأغرب ممّا جاء به زملاؤه، إذ صوّر لنا المسيحَ وكأنّ الخمرَ قد دارتْ برأسه، فخلع ملابسَه، واتّزرَ بإزارٍ وضعَه على وسطه، وأخذَ يغسلُ أرجلَ التلاميذ ليعلّمَهم أن سيّدَ القومِ خادمُهم.. مشهد مضحك.. منظر يضحك الثكالى: نرى فيه قسّيساً كبيراً في السنّ، لحيتُه بيضاء، وقد اتّزرَ بإزارٍ لَفَّهُ حول وسطه، وشمّرَ عن ساعده، وأخذَ يغسلُ أرجلَ القساوسة الأصغر سنّا!! مساكين" (٧٦٩-٧٧١).

نقول نقلاً عن تفسير أونجليون:

هنا "تقليد طقسي عريق، ترى فيه الكنيسة، منذ نشأتها، الطريقَ الفضلى إلى لقاء ربّها وفاديها، وبناء وحدتها. ويرد ذكرُ هذا التقليد في نصوص أربعة من العهد الجديد: متّى٢٦/٢٦-٢٩؛ مر١٤/٢٢-٢٥؛ لو٢٢/١٥-٢٠؛ ١قور ١١/٢٣-٢٦".

"وكان اليهود، في عشاء الفصح، يقومون بطقوس، ويتلون صلوات، يباركون الخبز والخمر خاصّة. وقد أدخل يسوعُ سرّاً خلاصيّاً جديداً، سرّ الإفخارستيا، سرّ حضوره في الخبز والخمر.

"وحين قدّس يسوعُ الخمرَ شدّد على طابع الذبيحة وغفران الخطايا، مشيراً إلى أنّ موتَه على الصليب هو العهد الجديد، الذي يخلف العهد القديم (خر٢٤/٨)، وهو الخلاص الذي حقّقه اللّه لشعبه (خر١٢/٧-١٤)، وهو فدية خادم اللّه المتألّم عن خطايا البشر (أش٥٣/١١).

ثم إنّ دمَ يسوع هو دم العهد الجديد بين اللّه والإنسان، بدل العهد القديم الذي تمّ هو أيضاً بالدم، ولكن دم الذبائح الذي رشّ به موسى مذبحَ اللّه والشعب (خر٢٤/٥-٨).

هذا السرّ، سرّ الإفخارستيا، سرّ الوليمة، أو "المائدة"، ليس في متناول غير المؤمنين. ولذلك على المسيحيّين أن ينتبهوا إلى أن "الأقداس للقدّيسين"؛ وليس عليهم أن يعلنوا سرَّ خلاصهم لغير المؤمنين.

وبالإضافة إلى ذلك كلّه، نسألُ السيّد زكي:

أوّلاً- ما الذي يقزّز بدَنَه! وهلاّ فعلتِ الخمرةُ فعلَها حقّاً أم أنّ السيّد زكي يرى ما لم يرَه الرّسل والقساوسةُ خلفاؤهم!

وثانياً- هل المسيح حقّاً أكّول وشرّيب ومعاشر العاهرات!

وثالثاً- هل غسلُ يسوع أرجلَ تلاميذه دليل فسقٍ وعهرٍ أم دليل تواضعٍ وخدمة!؟

ورابعاً- مـا الذي يُضحكُ في مـثل هذه "المائدة" التي يتكلّم عليهـا القرآن نفسُـه بورع وإجلال وتقـديس!!. "قال عـيسى ابن مـريمَ: اللّهمَّ ربَّنَا! أنزلْ علينا مائدةً من الـسماء تكونُ لنـا عيداً لأوّلنا وآخـرنا، وآيةً منكَ. وارزقنا وأنتَ خـير الرازقين" (سورة المائدة ٥/ ١١٤).

وعلى دعوة المسيح تلاميذَه **لأكل جسده وشرب دمه** (متى ٢٦/٢٧)، يعلّق السيّد زكي:

"لو صحّ قـولُ الكنيسـة أنّ كلّ شخص أكل الفطيـر وشرب الخمـر يكون المسيحُ فيه وهو في المسيح، لأصابه انفصـامٌ في الشخصيّة؛ لأنّه أصبح ذو(كذا) شخـصيّتين: شخـصيّته الحـقيقـيّة أوّلاً، وشخصـيّة المسيح التي دخلتْـه ثانياً؛ ولتعاركت الشخـصيّتان في ذاته.. وعندها لا بدّ من إدخاله إلى أقرب مـستشفى للأمراض العقليّة، لأنّه، عندها، يكون خطراً على نفسه وعلى المحيطين به.. هذا من ناحية، ومـن ناحية أخرى، حيـث تزعم الكنيسة أنّ عيـسى إلهاً يكون كلّ من أكلَ جـسدَ الإله قـد أصبحَ إلهـاً قائمـاً بذاته، فعنـدها، كم إلهاً يصـبحُ في الكون!؟" (٧٧٧).

نقول:

إنّ تناولَ جسد الربّ و دمـه هو مشاركة تامّـة بين اللّه والإنسان. لولاها لما حصل إنسـانٌ على قداسـة أو على خلاص. ولما نال إنسـانٌ مغفـرةً على خطاياه. وهنا يكمن سـرّ المسيحـيّة العـميق. إنّه سرُّ بقـاء اللّه مع البشـر، واستـمراريّة تجسّده بينهم، ومشـاركته لهم في حياتهم، ومحبّـته العظمى ، وعمله الإلهي على خلاصـهم، وتحريرهم ممّا رموا أنفسَهم فيه من عـبوديّة الناموس، وسـعادتهم الحقيقيّة التي لا تكون، في جوهرها، إلاّ مع اللّه وفي اللّه..

على طلبِ المسيح من أبيه السـماوي لكي ينجّيه من الآلام (متّى ٢٦/٣٦-٤٦)، يعلّق السيّد زكي:

"إذا كان الاتّفاق بين اللّه ونفسهِ، فمن الذي أخبرَها (أي للكنيسة) به!؟

"إذا كان الاتّفاق بين اللّه وعيسى، فأيضاً مَن الذي أخبرَها به!!؟

" في أيٍّ من السماوات السبع تمّ ذلك الاتّفاق؟ ومَن كان الشهود عليه!!؟؛

"إذا كان ذلك الاتّفـاق حقيقـةً، فلماذا طلب عيـسى من تلاميذه أن يبيـعوا أثوابَهم ويشتروا سيوفاً!؟ أَلِيُقَشِّرُوا بها التفّاح!!؟

" لماذا صلّى عيـسى بلجاجة حتى صـار عرقُه كـقطرات الدم طالباً من اللّه النجاة!!؟ (٧٩٥-٧٩٦).

نقول نقلاً عن تفسير أونجليون:

" في جـتسمـاني صلّى يسـوع، قبل آلامــه وموته. هذا المكان يدعـوه يوحنّا " جبـل الزيتون "، ولعلّه كـان لأحد تلامـيذ يسـوع، لأنّ يسوع كـان يتردّد إلـيه (يو١٨/٢). فيه أيضـاً حفظ لنا التقليد المسيحي صـلاة يسوع بصورة أدقّ ممّا حـفظ سائر صلواته، ذكـر مـراحلها، وشـدّد على خـضوع يسـوع لإرادة الآب، وقبوله بالموت خلاصاً للبشر "...

ثمّ لنا على كـلام السيّد زكـي مآخذ كـثيـرة، وهي من نوع مآخـذه، وأقلّها سؤالنا له: مَن قال له إنّ السموات سبعٌ! ولِمَ يـسمّي التفّاح، وليس البلّوط مثلاً، ولماذا لا يقـول لنا من أيّ نوع هوهذا التّـفاح!؟.. ثمّ هل يعـجب بأنّ يسوع كـان يصلّي لأبيه السماوي، من أجلنا نحن، وليس لحاجته هو!

في قول المسيح ليهوذا: "يا صاحب" (متّى ٢٦/٥٠)، يعلّق ازكي:

هذا الكلام "يدلّ أوّلا على أنّ عيسى ليسَ إلهـاً، لأنّه، لو كان إلهاً، فلا يصحّ

أن يناديه "يا صاحب"، ويدلّ ثانيا على أنّ يهوذا لم يخنْهُ، وإلاّ لقال له: "يا خائن... وإلاّ فهذا خبصٌ وسوءٌ في التعبير" (٨٠٠).

نقول:

أحقّاً يلوم السيّد زكي المسيح على دعوته يهوذا بـ"صاحب"؟ أليس في كلامنا المألوف مثل هذا؟ ألم يسمع مثلَه من خصومه؟ فإذا قلنا مثلاً: "ألسيّد زكي"، فهل هذا يعني أنّه أصبحَ سيّدا، آمراً، حاكماً، يخضع له كلُّ ما في الكون!!! ألا فليدركْ السيّدُ زكي معاني التعابير وأبعادها في لغات البشر وعاداتهم! وإلاّ نكون نحنُ في وادٍ، ويكون هو في أخرى.

على قول اليهود (متّى٢٧/ ٢٥): **"دمه علينا وعلى أولادنا"**، يعلّق السيّد زكي:

"من حقّنا أن نسأل.. كيف يحقّ للبابا السابق، سنة ١٩٦٦، أن يغفرَ لهم (أي لليهود)، ويحلّهم من دم المسيح المزعوم!؟ أترى أنّ أمَّ البابا كانت يهوديّة؟ أم لأنّ اليهودَ هدّدوا البابا بكشف الحقيقة على الملأ، وكشْفِ السرِّ في أنّ المصلوبَ لم يكن عيسى، فخشيَ أن تنهارَ مسيحيّة اليوم كلُّها، فاضطُرّ بابا الفاتيكان وقتَها أن يذعن! لأنّ اليهود يملكون مخطوطات البحر الميت التي قال عنها النقّادُ أنّها قد تغيّرُ المفهومَ التقليدي للأناجيل!!

"فإذا هدّد اليهودُ بالكشْفِ عن أنّ المصلوبَ لم يكن عيسى انهارتِ مسيحيّةُ اليوم كلُّها من أساسها، وانهارتْ معها جميعُ الكنائس في العالم، بكلِّ المزاعم والطقوس التي زعمتها وغرستْها في عقول الناس، طوال عشرين قرناً. فطلبُهم من البابا أن يحلّهم من دم المسيح المزعوم طلبٌ متواضع جدّا، لأنّ بيدهم نسفَ المسيحيّة الحاضرة كلّها" (٨٢٨-٨٢٩).

نقول: أن تكون أمّ البابا يهوديّة فهذا ما لا نعلمه. وإن كانت فلا مندوحة.

أمّا أن تكون اكتشافات بحرِ الميت قد أماتت المسيحيّة، وأن يكون اليهود أخفوا السرّ فهذا أيضا جديد على حفظة السّر أنفسهم. والمعلوم من ذلك هو العكس تماماً.. وفي كلّ حال، المسيحيّة لا تتعلّق إلاّ بشخص المسيح نفسه. يعني ليست المسيحيّةُ طريقاً للخلاص، بسبب كتابٍ منزل، أو شريعة هابطة عليها من علُ، بل هي مسيحيّة بسبب المسيح نفسه، واقتدائها به، والسير وراءه، والتضحية بكلّ شيء في سبيله... فمخطوطات بحر الميت، بالرّغم من كونها تستند إلى الأنجيل، وتأخذ عنه، لا تقدّم ولا تؤخّر في حقيقة المسيحيّة وانتسابها إلى المسيح وحدَه.

***

في ختام هذا الفصل، نلفتُ نظرَ القارئ إلى ما يلي:

أوّلاً- يُخطئُ القارئ إنْ اكتفى بما نقلناه من عيّنات من منطق السيّد أحمد زكي، وأسلوبه، وتعابيره، وألفاظه.. فما هذه إلا نتفٌ اخترناها للدلالة على هذا المنطق، أكثر من أن تكون هي وحدَها البرهان.. وما كان بوسعنا نقلَ الكتابِ كلّه، لأنّه كلَّه يتمتّع بهذين المنطق والأسلوب.

ثانياً- ما كان في بالنا أن نردَّ على أيٍّ مقولة من مقولات السيّد زكي، خشيةً منّا من الترداد. وحسباناً منّا بأنّ منطقَه يختلفُ عن منطقنا.. ممّا يجعلنا نقول بأنّ المنطلقات المسيحيّة لا تتّفق في شيء والمنطلقات الإسلاميّة، التي يدعو السيّد زكي إليها. لهذا، رأينا من الصعوبة بمكان في أن نركبَ موجةً واحدة.

ثالثاً- ومع هذا، قد حاولنا الردّ السريع، لا من حيث ما أعطيناه من حقائق ومبادئ تؤمن بها المسيحيّة، بل من حيث التدليل على منطقٍ يستعمله السيّد زكي بطريقة خاصّة لا تأتلف مع المنطق المألوف في الكتابة والتأليف.

الفصل الثاني

"هذا الكتاب"

يبـدأ السيّـد أحمـد زكي كتـابه بمقـدّمة، تحت عنوان: "هذا الكتــاب"، من صفحـتَين ونصف الصفحة(٥–٧). يكشف فيـها عن أهدافه التي سيبيّنهـا عبر الكتاب؛ وأخـصّها "تخليص الملايين من الأنـفس البريئة المضلّلة". غـير أنّ هذا الهدف الرئيسي، كـان "وراء كلّ سطر من سطوره جهد كابد الصعـاب، وصبر اسـتنفذ الليـالي"(٥). ومع هذا، لا شيء يحـول دون نشدان الحقّ، أكـان من قِبلنا، أم من قِبَل السيد زكي.

وطريقة ردّنا، في هذا الفـصل، كما في الفـصل التالي، وكمـا قلنا، ستكون تفصيليّـة، أي: نعرضُ كلامَ السيّد زكي، ثمّ نجـيب عليه مباشرة؛ وذلك ليـتبيّن القارئ مدى الاخـتلاف بين منطقَين وأسلوبَين وتوجّهَين وإيمانَين مـختلفَين في كلّ شيء..ونعـتذر، مـرّةً أخرى من القـارئ، من بعض التكرار والتـرداد الذي يقتضيه الردّ وكلُّ ردّ.

هذا منطلقنا. ولئن شططنا عنه بعضَ الشيء، فلأنّ طارئًا ما يكون قد حجب عن أعيننا النور. عن هذا، نطلـبُ السماح، سلفاً. وليس منّا واحـدٌ لم يطعن أخاه بتمسّكه بما يظنّه حقّـا بين يديه. ولكنّ الأقربَ إلى قلب اللّه هو ذاك الذي يتمسّك

بأخـيه ولو طعن بقلـب الحقّ... ومع هذا يجب أن نتلاقـى على قاسم مـشتـرك، ولكن بعد تفنيد الأقوال والمواقف والأحكام. فإليها واحدةً فواحدة.

يقول السـيد زكي: **"في عالمنا الـيوم قرابة البليـون ومئـتا ألف إنسان يعتقـدون بطيبة خاطر أنّهم مسيحـيّون. ولكن! هل هم حقّاً كـذلك!؟ أي من أتبـاع المسـيح عيـسى.. أم يتـبـعـون غيـرَه ولا يدرون!!!؟" (٥).**

نقول:

١. بأي حقّ يستطيع السيّد زكي الحكمَ على بليون ومئتَي ألف إنسان!

٢. بأي حقّ يستطيع أن يتّـهم الناسَ بالجهل، فيقول عنهـم بأنّهم لا يعرفون إن كانوا يتبعون عيسى المسيح أم يتبعون غيرَه. وهم لا يدرون!.

٣. ثم ماذا يعرف السيّد زكي عن المسيـحيّة والمسيح؟ هل ما جاء في القرآن عن المسـيح عـيسى هو الـصواب؟ أم أنّ القـرآن عـرف عن المسـيح ما عـرف بالاستناد إلى معارف بعض الفرق النصرانيّة، كالإبيونيّة مثلاً.

٤. ومَن هم أتباع عيسى القرآن؟ هل هـم غير المسلمين؟! نترك الجواب إلى فصول آتية.

ويكمّل: **"إنّ هذا الكتابَ.. مـفتوح لكلّ مَن له عـقلٌ سليم؛ ويريد أن يكون عقلُه هو الحَكَم. لا تحكـمه التقاليـد أو البدع أو الأوهام. لذا فأنا أدعو كلّ عاقل منهم (أي من المسيـحيّين) إلى قراءة كتابي هذا بعقل مفتوح" (ص ٥).**

نقول:

١. نلبّي الدعوة، لأنّنا ممّن يُغريه البحثُ عن الحقيقة أكثر من الحقيقة نفسها. ونتطلّع باستمرارٍ إلى ينابيع العلم لنستقي منها. وننشد التطوّر والكلمة الحرّة مهما كانت الصعاب إليها كثيرة... ولسنا نرجو، في النهاية، إلاّ نعمةَ اكتشاف غنى اللّه.. ومع هذا، لن يكون بمقدورنا توزيع المعرفة على أحد.

٢. ثمّ إنّنا نعتبر أنفسَنا معنيّين بدعوة السيّد أحمد زكي... فنحن من القرّاء الباحثين عن العلم والمعرفة، ومن الذين يستميتون في التعامل مع الفكر والعلم وتطوّر الإنسان "بعقل مفتوح".

٣. نريد ذلك كلّه، لأنّنا نريد أن "ننفتح" على السيّد زكي، وأن "ينفتح" علينا إلى أقصى درجات الانفتاح.. وكم تمنّينا عليه ألاّ يحكمَ علينا، منذ الصفحة الأولى من كتابه، بأنّنا "ضالّون مضلّلون"؛ ولا أن يشكّك فينا بأنّنا نعتبره غيرَ صادق وغير مخلص في دعوته... جلّ ما نريد منه أن يتركَ لنا باباً، أو كوّةً صغيرة، للحوار معه والانفتاح عليه. ولا يتّهمنا، بالتالي، بأنّنا نحكم بـ"التقاليد والبدع (؟) والأوهام".

ويقول السيّد زكي: "**ونحن مع.. البحث عن الحقّ أينما كان.. من اجل تحرير العقول، وخلاص الملايين من الانفس البريئة المضلّلة، التي كبّلتْها أيادي خفيّة بالخرافات والعقائد الوثنيّة في عهد الظلمات، بعد أن أخفى أصحابُها عنهم دينَهم الصحيح، وأظهروا لهم دينا آخرَ بدلاً منه، زاعمين لهم أنّ ذلك الدين الآخر هو دين المسيح، ففرضوه عليهم تحت طائلة الحرمان، أو التعذيب، أو الحرق على الخازوق. فقتلوا بذلك الملايين من الابرياء، ثمّ**

استغلوا مَن بقي منهم أحياء، واستغلّوهم أبشعَ استغلال، فباعوهم صكوكَ الغفران، وسلبوا أموالَهم وأملاكَهم، وصرفوا ما جمعوه على مجونهم وملذّاتهم باسم المسيح.." (ص ٥).

نقول:

١. ..ونحن أيضاً مع "البحث عن الحقّ أينما كان".. ولكن، لا من أجل الادّعاء بأنّنا قد امتلكنا الحقّ، ولكن من أجل المضي في البحث عن الحقّ أكثر. وكذلك من أجل حثِّ غيرِنا ووضعِه في خطّ البحث أيضاً. نريد البحثَ عن الحقّ، لا من أجل اتّهام الآخرين والادّعاء بـ"تحرير عقولهم"، و"خلاص الملايين" منهم.. نقول: هذا ادّعاء وكبرياء، وليس بحثًا ودعوة..

٢. ثم مَن هي الأيدي الخفيّة التي كبّلتِ العقولَ بالخرافات، طوال عهود وعهود من الظلمات؟!! أيُعقلَ هذا؟ أيُعقلُ أن يسير الإنسانُ -وبنوع خاصّ الإنسان الذي وصل بالعلم والاختراعات إلى ما وصل إليه- ولا يزال، حتى اليوم، يسير وراء خرافات وأوهام؟!.. إنّنا، بالمقارنة بين ما قدّمه السيّد زكي للعالم من علم ورقيّ، وما قدّمه ذاك الإنسان المتّهم باتّباع الخرافات والأوهام، نميلُ إلى اتّهام السيّد زكي بالإصرار على إبقاء الإنسان متخلّفاً.. عفواً، لا نريد النيلَ من السيّد زكي، بل نريد أن نلفتَ نظرَه إلى أنّ اتّهام الملايين بالخرافات والأوهام قد ينقلبُ عليه سوءاً..

٣. ثمّ ما هو "الدين الصحيح"؟ ومَن هم الذين بدّلوه؟.. نقول: على هذين السؤالَين يدورُ كتابُ السيّد زكي كلُّه. وفي هذين السؤالَين إشارة إلى معتقد المسلمين في المسيحيّة كلّها. في رأيهم، إنّ المسيحيّة الحقّة هي غير هذه التي

يعتنقها المسيحيّون اليوم. والإنجيل الحقيقي قد ضاع. وأتباع المسيح هم "الشاؤوليون الكنسيّون الوثنيون" -تعريف مكرّر على لسان السيّد زكي-، أتباع شاؤول، أي بولس الرسول، "ألدّ أعداء المسيح"... وكتاب السيّد زكي يتلخّص في هذه المقولة. ولنا عودة إليها في كلّ مناسبة.

٤. من الصعب مجاراة السيّد زكي والقول معه بأنّ مؤسّسي الدين المسيحي، أي "الشاؤوليّين الكنسيّين الوثنيّين"، فرضوا على الناس دينَهم فرضاً، تحت طائلة الحرمان أو التعذيب أو الحرق على الخازوق.. هذه، إن حدثَتْ، فقد حدثَتْ في العصور الوسطى، لا مع مؤسّسي المسيحيّة الذين يقصدهم السيّد زكي... وفي كلّ حال، ليس من عقوبةِ قتلٍ على مسيحيّ مرتدٍّ عن إيمانه؛ وإنْ حدث ذلك في تاريخ الكنيسة، فها هي الكنيسةُ لا تزالُ في حالة توبة دائمة عمّا ارتكبتْه في حقّ المسيح والإنسان معاً.

٥. ونقول للسيّد زكي: إنّ المسيح أسّسَ كنيسةً، كنيسةً مؤلّفةً من أناسٍ عاديّين، هم خطأة، مساكين، معرّضين لكلِ خطأ وضلال.. إلاّ أنّهم، مع خطيئتهم وضلالهم، يستعملُهم الروحُ لخلاص البشر. والإنسانُ، في معتقد المسيحيّة، هو الواسطة لخلاص أخيه الإنسان. ومحبّة الإنسان لأخيه أولى من كلّ عقيدة ماورائيّة، أو حقيقة إلهيّة، أو كتاب منزَل، أو شريعة من السماء.. هذه حقيقة نقولها الآن. يرفضها السيّد زكي رفضاً قاطعاً. لأنّ الدينَ عنده أولى من الإنسان. والشريعة تُطبَّق على الإنسان.

٦. ونقول للسيّد زكي، وسيسمع قولَنا خلال ردّنا مراراً: إنّ الإنجيلَ الذي بين أيدي المسيحيّين اليوم، في رواياته الأربع، مع سائر أسفار العهد الجديد،

والقديم أيضاً، هو المرجع. وليس يوجد لديهم أيُّ كتاب آخر. هذا الكتاب عملُ بشر. كتبه إنسانٌ إسمه متّى، وآخر إسمه مرقس، وثالث إسمه لوقا، ورابع إسمه يوحنّا. لم يكن قبل هذه الروايات الأربع إنجيل واحدٌ أُنْزِلَ على عيسى، واسمه إنجيل المسيح. ولم يضيّعْ أحدٌ هذا الإنجيل، ليستبدلَه بآخر...

٧. ثمّ نقول للسيّد زكي: هذا هو إنجيل المسيحيّين، أمستَبدَلاً كان أم حقيقيّاً... ونتمنّى عليه لو يدلّنا على الإنجيل الحقيقي! أين هو؟ كيف هو؟ متى نزل على المسيح؟.. ونؤكّدُ له أنّنا سنتخلّى عن كلّ شيء إن وجدناه في أقبية الفاتيكان أو غيرها، كما يقول مراراً. وليس المسيحيّون، في كلّ حال، "أهلَ كتاب" حتى يتمسّكوا بكتاب، بل هم أتباع شخصٍ، إسمه المسيح، يفتدونه، ويقدّسُون اسمَه فوق كلّ إسم، في السماء وعلى الأرض.

يقول السيّد زكي: "**للأسف. جاء من بعده (المسيح) انبياء كذَبَة كثيرون، نقضوا الناموس، ونقضوا الانبياء، فكمْكَموا المسيحَ، واوثقوا رباطَه، والبَسوه قناعاً وراء قناع، زاعمين انّ اقنعتهم تلك هي المسيحيّة الحقّة، بعد ان غلّفوها بالطلاسم والاسرار، وجعلوها لغزاً من الالغاز، احتار فيها كبارُ علمائهم، كما احتاروا في ربّهم، اهو واحد في ثلاثة؟ أم ثلاثة في واحد؟ فغشّوا بذلك الملايين من الناس، حتّى يومنا هذا... وإنّ هذا الكتابَ محاولةٌ جادّةٌ لفكّ الطلاسم والاسرار**" (ص ٦).

نقول: مقصود السيّد زكي واضح. وهو موضوع كتابه الضخم: إنّ مرجع المسيحيّين، كما هم عليه اليوم، ليس المسيح، ولا إنجيل المسيح الحقيقي، ولا

الدين المسيحي القويم الذي أتي به عيسى، بل هو شاؤول، أو القديس بولس، ومعه المجمّعات الكنسيّة... موضوعات الإيمان المسيحي، كما هي اليوم، من تثليث، وبنوّة المسيح الإلهيّة، والقول بالروح القدس، إلى دور الكنيسة في الخلاص، إلى الأسرار المقدّسات، إلى القوانين والشرائع.. كلّها من تأسيس شاؤول، وتأليفه، وتلحينه، ومساهمة الكنيسة، وبنوع خاصّ في مجمع نيقيا سنة ٣٢٥.

نقول للسيّد زكي:

١. لا يزال يسوع المسيح، عند المسيحيّين، هو هو أساسُ معتقدهم، وحياتهم، وسلوكهم، وتوجّهاتهم، ومثالهم، وقدوتهم، ومرجعهم في كلّ شيء. فهم، ونردّدُ قولَنا، ليسوا "إنجيليّين"، أو "أهلَ كتاب"... حجر الزاوية عندهم واحد هو يسوع المسيح. ولا يتوسّلنَّ أحدٌ بأحدٍ إلاّ ليعينَه للتشبّه بيسوع المسيح والاقتداء به واتّباعه.

٢. فالعلاقة بين المؤمن والمسيح علاقة خلاصيّة، شخصيّة، حميمة. لذا يترك بعضُ المسيحيّين كلَّ شيء من أجل المسيح. بل هم على استعداد تامّ لحمل الصليب، وتحمّل الآلام ومشقّات الحياة، والاستشهاد في سبيل ربّهم.. وليس شاؤول، أو أيُّ رسول سواه، مهما علا كعبُه، بديلاً عن المسيح.. ويمكننا استعارة أقوال شاؤول لنؤكد للسيّد زكي قولنا، بأنّه "مَن يفصلُنا عن محبّةِ المسيح؟ أضيقٌ أم حَصرٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عُريٌ أم خَطرٌ أم سَيف؟.. إنّا من أجلكَ نُماتُ النهارَ كلَّه، وقد حُسبنا مثلَ غنمٍ للذّبْح" (رومة ٨/ ٣٥-٣٦).

٣. وشاؤول، المتّهمُ الأساسي بتبديل الإنجيل والدين المسيحي الحقيقي،

وبإلباس المسيح قناعاً من أقنعة التزوير والدجل، تحوّلتْ حياتُه، ومسيرتُه، وقناعاتُه كلّها. وتحرّر من شرائع الأنبياء السابقين. وطَعن بكلِّ شريعة لاحقة سوف لا تستوحي تعاليم المسيح..

٤. ثم إنّ لفظة "الأسرار"، التي يحلو للسيّد زكي استعمالها ليتّهم المسيحيّين بالتستّر والطلاسم والألغاز، ليست هي بهذا المعنى إطلاقاً. إنما هي، في القاموس المسيحي، تعني "مقدّسات"، أي: إذا مارسها المؤمن ينالُ نعمةً، ويحصلُ على قداسة نفسه..

٥. ونعود إلى "واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد" لنقول للسيّد زكي بأن لا يخاف على وحدانيّة الألوهة، في طبيعتها وكمالاتها كلّها؛ فهي مصانة في المعتقد المسيحيّ صوناً عظيما. ولن يفيدَها تشدّدُ السيّد زكي، كما لن يخلخلها إيمان المؤمنين باللّه الأب والابن والروح القدس... ثم لو يدري السيّد زكي، ومَن قالَ قولَه، أنّه بإيمانه "الصمدي" هذا مشركٌ أكثر ممّا هو موحّد، لآثر الثالوث على ما به يؤمن.. وسوفَ تتوالى عليه الأدلّة، بقدر ما سنسمعه يردّد علينا حسابات الثلاثة في واحد والواحد في ثلاثة.. ومع هذا، لا نبغي إقناعَ السيّد زكي في ما لا يستطيعه، إذ ينقصُه الآن شيءٌ ما. لا يستطيع أحدٌ توفيرَه له، إنْ لم تكن النعمة. هذه، إن انفتحَ على إخوته البشر، لن تكون عنه بعيدة.

٦. نأمل من السيّد زكي، بعد أن أفرغ ما أفرغ من نفسه في كتابه، أن يتخلّى في حياته عن مساعدة المسيحيّين في فكٍّ ما عندهم من أسرار وألغاز وطلاسم. إنّها مهمّة مستحيلة. و"البليون والمائتا ألف" يدركون جيّداً أنّ أسرارهم مقدّسات، وطلاسمهم نعم تترى، وألغازهم أقلّ من ألغاز هذا الكون. وهذه كلّها

تهون أمام إنســان يُحبُّ ويسامحُ ويغفر.. وعلى الســيِّد زكي، لكي يصل إلى هذا المستوى، أن يلتمسَ من ربِّه نعمةً واحدةً، وهي نعمة محاربة الشرِّ الذي فيه، قبل أن يحاولَ فكَّ الطلاسم، ومــحاربة الشرِّ الذي في ســواه. هذا السلوك هو الشرّ بعينه.. نقول ما نقوله، لأنَّ السيِّد زكي، على ما يبدو، تحمّل مشقّات جمّة من أجل إصلاح غـيره. قـال: "أفعلُ ذلك من أجل المســيح (ليخلِّصه مــن براثن شاؤول والمجـمّعـات الكنسيّـة) ومن أجل كلّ من يحبّ المســيح (أي المسيـحيّين أتبـاع شاؤول)" (٧).



الفصل الثالث

أصالة الكتب المقدّسة

سنستعرض هذا الفصل، ونردّ عليه، كما جاء في كتاب السيّد أحمد زكي. وهو تحت عنوان "أصالة الكتب المقدّسة عند اليهود والنصارى والمسلمين" (ص ٨-٦٠). يتكلّم فيه على:

أوّلا- التوراة وأسفار الأنبياء (ص ٨-٢٩)،

ثانيا-العهد الجديد-الأناجيل وملحقاتها (ص ٢٩-٤٦)،

ثالثا- القرآن (ص ٤٦-٦٠).

ويبيّن التناقض فيها، ما عدا القرآن. ويعمل على نقضها حتى يستطيع، فيما بعد، إظهار تفكيره الصريح بعيسى ودين عيسى وإنجيل عيسى. ويبدأ كلامَه بقوله: "**ولكي نوفي هذا النبيّ العظيم (المسيح) حقّه، يتحتّم علينا أوّلاً أن نتأكّد من أصالة هذه الكتب. هل هي من وحي الله أم لا؟**" (ص ٨).

نقول: لا بأس في ذلك، إذا كان عند السيّد زكي علم ومعرفة في الأمور اللاهوتيّة، في المعتقدات المسيحيّة، والمجامع الكنسيّة، والتاريخ الكنسي، والآباء، والطقوس، وبنوع خاصّ، علوم البيبليا، مع ما يستلزم ذلك من ثقافة واسعة، ولغات، أقلّها العبرانيّة، واليونانيّة، واللاتينيّة، والسريانيّة، ثمّ الإنكليزيّة،

والألمانيّة، والإفرنسيّة، والعربيّة، وسواها... بالإضافة إلى التخصّص في أحد معاهد الأبحاث البيبليّة، والأثارات، وعادات شعوب الشرق القديم...

ولكن، بعد مطالعتنا كتاب السيّد زكي، لم "نشتلق" على أنّه غاصَ في علم من هذه، أو أتقن لغةً تفيده.. جلّ ما كان في جعبته الكتاب المقدّس، في عهديه القديم والجديد، باللّغتين الإنكليزيّة والعربيّة.. والقرآن الكريم الذي قدّم للسيّد زكي التوجّه والحقائق كلّها.

أوّلا- التوراة وأسفار الأنبياء

يسأل السيّد زكي: "**مَن الذي كتب التوراة التي بين أيدينا اليوم؟**". يجيب هو بنفسه على سؤاله: "**لا هو الله ولا هو موسى**". ويتأكّد من جوابه بما وجده عند "**الناقد الفرنسي الدكتور موريس بوكاي، ويشاركه الكثيرون، أنّ كاتب هذه الأسفار جميعها هم اليهود وليس الله**" (ص ٨-٩).

ثم يعقّب على كلامه ويقول: "**هنا يتّضح لنا أمرين** (كذا):

الأوّل- إنّ توراة الله الحقيقيّة قد ضاعت؛

الثاني- إنّ العبث جرى في إعادة تدوينها من الذاكرة من قِبَل البشر" (ص ١٠).

إلاّ أنّنا نودّ أن نذكّر السيّد زكي ونقول له:

١. ليست التوراة، في نظر المسيحيّين، كالقرآن، في نظر المسلمين، كتاباً

مُنْزَلاً من فوق، كتبَه اللّهُ بيده الإلهيّة المعصومة، ثم دفعه لموسى، منجَّماً، أو دفعةً واحدة... هذا أمرٌ واضحٌ جداً، ومفروغ منه، في مفهوم المسيحيّين للوحي.

٢. ليس في منطق الوحي المسيحي قولٌ بأنّ توراةً حقيقيّةً ضاعت، وتوراةً محرّفةً حلّت مكانها...

٣. وليس في مفهوم المسيحيّين للوحي أن يكون اللّهُ هو كاتبُ التوراة. وبالتأكيد أنّه ليس للّه فيها حرفٌ واحد.

٤. كما ليس في مفهوم المسيحيّين للوحي أن يكون موسى هو أيضاً كاتبها. بل قد لا يكون لموسى فيها حرفٌ واحد.

٥. في المسيحيّة، ونردّد، وحيٌ لا إنزال، كما هو الحال في القرآن. وفي المسيحيّة إلهامٌ إلهيٌّ لبشرٍ يكتبون، بأسلوبهم الخاصّ، ولغتهم، وعواطفهم، وشخصيّتهم كلّها، لا أحكامٌ إلهيّةٌ مبرَمة، تقضي على شخصيّة الكاتب.

٦. لهذا، فمن الطبيعي أن يرتكبَ كَتَبَةُ الوحي أخطاء علميّة وتاريخيّة وسياسيّة وغيرها، تعود إلى طبيعتهم البشريّة الضعيفة، وثقافتهم القليلة؛ أو إلى تاريخهم المتقلّب؛ أو إلى العلم المتطوّر؛ أو إلى الصراع المستمرّ بين الخير والشرّ، الذي لا يستطيع أحدٌ التحكّم به.. هذا الضعف يلازم كَتَبَةَ الوحي لأنّها تلازم البشر.

٧. وليس مسيحيٌّ واحد يهمّه البحث عن الحقائق العلميّة أو التاريخيّة

وغيرها في كتبه المقدّسة. ولا هو يفـتخرُ إذا ما وجدَ أصولَ علمٍ ما في كتابه، ولا يُضلّل أيضاً إذا ما وجدَ فيه ضلالاً أو خطأ.

بالاستناد إلى مفهوم السيّد زكي القرآني للوحي، كان من الطبيعي أن يجد التوراة "**مليئة بالأخطاء والمغالطات**". وفيها، بحسب مجلّة "**إستيقظوا**"، لشهود يهوى، عدد ٨/٩/١٩٥٧، "**خمسون الف خطأ. ولا تزال تحوي العديد العديد من الأخطاء**" (ص ١٠).

وإثباتاً لهذه النظريّة، يعطي السيّد زكي نماذج كثيرة من "**الاخطاء والاكاذيب والفضائح**".

منها أخطاء علميّة، لا تتفق ومعطيات العلم الحديث، مثل خلق آدم، ووجود المياه في بداية الكون، ووجود النور قبل الشمس، ووجود العشب والخضرة قبل الحرارة والنور، وخلق الأرض والقمر قبل خلق الشمس.. (ص ١٠-١٤)

وهناك صفات لا تليق بكمال اللّه، مثل: اللّه يستريح من التعب، اللّه يحزن ويأسف. اللّه يخشى الناس فيبلبل لسانهم. وموسى يرى ظهرَ اللّه. وموسى وهارون وشيوخ إسرائيل يرون اللّه ويأكلون ويشربون في حضرته. واللّه يسكن في وسط اليهود (ص ١٤-١٨).

ومنها أنّ اللّه يوصي اليهود بالسرقة، وأنّه ينطق فحشاً ورذالة (١٨).

ومنها أنّ سفراً كاملاً، نشيد الأناشيد، كلّه غناء فسْقِي (١٨-٢٠).

ومنها القذف في أنبياء اللّه وأزواجهم وأولادهم واتّهامهم بالزنى (٢٠-٢٣)...

يقول السيّد زكي: "**نستطيع أن نستنتج من كلّ ما مرّ معنا أنّ ما يُسمّى اليوم بالكتاب المقدّس لم يكتبه اللّه ولم يكتبه موسى، لذا**

جاء فيه الكثير الكثير من الكذب والأخطاء والتحريف.. إلاّ أنّه لا زال فيه بعض الأجزاء الحقيقيّة من كلام الله" (٢٩).

نقول للسيّد زكي:

١. إنّ مقاييس الوحي تختلف تماماً بين المفهوم القرآني والمفهوم التوراتي: ألوحي القرآني مُنْزَلٌ من عند اللّه مباشرةً، والوحي التوراتي كتبه بشرٌ خاضعون للخطأ والضعف.

٢. ألوحي التوراتي وحيٌ تاريخيٌّ، يواكبُ الأحداث التاريخيّة ويلتزمها، فيما الوحي القرآني، في معتقد المسلمين، مرتبط "بعمد السماء وبالأفق الأعلى".

٣. اللّه في الوحي التوراتي له مع البشر علاقة حميمة، عبّر عنها بأنّه يحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، ويتألّم، ويسعد.. إلخ. فيما اللّه، في الوحي القرآني، كلّيّ، واحد، أحد، صمد، متعالٍ، متسامٍ جدّاً، وكأنّه لا علاقة له بالبشر.

٤. إنْ اعتنى إلهُ القرآن بالبشر، أو أحبّهم، فهذه علامات ضعف فيه. وإن وجَد الإنسانُ المسلم في اللّه بعض العناية والمحبّة، فليس لأنّ هذه موجودة في ذات اللّه، بل لأنّ الإنسان يحتاج إلى أن يجدها في اللّه.

٥. إنّ الوحي التوراتي يتناول البشرَ كما هم، في خيرهم وشرّهم، يصفهم كما هم، يصوّر واقعهم، ويستخلص منه العبر.. ولكأنّ اللّهَ يستفيد من ضلالات البشر وأخطائهم ليوحي إليهم بحقائق تفيدهم... لهذا، ليس على اللّه، في الوحي

التوراتي، أن يغيّر طبائع البشـر، أو أن يتعدّى على حرّياتهم، أو أن يتخطّى نظامَ الكون الذي رسمَه منذ البدء... بل هو حال الله في القرآن أن يكونَ هو هو، ثابت، مستقرّ، لا يتفاعل ولا يتعامل مع من خلق.

ثانيا- العهد الجديد-الأناجيل وملحقاتها

يتناولُ السيّد زكي موضوعات كـثيرة في هذه النقطة، لأنَّها تؤلّف أساساً موضـوعَ كتابه. فهـو، هنا، يتكلّم على التزوير المكشوف والملمـوس في الأناجيل، وعلى الإنجيل الحقـيقي الضائع، الذي يحتفظ به الـفاتيكان. هذا وإنّ الأناجيل التي بين أيدينا اليـوم ليست مـوحاة، لأنّ كتَـبَتَهـا ليسـوا من تلاميـذ المسيح، وليسوا أنبياء حتى يوحَى إليهم. والدليل أنّ اختـلافاً بين بعضها بعضاً، ثمّ بينها وبين أفعال المسـيح وأقواله.. وسنفصّل آراء السيّد زكـي هذه، ونتوقّف على ما قاله في هذا الاختلاف، ونبدي رأينا في ذلك.

الأوّل. بين الحقيقة والتزوير:

يوجز السيّد زكي قائلاً: "**إنّ العهد الجديد ليس حصيناً.. بل ظهر أنّه ممتلئ بالثغـرات، التي يمكن الهجوم عليه منهـا من كلّ جانب. لذا هاجـمه النقّـاد الغربيّـون المسيـحيّـون أنفسـهم.. وذهب عنه الامتياز المزعوم.**

"**والقضـيّة لم تعد قضـيّة العهد الجـديد وحده، إنّما قضـيّة العقيدة المسمّاة اليومَ زوراً بالمسيحـيّة. وما هي، في حقيقتها، إلاّ**

العقيدة الشاؤوليّة الكنسيّة الوثنيّة برمّتها" (٣٠).

"والنقّاد الغربيّون يعترفون صراحةً بأنّ المسيحيّة الحقّة انتهتْ بعد رفعِ المسيح بقليل. ودُشّن انتهاؤها سنة ٣٢٥ في مجمع نيقية.. وإنّ ما هو موجود اليوم ويحمل إسم المسيحيّة، فالمسيح بريء من معظمه.. والمسؤول عن التزوير، إذاً، بولس الرسول، ومجمع نيقية، والملك قسطنطين، والكنيسة جمعاء، صاحبة بدعة الثالوث التي كانت تعيش في ظلام الجهل وعدم المعرفة" (٣١).

"ولا بدّ للرجوع إلى رسالة عيسى الحقّة في الوحدانيّة، لا سيّما بعد اكتشاف مخطوطات البحر الميت، التي صدمتْ قساوسةَ النصارى وكهنةَ اليهود، على حدّ سواء، وبيّنت كذب تعاليمهم" (٣١-٣٢).

نقول للسيّد زكي:

١. ما هي رسالة عيسى الحقّة؟ ومن أين أخذ علمَه بها؟

٢. ما هي مصلحة الكنيسة ومجامعها، ونيّات شاؤول العميقة، في تبديل رسالة المسيح الحقّة. وأيّة تجارة رابحة، أو زعامة نافذة، يجدها السيّد زكي في الأمور الإيمانيّة والدينيّة؟

٣. كلّ مزوّر، أو صاحب مصلحة، إنما يأتي بالأسهل والأبسط والأقرب إلى مفاهيم البشر ليحوّلهم إليه ويتبعوه.. وهل العقائد التي علّمتها الكنيسةُ، بحسب قول السيّد زكي، كالثالوث، والتجسّد، والفداء، والصلب، والقيامة،

والقربان، والغفران، و... هي عقائد سهلة، حتّى يتبعها الناس، أم القول بوحدانيّة اللّه ونبوّة عيسى، وكفى، هو الأسهل؟!

٤. هل بولس الرسول فتحَ ديناً على حسابه، أم أنّه دعا إلى اتّباع المسيح مهما بلغت التضحيات من أجله؟ وهل سماع تعاليم بولس في الحثّ على احتمال كلّ ضيق من أجل المسيح لمّا يغري، أم هو ما ينفّرُ الطباع!! ألهذه الدرجة كان الناس كقطعان غنم وراء قساوسة الكنيسة، يسمعون منهم ما يسمّيه السيّد زكي "أوهاماً وألغازاً وخرافاتٍ وطلاسم"، أم أن الإنسان، أي إنسان، ضنين بحريّته، وشخصيّته، واستقلاله، ورفضه كلّ ما لا يناسب طبعه!!!

٥. ثم إنّ تعاليم الكنيسة في وثيقة المجمع الفاتيكاني، بحسب السيّد زكي، وجدت "لها تجاوباً عند الناس السذج والبسطاء من العامّة".. ولكنّه، بعد سطر واحد فقط، يعود ليقول: "إنّ محرّري هذه الوثيقة، وهم قابعون في بروج كنائسهم وأديرتهم العالية، لم يحتكّوا بالأغلبيّة الساحقة من عامّة الشعب" (٣٠).. كيف ذلك؟ أي كيف، من جهة، ألناس البسطاء السذّج هم الذين تجاوبوا مع تعاليم الكنيسة، ومن جهة ثانية، "أغلبيّة عامّة الشعب الساحقة" لا علم لهم بما تعلّمه الكنيسة؟!! نتركُ للسيّد زكي حلَّ هذا الإشكال.

٦. أمّا ما اكتُشف في مخطوطات البحر الميت فهو عكس ما يقول السيّد زكي. إنّ قمران تعطي دليلاً جديداً على المعلومات التاريخيّة في مرحلةٍ ما من مراحل العهد القديم. كما تعطي توضيحاً هامّاً لمعطيات الأناجيل ولبيئة المسيح الدينيّة.. ويعجبُ الباحثُ المطّلع من كلام السيّد زكي الذي يقول بأنّ مخطوطات البحر الميت تكذّبُ تعاليمَ المسيحيّين!!

الثاني. الإنجيل المخفي:

يقول السيّد زكي:

"كنّا نتمنّى لو انّ الفاتيكان تكلّم عن الإنجيل، وليس عن الاناجيل، أي عن إنجيل عيسى! لقد اختفى هذا الإنجيل بطريقة مريبة. ولا زال مخفيّاً عن الانظار حتّى يومنا هذا. وحتّى هذه الاناجيل الاربعة مشكوك فيها، بل وفي مَن نُسبت إليهم.. إنّه اعتراها التحريف والتبديل والحذف والإضافة، قبل وبعد إضفاء القداسة والشرعيّة عليها، وتسميتها بالاناجيل القانونيّة!! علماً بانّ القداسة والشرعيّة، في الأديان السماويّة، تاتي من اللّه، وليس بقرار من الكنيسة، أو أي سلطة على الأرض" (٣٢).

نودّ أن نوضحَ للسيّد زكي ما يلي:

١. الأناجيل "روايات"، أو "مذكّرات"، بحسب تعبير المجمع الفاتيكاني الثاني، في وثيقته عن الوحي، كتبها متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا، عن حياة معلّمهم وتعاليمه. ليست هي إذاً من صنع اللّه، ولا هي مُنزَلةٌ من عنده، من "اللوح المحفوظ"، كما يقولُ المسلمون عن القرآن.

٢. لهذا، فهي مكتوبة بأسلوب بشري، خاضع لشخصيّة الكاتب، ولما سمع، وعاين، وتذكّر، وتأثّر به من حياة معلّمه وتعاليمه.. فقد يعني حدثٌ ما من حياة المعلّم هذا الكاتبَ فيدوّنه، والحدث نفسُه قد لا يعني كاتباً آخرَ فيُهمله.. أمّا القرآن فلا يخضع، في مفهوم المسلمين، لهذه المؤثرات الشخصيّة.

٣. ثمّ إنّ الكنيسة، وهذا ما يرفضه السيّد زكي قطعا، هي التي تحكمُ، وترشد، وتعلّم، وتعينَ، وتميّز هذا الإنجيل عن سواه. وتعتبر هذا أو ذاك من الأناجيل بأنّه المرجع الصالح، الرسمي، والقانوني، في معرفة ما تيسّر لنا من حياة يسوع وتعاليمه والعمل الخلاصي الذي أتى به..

٤. وكم نرغب إلى السيّد زكي أن يمتنع عن القول الساذج الذي لا سند له ولا دليل عليه سوى ما جاء في القرآن، وسببه معروف، وهو أنّ إنجيل عيسى الحقيقي، الذي أنزل عليه من فوق، قد ضاع، أو ضُيِّع، أو اختفى، أو مخفيّ في أقبية الفاتيكان وسراديبه.. إنصافاً للعلم، نقول، وسوف لا نكلّ من القول، بأنّ المسيح لم يُنزّل كتابا من السماء، ولم يأتِ من أجل كتاب، أو تنزيل شريعة من فوق...

٥. ونردّد أيضاً: المسيحيّون يتبعون المسيح. يقتدون به. ينعمون بخلاصه. فهم بذلك مسيحيّون، لا "إنجيليّون"، أو "كتابيّون"، أو "أهل كتاب"، كما يسمّيهم القرآن.. بينما المسلمون هم "قرآنيّون"، "كتابيّون"، و"أهل كتاب". هم يتبعون القرآن لا محمّداً...

وبتعبير آخر: كان محمّد واسطةً لتنزيل القرآن؛ والقرآن هو الأساس. فيما الأساس في المسيحيّة هو المسيح، والأناجيل وسيلة إليه، أو روايات عنه... المسيحيّون يتبعون شخصاً ويقدّسونه.

أمّا المسلمون فيتبعون كتاباً ويقدّسونه. وكلّ ما في التاريخ من صراع بين المسيحيّين والمسلمين يعود إلى هذه الميزة الأساسيّة... إنّ أبناء هذا الدهر تفوتهم هذه الحقيقة الجوهريّة التي هي سبب كلّ خلاف تاريخيّ بين المسلمين والمسيحيّين.

الثالث. الفاتيكان يحتفظ بالإنجيل الحقيقي:

يقول السيّد زكي، معتمداً على ناشر إنجيل برنابا، الذي يعتمد بدوره على الشيخ محمّد بيرم، الذي بدوره يعتمد على رحّالة إنكليزي، الذي "رأى في دار الكتب البابويّة بالفاتيكان نسخةً من الإنجيل، مكتوبةً بالقلم الحِميَري قبل بعثة النبيّ (محمّد)، وفيها يقول المسيح: "ومبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي إسمه أحمد". وذلك موافق لنصّ القرآن بالحرف".

ثمّ يعلّق السيّد زكي على ذلك بقوله: "**فظهر أنّ في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب.. ما لو ظهر لأزال كلَّ شبهة عن إنجيل برنابا وغيره" (٣٥).**

ويسأل السيّد زكي: "**فأينَ هذا النّص القرآني في الأناجيل المتداولة اليوم؟ ولماذا يبقى الفاتيكان صامتاً أمام هذا السيل المتدفق من النقد اللاذع للأناجيل في العالم؟؟!! ثم لماذا لا يحرّك ساكناً أمام بلايين الطبعات الجديدة للأناجيل التي تطبعها المطابع وتوزّعها دور النشر؟؟ ولماذا يلوذ الفاتيكان بالصمت، ولا يكشف عن الأصل الرسولي للأناجيل، لتتقيّد به جميع الطوائف؟!"** (٣٥-٣٦).

لا يعطي السيّد زكي تفسيراً لصمت الفاتيكان؛ ولكنّنا نعرف مقصودَه، وهو: إذا ما كشف الفاتيكان عن النسخة الأصليّة للإنجيل، ستظهر فيه بشارةُ عيسى بأخيه محمّد. وقد يصبح هذا الكشف أعظمَ شرّاً من كلّ ما تسبّبه التناقضات والأكاذيب الموجودة في الأناجيل من شرّ وفساد. لهذا يصمت الفاتيكان، وسوف يبقى صامتاً إلى الأبد.

ثم إذا ما كانت تبرئة الفاتيكان لليهـود لا بدّ منها، فيجب أن تُخفى النسخة الأساسيّة للإنجيل لا محالة، لئلاّ تنفسد مواقف الفاتيكان السياسيّة.

نقول للسيّد زكي، ونقطع:

١. لا شيء في الفاتيكان مما يقـول. كلّ مخطوطات العهـد الجديد، الكاملة منها والجزئيّة، يتداولها العلماء والخبراء. ويعملون فيها بحثاً وتحليلاً وتفسيراً، دون خوف من أي محذور..

٢. لا شيء يلزم أيّ إنسان، لـكي يكون مسيـحيّاً، سـوى قناعتـه الداخليّة الشخصيّة. فلا رقيب عليه أو حسيب، ولا شاهد عليه غير ضميره. فلا حدود ولا قيود لحـريّة البحث سوى ما يقتنع به. ولا شيء يمـنع المسيحي من أن لا يكون حرّاً في بحـثه مـهما كـانت النتائج. والسـيّد زكي يعـرف ذلك. فهو يـسمع عن مسيـحيّين عديدين، ويستشـهد بأقوالهم وكتاباتهم، اعـتنقوا الإسلام بدون أيّ "حَدّ" عليهم.

٣. نقول هذا لنُطمئن السيّد زكي بأنّ الأبحاث العلميّة والتفاسير البيبليّة لا تزال ناشطة، بحريّة، ومسؤوليّة، وعلميّة، وجدّيّة، وانفتاح تام. والترجمات أيضاً تتبعُ ما يتوصّل إليه الباحثون.

٤. أمّا إنجيل برنابا، الذي يعتبره المسلمـون، الإنجيل الحقيقي والصحيح، والذي أخفتْه الكنيسة.. فيـعلم القارئ بأنّه إنجيلٌ محرّف، نُسب إلى برنابا رفيق بولس، ويعود إلى أواسط القرن السادس عشر. وسنتكلّم عليه في فصلٍ لاحق.

الرابع. كَتَبَة الإنجيل لم يكونوا تلاميذَ المسيح:

قال السيِّد زكي: "**المسيحيّ العادي سيُصدَم عندما يعرف أنّ أيًا من كَتَبَةِ هذه الأناجيل الأربعة لم يكن تلميذاً للمسيح، أو شاهدَ عِيان للأحداث: "متّى.. ليس هو، في الحقيقة، متّى التلميذ، مرقص.. لا يُعتبرُ تلميذا للمسيح.. لم يوجد أحدٌ بهذا الاسم كان على صلة بيسوع.. لم يكن سمع يسوع، ولا كان تابعاً شخصيًا له...لوقا.. لم يدرك عيسى ولا رآه.. مثلُه مثلُ بولس الذي، بدوره، لم يدرك عيسى ولا رآه... يوحنّا.. ليس هو الذي حرّر الإنجيل الرابع.. إنّ رأسَ يوحنا الحواري قطعَه أغريبًا الأوّل سنة ٤٤ م، أي قبل تأليف هذا الإنجيل بكثير، وإنّ هذا الإنجيل كُتب سنة ١١٠–١١٥ من قِبل كاتبٍ مجهول، وليس يوحنّا بن زبدى التلميذ**".

ثمّ يتساءل السيِّد زكي: "**ماذا يعني كلّ هذا؟**" **وهل يُعقل أصلا لتلاميذ المسيح، الذين وصفتهم الأناجيل بأنّهم كانوا صيّادي سمك، أن يؤلّفوا أناجيل، وباللّغة اليونانيّة؟" (ص ٣٦–٣٧).**

نقول للسيِّد زكي:

١. لئلاّ نغوص في البحوث الجانبيّة ، نعلمه بأن لا ضير على الإيمان ، حتى ولو كانت أسفارُ العهد الجديد كلُّها كَتبها أناسٌ لم يكونوا للمسيح رسلاً أو تلاميذ.. فقانونيّة هذا السِفر أو ذاك تأتيه من الكنيسة، لا مِن انتماءات كاتبه..

ألكنيسة تقرّر. وهي التي تكمّل رسالةَ المسيح، لا الكتاب.. ومع هذا، فالكتابُ وسيلة مهمّة لمعرفة ما به تؤمن...

٢. ولئلاّ ننقلُ ما كتبه الباحثون في هويّة كَتَبَةِ الأناجيل، فإنّنا نقدّم للسيّد زكي النتائج. ونقول:

متّى. "يظهر من شهادات خارجيّة (عن نصّ الإنجيل) وداخليّة (في نصّ الإنجيل) أنّ متّى الرسول هو مؤلّف الإنجيل الأوّل".. لينظر مثلاً في شهادة بابياس (١٣٠)، وإيرينايوس (٢٠٢) وأوريجانوس (٢٥٤) وترتليانوس (٢٢٠).. كما يُنظر إلى لائحة أسماء الرسل، حيث يذكَر متّى فيها كلّها..

مرقص. يُذكر إسمه مراراً في العهد الجديد. وهو نسيبٌ لبرنابا، ورفيقٌ لبولس في بعض أسفاره (يراجع مثلاً سفر أعمال الرسل ١٢/٢٥، ١٣/٥و١٣، ١٥/٣٧-٣٩)، وفي سجنه في رومة (يراجع رسالة إلى أهل قولوسّي ٤/١٠، رسالة إلى فيلمون ٢٤، الرسالة الثانية الى طيموتاوس ٤/١١)، وتلميذ لبطرس (أعمال الرسل ١٢/١٢، ورسالة بطرس الأولى ٥/١٣).. فهو، إذاً، وإن لم يكن من الرسل، إلاّ أنّه كان تلميذاً لهم ورفيقاً..

لوقا. رفيق بولس. أحد التلاميذ الإثنين والسبعين. بل أحد تلميذَي عمّاوس. مؤلّف الإنجيل الثالث (١/١-٤) وأعمال الرسل (١/١). التحقَ ببولس في جولاته الرسوليّة ما بين سنتَي ٥٠ و ٦٠، ورافقه إلى الأسر في رومة حتّى استشهاده. وبولس يذكره باسمه، ويشير إليه..

يوحنّا. "جميع الشهادات الخارجيّة والداخليّة تُجمعُ على أنّ مؤلّف الإنجيل الرابع هو يوحنّا بن زبدى، تلميذ الربّ، وأحد الرسل، وأحد الثلاثة المقرّبين من يسوع، ورفيق بطرس.." (أنظر في هويّة الإنجيليّن مقدّمات الأناجيل في أونجليون).

٣. ونطمئن السيّد زكي بأنّ المسيحيّين كلّهم، أكانوا علماء أم سذّجاً، عباقرة أم عاديّين، يعرفون جيّداً بأنّ بعضاً من تلاميذ المسيح كانوا صيّادي سمك... ولكن، لم يكتب الأناجيل بسبب هذه المهمّة، فمتّى لم يكن صيّاداً، بل جابياً؛ ومرقس أيضاً لم يكن صيّاداً بل رفيقا وتلميذا لبولس وبطرس؛ ولوقا لم يكن هو الآخر صيّادا، بل طبيباً ورسّاماً؛ وكذلك.يوحنّا كان رجلَ تأمّل وروحانيّة.

٤. غير أنّ الردّ الصحيح هو أنّ الكتابَ، بقطع النظر عن هويّة كاتبه، قد يكون قانونيّاً أو لا يكون بما تُضفي عليه الكنيسة من القانونيّة. وهذا ما نردّده باستمرار.

الخامس. كَتَبَة الاناجيل ليسوا انبياء حتى يُوحى إليهم:

يقول السيّد زكي:

"الجميع اليوم يعلم انّ الوحيَ لم ينزل إلا على الأنبياء.. وكتبة الاناجيل هذه ليسوا بأنبياء.. ثمّ إنّ الفاتيكان لم يخبرنا بأيّ طريقة من طرق الوحي كتبتْ هذه الاناجيل؟ ولا المدّة التي استغرقها الوحي في النزول عليهم؟ وما الفائدة من تكرار الوحي نفسه أربع مرّات؟ ولم يخبرنا كيف يمكن للوحي أن يناقض نفسَه

في أناجيلها.. لذا لا يوجد ناقد نزيه يؤيّد الفاتيكان فيما ذهب إليه.. وكان الأولى بالقساوسة، الذين أصدروا وثيقة الفاتيكان، ووقّعوا عليها أن يَنزلوا من أبراجهم العاجيّة إلى الشارع، ليروا ماذا يقول الناس، وماذا يكتب النقّاد عن هذه الأناجيل" (٣٨-٤٠).

نقول للسيّد زكي:

١. وللمرّة الألف نقول: المسيحيّون لا يقولون بأنّ الوحيَ يَنزل على الأنبياء من فوق، بل الوحي، عندهم، إلهامٌ من الروح القدس، على أيّ إنسان، نبيّاً كان أم رسولاً، صيّاداً كان أم عشّاراً، يهوديّاً كان أم عربيّاً.. ويكون من أجل هدف معيّن، وخاصّاً بشعب معيّن، أو شاملاً الشعوب والأمم.. ومع كلّ ذلك، قد لا يغيّر الوحيُ شخصيّةَ الموحَى إليه، ولا يُفقدُه أسلوبَه وحرّيته واستقلاليّته...

٢. إذا كان الوحي لا ينزل إلاّ على الأنبياء، كما يقول السيّد زكي، فنحن نسأل: أيوجد أنبياء لم يوحَ إليهم؟ المسلمون يقولون بذلك، مع أنّ هؤلاء الأنبياء لم يكتبوا شيئاً...

٣. إنّ الفاتيكان لم يحلّ مشاكل الوحي التي رسمها السيّد زكي وعدّدها، مثل طريقة الوحي، المدّة، التكرار، التناقض، الاختلاف.. إنّها مشاكل بالنسبة إلى السيّد زكي، أمّا بالنسبة إلى الفاتيكان فـ"بأشباهٍ شتّى كلّمَ اللّهُ العالمَ" (عبرانيّين ١/١)، وفي المدّة التي يراها الروح لازمة لذلك، وبروايات متعدّدة ومتنوّعة، تبعاً لشخصيّة كلّ موحىً إليه، وبالتناقضات التي هي متغيّرات في الأحداث والأزمان، أكثر ممّا هي متناقضات في المنطق..

٤. أمّا نزول القساوسة إلى الشارع فهذا كلامٌ مشينٌ بحقّ السيّد زكي. وننصحُه أن يقلعَ عنه، لأنّ أحداً، في القناعات الإيمانيّة في المسيحيّة، لا يستطيع أن يمنع أحداً.. وهو يقرّ بذلك عندما يتّهم الغربيّين بأنّهم تركوا دينهم، وهجروا كنائسَهم، وأفرغوا أديارَهم، وحلّلوا المحرّمات. والقساوسة، مثلهم مثل سائر الناس، يعملون من أجل خلاصهم، وتعميق إيمانهم.. وليطمئن السيّد زكي بأنّ الفاتيكان ليس دولةً إرهابيّة، لا بالفكر ولا بالسيف، لا بالترغيب ولا بالترهيب، لا بالإقناع ولا بالإكراه.. شأن أهل الفاتيكان كشأن سائر الناس، يريدون رحمة من الربّ ومغفرة.

٥. ولا بدّ، أخيراً، من هذا التوضيح. نقول: صحيح أنّ في المسيحيّة رجالَ دين، وفي الإسلام لا رجال دين. صحيح أنّ في المسيحيّة كنيسة وإكليروس، وفي الإسلام لا شيء من ذلك... إلاّ أنّ الحقّ يجب أن يقال: يتصرّف المسيحيّون وكأن لا سلطة عليهم من أحد؛ ويتصرّف المسلمون في ظلّ سلطان إلهيّ رهيب. فلا ننسى، إثباتاً لقولنا، تلك القيود والحدود، في تطبيق أحكام القرآن. ولا ننسى أنّ "الحكم في الإسلام لله".

السادس. لا أمانة بين الاناجيل وأفعال المسيح وأقواله:

يقول السيّد زكي:

"الاناجيل كلّها متناقضة؛ بل أكثر من ذلك، كلّ إنجيل يناقض نفسَه. فأين أقوال المسيح وأفعاله الحقيقيّة في هذه الإناجيل؟.. أين الامانة في متّى الذي يُظهر المسيحَ في أوّل إنجيله مؤمناً بإله واحد وفي نهاية إنجيله يُظهرُه مشرِكاً بالأب والابن والروح

القدس؟.. أين الأمـانة في تعيين متّى لبـطرس خليفةً للمـسيح في الوقت الذي أنكر بطرسُ المسـيحَ ثلاثَ مرّات.. وقـد نهره المسـيحُ بقوله له: إذهب عنّي يا شيطان... أين الأمانة في ما ذكَرَه متّى على لسان المسيح لـتلاميذه: "وإلى مدينة السـامريِّين لا تدخلوا"، في الوقت الذي يناقـضه يوحنّا فيـقول: "إنّ المسيحَ ذهـب إلى مدينة السامريِّين بنفسه".. وأين الأمانة في رواية صيد السمك! أهي قبل القيامة، كما عند لوقا، أم بعدها، كما عند يوحنّا؟!..

"أين الأمانة في أقـوال المصلوب على الصليب؟ أهي كمـا ذكَرَ مرقص "الوي الوي.."، أم كما ذكرها مـتّى "إيلي إيلي"، أم كما ذكر لوقا "يا أبـتاه في يديك أستودع روحي"، أم كمـا ذكر يوحنّا "قد كمل"؟؟!!!

"وأين الأمـانة في رفع المسـيح إلى السـماء، هل كـانت بعـد القيام مبـاشرة، كما ذكرها لوقا في إنجـيله، أم بعد أربعين يوما، كما ذكرها لوقا نفسُه في أعمال الرسل؟ في الوقت الذي نسي متّى ويوحنا مسألة الرفع كلّيّاً؟..

"وأين.. وأين.. وأين.. ثمّ هل المسيح ابن مريم؟ أم ابن يوسف النجّـــار؟ أم ابـن داود؟ أم ابن اللّه؟ أم ابن الانـســـان؟ أم ملك اليـهـود؟ أم النبيّ المنتظر؟ أم حـمل اللّه؟ أم اللّه نفـسُـه؟ وهل.. وهل.. وهل؟" (٤٠-٤١).

نقول:

١. يسـتطيع السيّـد زكي رفضَ الإنجيـل، إذا انطلق من مفـهومـه للوحي

القرآني، أي كلاماً إلهيّاً مُنزَلاً من "اللّوح المحفوظ".. أمّا إذا اعتبرَ الأنجيل كتابَ سِيرةِ يسوع الناصري، في أعماله وأقواله، كتبها فلانٌ وفلانٌ، بحسب ما تذكّر، وبحسب أسلوبه وشخصيّته وما يسترعي انتباهَه.. فهذه التي وجد فيها السيّد زكي تناقضاً، لا يعود إلاّ إلى ما يهمّ هذا الكاتب أو ذاك...

٢. ويعرفُ السيّد زكي بأنّه إذا شاء أن يكتبَ اليومَ سيرة إحدى زوجاته، ثم يعيدُ كتابتَها مرّة ثانيةً، في مناسبة مختلفة، فالكتابة الثانية سوف تختلف عن الكتابة الأولى.. فهل نسمّي ذلك تناقضاً منطقيّاً مشيناً، يطعن في شرعيّةِ زوجته وزواجه!! أم أنّ ذلك، ونظراً لشخصيّته الغنيّة، يسمّى وجهات نظر، أو نقاط انتباه، أو محطّات مهمّة... هكذا كان حال مَن "روى" سيرةَ يسوع..

٣. ونلفتُ أيضاً انتباهَ السيّد زكي إلى ما قلناه ونقوله باستمرار: إنّ الإناجيل روايات ومذكّرات، كتبها أناسٌ لهم عواطفهم وشخصيّتهم وأساليبهم المختلفة، كتبوها لأناسٍ مختلفي البيئة والثقافة والمعتقد، في أزمان متغايرة متباعدة... هذه كلّها تلعب دورَها... والسيّد زكي يعلم ذلك. ويعلم بأنّه إذا كتبَ اليوم موضوعاً واحداً لأناسٍ مختلفي التوجّهات فمن الطبيعي، أو من المحتّم أن يكتبَ بطرق مختلفة، بما يناسبُ عقليّة مَن يكتب إليهم.. فهل يسمّي ذلك تناقضاً!!

٤. ثمّ نقول للسيّد زكي: هل يجدُ حقّاً، وفي الوقت ذاته، قولاً بالوحدانيّة وقولاً بالثالوث، قولَين متناقضَين!! نقول: ليسَ الإنجيليّون، ولا الكنيسة، ولا المسيحيّون، إلى هذه الدرجة من الغباء ليقولوا بأنّ اللّهَ ليس واحداً أحداً.. بل يجب أن يفهم السيّد زكي، ولو لمرّة واحدة، بأن إيمان المسيحيّين بالثالوث لا يناقض ولا يُلغي الوحدانيّة الإلهيّة.. إنّه إيمان يستند إلى كون اللّه عندهم "إله

محبّــة " . هذه المحبّة قائمــة في ذات اللّه، وظاهرة في البشر. وهل يعــجب السيّد زكي إن قلنا له بأنّ اللّه يحبّه أكثر ممّا تحبّه أزواجُه! وهل هذا يعني أن محبّةَ اللّه له هي من جنس المحــبّة الجنســيّة!!! ومع هذا، عليــه أن يفتحَ قلبَــه وعقلَه حــتى يصبحَ مؤمناً حقيقيّاً، تغمره محبّة الربِّ.

٥. ثمّ أين التناقض بين الألقاب التي أطلقت على يــسوع؟ ألا يُعقل أن يُلقّبَ تارة بالمســيح، وطوراً بابن مــريم، وثالــثاً بــابن يوسف النجّــار، ورابعــاً بابن داود.... ما المشين في ذلك؟

٦. وأخيــراً، هل كلام المســيح لبطرس : إذهب خلفي يا شيطان لمّــا يشكّك السيّــد زكي!! ألهذا الحدّ أمسى الســيّد زكي حسّاســاً مرهف الشعور، يزعــجه مثل هذا الكلام، الذي لا يُمكن أن يوصف إلاّ بالمحبب..

ثالثا- الـــــــقــــــــرآن:

يتناول الســيّد أحــمد زكي، في كــتابه، الــقرآنَ على أنّه آخــر صلة بين اللّه والإنســان، وأكــمل ما أعطــى اللّهُ للإنســان. فيــه حكم على التــوراة والإنجــيل، "**والمسلمون لا يقبلون منهمــا إلاّ ما يوافق ما هو مذكور عندهم في القرآن**" (٤٧). فــفي القرآن "الحقّ اليــقين" . وهو مــعجــزة مــعجــزات اللّه للإنسان.

١. إنّه معجزة في **إيجازه وحسن تركـيبه، وفي النظم والأسلوب**

(٤٨). "أسلوب القرآن لا تجد له مثيلاً على الأرض، لأنّه أسلوب اللّه كلمة بكلمة وحرفاً بحرف" (٤٧). إنّه معجزة محمّد في **بلاغته**، في الوقت الذي كان محمّد "**أمّيّاً، لم يعرف شيئاً عن البلاغة، ولم يخطّ حرفاً في حياته**" (٤٨). معجزة في **تأثيره في النفوس والقلوب** (٤٩).

٢. معجزة في **معرفة الغيب**، وإحاطته بعلوم الأوّلين والآخِرين، والإخبارِ بالغيوب الماضية والآتية، وجمعِه لعلومٍ كثيرة (٤٩).

٣. معجزة في **الإعجاز العلمي** الذي لم يُكتشَف إلاّ في هذا القرن، مثل: كرويّة الأرض، وعلم الفلك، وعلم الفضاء، وعلم الزراعة، وعلم الفيزياء، وعلم تكوين الأجنّة، وعلم تحقيق الشخصيّة، وعلم النفس... وكلّها اكتشافات لم يُتوصّل إليها إلاّ في هذا العصر.

"**وهكذا يتبيّن لكلّ عاقل أنّ القرآن الذي أوحى اللّهُ به لمحمّد قد سبق العلمَ الحديثَ في كلّ مناحيه، وأنّ القرآن مستودع كبير لعلوم كثيرة ما زالت مخفيّةً عن أعين البشر**" (٥١).

٤. ومن معجزاته أيضا "**سهولة حفظه غيبا**": "واليوم، مع ضعف الإسلام، يوجد ما لا يقلّ عن مليون مسلم يحفظون القرآن غيباً، من الدّفّة إلى الدّفّة. قسم كبير منهم أطفال في عمر الورود. هذا في الوقت الذي لا تجد فيه قسّيساً واحداً، أو مطراناً، أو كردينالاً، أو حتّى بابا، يحفظ أناجيلَه غيباً من الدّفّة إلى الدّفّة. لماذا؟؟!! لأنّ أناجيلَهم كتابات بشر، بينما القرآن كتاب اللّه" (٥١).

٥. ومن معجزات اللّه في القرآن "**القفل ١٩**": "ولقد انفرد القرآن بسرٍّ

إلهيٍّ، لم يوجدْ، ولن يوجدَ في أيِّ كتاب في العالم، ألا وهو القفل ١٩. فلقد أحكمه اللّهُ بالقفل ١٩ ومضاعفاته؛ فضلاً عن أنّه الكتاب السماوي الوحيد في العالم الموقّع باسمه في مطلع كلّ سورة" (٥٣).

فعدد سُوَرِهِ ١١٤ سورة (أي ١٩×٦).

وعدد المرّات التي وردت فيها البسملة ١١٤ مرّة (أي ١٩×٦).

وعدد حروف البسملة في مطلع كلّ سورة يتكوّن من ١٩ حرفاً

وكلّ كلمة من كلمات البسملة تتكرّر هي أيضاً في مجمل القرآن ١٩ مرّة أو مضاعفاتها، مثلا" كلمة "إسم" ١٩ مرّة؛ كلمة "اللّه ٢٦٩٨ مرّة (أي ١٩×١٤٢)؛ وكلمة "الرحمن" ٥٧ مرّة (أي ١٩×٣)؛ وكلمة "الرحيم" ١١٤ مرّة (أي ١٩×٦).

وحرف القاف "ق" ورد في سورة ق ٥٧ مرّة (أي ١٩×٣)؛ وفي سورة الشورى يتكرّر أيضا ٥٧ مرّة (أي ١٩×٣).

وحرف النون "ن" في فاتحة سورة "نون والقلم وما يسطرون"، يتكرّر ١٣٣ مرّة (أي ١٩×٧).

هذا "علماً بأنّ الرقم ١٩ هو من الأعداد الأوّليّة الصعبة، التي لا تقبل القسمة إلاّ على نفسها، أو على واحد. فلو كان محمّد هو مؤلّف القرآن، كما يحلو لبعض الخصوم أن يزعموا، لاختارَ رقماً أسهلَ من الـ ١٩، كالرقم ١٠ مثلاً" .

ثمّ "كون القرآن قد كمل نزولُه في ٢٣ سنة، في آيات متباعدة في الزمان والمكان. فهذا أمرٌ كان يحتاج إلى كمبيوتر في ذلك الوقت لضبط الرقم ١٩ ومضاعفاته على مدى٢٣ عاماً..

لذا لا يمكن تحريفه بزيادة حرفٍ واحدٍ فيه، أو إنقاص حرفٍ منه، وإلاّ اختلّ ميزان الرقم ١٩" (٥٣-٥٤).

نقول للسيّد زكي:

١. ليست كتبُ الوحي كتبَ علم واكتشاف، وقوانين إجتماعيّة، وشرائع منزَلة، ومبادئ خالصة، وحقائق جاهزة، ومستنزَلات سماويّة، وعلوماً غيبيّة.. وما أشبه. كتبُ الوحي هي دليلٌ للبشر ليكتشفوا مشيئة اللّه الخلاصيّة.

٢. لا يمكن أن يكون القرآن كتاباً منزَلاً من فوق، لأنّنا نجد لهُ في التاريخ مصادر أكيدة، وبنوع خاصّ في المصادر النّصرانيّة الإبيونيّة، وفي غيرها. وإلاّ لما كان للبشر فيه مكان، أو لما كان أعطي من أجلهم. ومقولةُ التنزيل تتعارض مع تطوّر الإنسان وترقّيه.

٣. إنّ القفل ١٩ لَمما يثير الإعجاب. وهو صدفة. وإلاّ نضطرّ إلى إيجاد أشياء كثيرة في القرآن. ويذكر السيّد زكي قول أحد الصحابة: "لو ضاع لي عِقالُ بَعِيرٍ لوجدتُه في القرآن"، وقول آخر: "إنّك لتجد في الفاتحة أسماء سلاطين بني عثمان كلّهم"... فإنْ صحّت مقولات السيّد زكي، فإنّه يُخشى أن تصحّ مقولات كثيرة، ليست كلّها في مصلحة القرآن، ولا النبيّ، ولا جبريل..

٤. ألإعجاز اللّغوي، والبلاغة، والنظم، والأسلوب، وغيرها... كم وجد اللغويّون، ومنهم مسلمون، أخطاء، وركاكة، وأموراً ضد منطق التأليف.. ومع هذا، لا ننكرُ بأنّ القرآن يبقى خيرَ مرجع لمن شاء لغةً وبلاغة... ولكن، هذا كلّه ليس دليلاً على الوحي (يُراجع مثلاً كتاب **عالم المعجزات** وغيره في هذا الباب).

***

ختاماً، نذكّرُ القارئ بأنّنا تركنا مـا جاء في هذا الفصل عند السيّـد أحمد زكي من نقاط أساسيّة، سنعالجها، بحسب موضوعاتها، في الفصول التالية من كتـابنا. وذلك، كما قلنا، لكي لا نردّد الموضـوعات نفسـها في كلّ فصل، كـما هو الحال في كتاب السيّد زكي.

الفصل الرّابع

"شاؤول ألدّ أعداء المسيح"

شاؤول اليهودي الفرّيسي، المتشدّد في يهوديّته، والمجاهد الأكبر من أجل ناموس موسى، أصبح، في نظر السيّد أحمد زكي، بسحر ساحر، بولسَ رسولَ الأمم غير اليهوديّة. وحجّته في هذا التحوّل، نيّتُه الخبيثة في القضاء على المسيح قضاء مبرماً. وقد كان له ذلك.

شاؤول هذا هو الذي أسّس الكنيسة، لا المسيح؛ ولا علاقة للمسيح بالكنيسة. بل لم يعرفها، ولم يستعمل حتى لفظها. ولقد أسّس شاؤولُ هذا الكنيسة ليقضي على المسيح وعلى المسيحيّة والإنجيل معاً. ويعود بعدئذٍ إلى صفاء اليهوديّة... وكان له ذلك عندمّا علّم معتقدات هي أقرب إلى الطلاسم والأوهام منه إلى الحقائق والمقّدسات.

شاؤول هو الذي حدّد المعتقدات المسيحيّة التي لا تخضع لأيّ منطق. وهو الذي قال بـ ثلاثة تساوي واحداً، وبـ واحد يساوي ثلاثة. وقال بالمعموديّة لمغفرة الخطايا، وبالصلب، والقيامة، والكفّارة، والفداء، والخطيئة الأصليّة.. وغيرها. فأبعد الأممَ عن اللّه الواحد، وعن القول بـ"لا إله إلاّ اللّه" الذي هو مفتاح الجنّة، التي منعهم عنها، ليتركها خالصةً لليهود وحدَهم.

وكلّ ما جاء في الكنيسة، عبرَ تاريخِها، من ضلال وتضليل، يتحمّل شاؤول هذا، وحدَه، مسؤوليتَه. فتعاليمه هي التي انتصرت في المجمّعات الكنسيّة. ولا تزال هي هي حتى اليوم، تُخفي عن الأمم دينَ عيسى الحقيقي، وتعاليمَه الحقيقيّة، وكتابَه السماويّ المنزل.

وكان شاؤول أيضا وراء الأناجيل المزيّفة كلّها، أي الأناجيل الأربعة، التي تأخذ بها الكنيسة اليوم، وقد أخفتْ بها الإنجيلَ الحقيقي، الذي لا تزال بعضُ مقاطع منه موجودةً فيه، سهواً من المزيِّفين، كدليلٍ على صحّة ما قام به شاؤول والكنيسة من تزييف. والصحيحُ الباقي قليل جداً. لكنّه يُنبئُ عن حقيقة صارخة، يُقدّمها السيّد أحمد زكي إلى العالم المسيحي ليتخلّى عن ضلاله.

... فكتاب السيّد أحمد زكي، بحسب عنوانه، هو، من جهة، عمليّة كشْفٍ شاملة عمّا جاء به شاؤول اليهودي، "ألدّ أعداء المسيح"، والمجمّعات الكنسيّة، والقساوسة والشمامسة؛ ومن جهة ثانية، هو إظهار وجه المسيح الحقيقي، وإخراجه من بين ركام الدهور. فالقناع الأكثر سماكة على وجه المسيح هو قناع بولس، فلذلك، لم يتمالك السيّد أحمد زكي إلاّ أن يصرخَ في عنوان كتابه: "انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح".

والصورة المعبّرة، التي على غلاف الكتاب، وما كُتب حولها (المسيح المخلّص يحتاج إليكَ لكي تخلّصَهُ)، تشيران إلى أنّ السيّد أحمد زكي، تولّى، هو نفسُه، "نزعَ القناع"، وتخليص المسيح من براثن شاؤول وجماعته اليهوديّة المتعصّبة، والمجمّعات الكنسيّة، والبابوات اليهود، والأساقفة المُضلّون، والقساوسة الجهلة، والشمامسة المخدوعو... إلخ.

هذا هو الموضوع الأساسي لكتاب السيّد أحـمد زكي. أمّا كيف يعالجه؟ وما هو أسلوبه؟ وبرنامجه الإصلاحي لدين المـسيح؟ وكيف نزع القناعَ؟ وكشفَ عن وجه المـسيح الحـقيـقي؟ وعن وجه شـاؤول الفرّيسيّ السّيّء؟.. هذه سنتـولّى إظهارَها بأمانةٍ لأفكار المؤلّف.

* قال السيّد زكي:

" وعـــدناكَ أن ننزعَ قناعَ بـولس- ونعني به قنـاعَ بولس، وقناعَ المجــامع الكنسيّة، وقنـاع الوثنيّة، وجميعَ أقنعة الدّجَل، الذي دسّـوه في هذا الدين- حتّى يظهرَ لنا المسيح الحقيقي " (٢١٣).

هذا القناع الذي أحكمـه شاؤول على وجه المسـيح كان من رؤساء اليـهود الذين "جنّدوا لهذه العـمليّة... فرّيسيّـاً من أشدّ الفرّيسيّين عـداوة لدين المسيح، ولكن من أشدّهم ذكاءً وخبثـاً. وكانت مهمّته أن يخترقَ صـفوفَ التلاميذ الذين آمنوا بعيـسى، لتشـويه دينه من الداخل.. ولطمس شهـادة "لا إله إلاّ اللّه" التي أطلقَها المسيح..

"وكان إسـمُه اليهودي شـاؤول (تستّر تحت الإسم المسـيحي بولس فيـما بعد). فأرسلوه إلى أنطاكيا.. وخاف الكهنةُ اليـهودُ أن يعتنقوا (أي أهل أنطاكيا) التوحيدَ؛ وبذا يشاركونهم الجنّة. فتظاهر شاؤولُ هذا باعتناق دين المسيح، بينما هدفُه الرئيسي، الذي لم يفارقْ مخيّـلتَه لحظةً واحدةً، والذي وضعه دائما نصب عينَيه، كان تشويهَ دين المسيح، وهدْمَ مـعالِمِه، وإبعادَ شهادة "لا إله إلاّ اللّه" عن الأمم. فبعد أن أعدّ للأمر عدّتَه تظاهر بالتبشير بدين المسيح، داسّاً فيه لفظَ "ابن

الله".. وكان هذا اللـفظُ اللّبنةَ الأولى في جرف المسيـحيّـة الحقّة وتحـويلها من مسارها إلى الوثنيّة...

" وهكذا كان شـاؤول اليهودي الفرّيسـي، رسولُ عتاة الصـهاينة الأوائل.. أوّلَ مَن أدخلَ لفظَ "ابن الله" في دين المسيح. وهو الذي تسمّـيه الكنائسُ اليومَ، عن غـفلةٍ أو تضليل، ببـولس الرسول، في الوقت الـذي هو ماسخ دين المسـيح، وسارق رسـالته، بعـد أن مهّـد لعمله هذا بتـمثـيليّة هزيلة، وهو في طريـقه إلى الشـام.. وكانت هذه التـمثيليّة العرجـاء بمثابة جواز مرور لاختـراق الصفوف.. فانطلتْ حـيلتُه على البسطاء والسذّج.. ومـن المضحك المبكي أنّ الكنائس لا زالت تصدّق تمثيليّتَه العرجاء هذه حتى اليوم..

ويردّد السيّد زكي الهدف الحقيقي من كلّ ذلك. وهو "جرف أتباع المسيح إلى الجحيم حتى لا يشاركوا اليهودَ الجنّة" (٧٢-٧٣).

* ثمّ ينتقل السـيّد زكي، الذي وعـدنا بتفسـير خدعـة شاؤول على طريق دمشق، فيقول:

".. وكلّ دينه قائم على ذلك الحلم، أو إن شئتَ قلْ تلك التمثيليّة الهزليّة التي ادّعاها في كتبهم حيث السيناريو مكتوب فيها بكلّ سذاجة لا يمكن أن يصدّقَه أيٌّ عاقل. لأنّ الوحي الحقـيقي لا ينزل إلا على الأنبياء لا على الأدعـياء الذين يدّعون المنامات وينقلبون فجأة من عدوّ إلى رسول دون سابق مقدّمات" (٣٩١).

ويقول: ".. أعـزّائي القرّاء! دعونا نتـصوّر، ولو للحظة، أنّ المسـيح قد طلب ذلك (أي نقْضَ النامـوس) من شاؤول.. فإنّ المدقّق في أخـبار شـاؤول وأقواله

وأفعاله.. يجدها جاءت في ١٦٤ صفحـة من أعمال الرسل.. ولمّا كانت كلّ صفحة تحتوي بحدود ٢١ سطراً، وفي كلّ سطر بحدود ١٢ كلمـة، يكون الناتج عندنا ١٦٤×٢١×١٢=١٨٣٢ كلمة. فهل هناك مَن يصدّق أنّ المسيح كان يتكلّم بسرعة ١٨٣٢ كلمة في الدقيقة، أو الدقيقتين، التي تمّت فيها تمثيليّة الإغماءة المصطنعة التّي سمع خلالها شاؤول صوتَه!! وهل هناك عاقل يصدّق أنّ شاؤول قد استوعبَ هذا العدد من الكلمات في دقيقة، أو دقيقتين!! إنّ مَن يؤمن بذلك فعلى عقله السلام" (٣٩٦).

نقول:

قد تكون رؤيا بولس للمسيح على طريق دمشق، أو قد لا تكون. مَن يصدّقها فلا يعود يعجبُ كيف تمّت، وكم من الكلمات قال المسيح لبولس، وماذا حدث فيها وبعدها... ومَن لا يصدّقها ليس عليه أن يتعبَ نفسَه بعدّ الكلمات، وكم استغرقت من الوقت، ومن الصفحات!.

ويذكرُ سفرُ أعمال الرّسل "دعوةَ بولس ثلاثَ مرّات (٩/١-١٩؛ ٢٢/٣-٢١؛ ٢٦/٩-١٨)، دلالةً على أهمّيّة هذا الحدث في تاريخ الكنيسة الأولى... ثم يُروي بولسُ نفسُه دعوتَه هذه في (١قور ١٥/٨-١١؛ غل ١/١٢-٢٠) دون أن يصف الحدث. بل يشدّد على أنّه رأى المسيح، كما رآه بطرس والرّسلُ بعد قيامته. فهو، بذلك، مثلهم، رسولُ المسيح.

وغاية لوقا في رواية دعوة بولس هي:

أوّلاً- إنّ المسيح الحيّ الحاضر في الكنيسة هو الذي قَلَبَ حياةَ بولس رأساً على عَقِب.

ثانياً- إنّ رسالةَ بولس إلى الأمم تمّت بتدخّل الربّ يسوع.

ثالثاً- إنّ رسالة بولس إلى الأمم، وإيمان الأمم بيسوع، تحقيقٌ لتصميم اللّه

الخلاصي، الذي وعد به اللّه في العهد القديم" (تفسير أونجليون).

هذا تفسيرٌ علميّ تاريخيّ لحدث معيّن. ولا يمكن التعامل معه على طريقة السيد أحمد زكي. وإذا شاء القارئُ المزيَد من التفاصيل ودقائق الأمور يستطيع الاستعانة بكتب التفاسير فهي متوفّرة، وقريبة إلى المعطيات التاريخيّة العلميّة الرصينة أكثر من طروحات السيّد زكي.

* ويتابع السيّد زكي إظهارَ خبث شاؤول في قوله:

"قال عيسى: ما جئتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياء.. أمّا شاؤول فجاء ليقول: ما جئتُ إلاّ لأنسفَ الناموسَ والأنبياء" (٣٩٥).

ويقول أيضاً:

جاء عيسى يقول لتلاميذه: "إلى طريق الأمم لا تمضوا" (متى١٠/٥). فيعلّق السيّد زكي: "هذا يفيد بأنّ رسالتَه (أي إسالة عيسى) ليست عالميّة. إنما محدودة ببني إسرائيل فقط.. وليس كمحمّد الذي أرسله اللّهُ للناس كافّة.. والذين يقولون إنّهم نصارى اليوم، ليس لهم في رسالته، للأسف، أيُّ نصيب، لأنّهم ليسوا من بني إسرائيل. لكنّ شاؤول، ألدّ أعداء المسيح، هو الذي ضرب عرض الحائط بأوامر المسيح، فخرج إلى طريق الأمم، وفَبْرَكَ لهم ديناً على حساب المسيح. ومن بعده فرضت الكنائس الملأى باليهود دينَ شاؤول هذا على الأمم بحدّ السيف" (٤٦٩).

نقول:

١. إنّ السيّد زكي يأخذ من الكتاب المقدّس ما يوافقه، ويرفض ما لا يوافقه. فماذا يقول عن كلام المسيح لتلاميذه: "تكونون شهودي في أورشليم، وفي كلّ

اليهوديّة، والسامرة، حتّى أقاصي الأرض"؟ (أعمال ١/٨). إذا قال إنّه "مزوّر"، فلا قاعدة لنا للبحث معه؛ لأنّنا نستند إلى الكتاب نفسه الذي يستند إليه.

٢. ثم هل يُعقل لأي نبيٍّ، أو رسولٍ، أو قائدٍ، أو مصلحٍ، أو زعيمٍ، أو أيّ إنسانٍ، لديه رسالة، أو مشروعُ إصلاح، أو عقيدة تطال الإنسان.. أن لا يطمح بأن يكون على مستوى البشريّة كلّها!! وهل المسيحيّون أغبياء إلى هذه الدرجة حتّى يحشروا أنفسَهم في دِينٍ لا يعنيهم! بل يعني بني إسرائيل وحدهم!!! سنسمع السيّد زكي مراراً يقدّم لنا حجّتَه هذه، وسيسمع القارئ مراراً وجهةَ نظرنا هذه. فليعذرنا في تردادنا.

٣. وسيردّد السيّد زكي مراراً على مسامعنا بأنّ الكنيسة فرضتْ دينَ شاؤول "بحدّ السيف" (٤٦٩)، و"الناس، بعد المسيح، خافوا الكنيسة التي فرضت عليهم الثالوث بحدّ السيف" (٤٨١)... فنقول له بأنّ "السيف" ليس من منطق الإنجيل، ولا من العقيدة المسيحيّة، ولا من فلسفة الدين المسيحيّ الذي يؤمن بالحرّية الشخصيّة إيماناً يكاد يكون مطلقاً. ولئن مرّت الكنيسة، عبر تاريخها، بمراحل قاسية، فلا يعني أنّ هذه هي المسيحيّة، أو هذه هي تعاليم المسيح والكنيسة.

* ثمّ يعلّق السيّد زكي على كلام المسيح في متّى (٧/ ١٥-١٩): "إحترزوا من الأنبياء الكذبة. فإنّهم يأتونكم بثياب حملان، ولكنّهم من الداخل ذئاب خاطفة.."، فيأخذ هذا الكلامَ حجّةً للنيل من شاؤول، فيقول:

"للّه درّك أيها المسيح! لقد كنتَ تعرفُ بعين النبوّة أنّه سيأتي بعدك أنبياء كَذَبة، أمثال شاؤول وقساوسة المجمّعات، المندسّ فيها اليهودي والوثني، الذي

(كذا) أخفوا دينَك الصحيح، وكمّموك، وأوثقوك، فأحكموا الوثاق، وانتهزوا فرصة غيابك، وجلسوا مكانك، وادّعوا أنّهم ورثتك، وزعموا أنّهم صلبوك، وجعلوا صلبكَ غفراناً لخطاياهم، فبدّلوا دينك، وجاءوا بدين من عندهم، أنتَ منه بريء...

ويضيف: "ألا ينطبق هذا المثل على شاؤول اليهودي الفرّيسي الطرطوسي (كذا. والأصحّ الطرسوسي) الذي تسلّل إلى دين المسيح بعد تمثيليّة الإغماءة، كأنّه حملٌ تائب، مدّعياً العمى. ثم ما لبث أن ظهر على حقيقته ذئب (كذا)، خاطف، كاسر، خطف دين المسيح من التلاميذ، والتَهَمَ معظمَه، ولاكَ الباقي في فمه، وهرب به إلى الأمم.." (٤٣٢-٤٣٣).

نقول للسيّد أحمد زكي:

١. إنّ أساقفة الكنيسة وكهنتها لم يدّعوا يوماً أنّهم أنبياء.

٢. لقد بقي المسيح، في الكنيسة، منذ بدايتها حتى اليوم، هو هو ربّها ومعلّمها وملهمها وسيّدها ومخلّصها والسائر معها والساكن فيها... ولكن، قد تمرّ الكنيسة بأزمات حكمٍ، أو بمراحل تفسير لكلام الإنجيل، أو بمستويات من العلوم الإنسانيّة والفلسفيّة تعيسة... فلا غرابة في ذلك، لأنّ الكنيسة تتكوّن من بشر معرّضين للخطأ والخطيئة والضلال... ومع هذا، فكلّ هذه لا تحجب عن الكنيسة وجهَ المسيح المشرق. وللحقّ نقول: كلّما دار حول وجه المسيح ظلامٌ، كان ذلك الوجهُ مشرقاً أكثر.

٣. كان في التاريخ مَن سبق السيّد زكي إلى القول بأنّ بولس هو مؤسّس المسيحيّة. ونتيجة أبحاث وعلوم بيبليّة ولاهوتيّة متطوّرة، اختفى هذا القول،

وأصبحَ بدون سند، إلى أن التقط التــاريخُ أنفاسَه مع السيِّد زكي، فــأعاد القولَ البالي. والقولُ الحقُّ هو التالي: إنّ بولسَ هو مــهندس البنيان، والمسيح أساسه. بولس لاهوتي الكنيســة، والمسيح منشؤها. بولس فيـلسوف المسيحيّــة، والمسيح ربّها. بولس رســول مجاهــد حتى الموت من أجل المسيح. والمســيح يكافئ بولسَ على تحمّله كلّ ضيقٍ في سبيله.

* ثمّ يعلّق السيِّد زكي على مثل الزؤان في متّى (١٣/ ٢٤-٢٩)، ويقول:

".. ألا ينطبق هذا على بشارة عـيسى التي جاء بهــا إلى قومه، فزرع فــيهم الحنطة، ثم جاء عدوُّه شاؤول والمجمّعات الكنسيّة، وزرعوا الزوان، فحرّفوا دينَه من دين سماوي يؤمن باللّه الواحد إلى دين وضعي صنعوه بأيديهم وأضافوا فيه كلَّ يوم إله (كـذا)!!؟. ثم مــاذا قــال المســيح عن هذا الزوان؟ قــال: "إجمــعـوه ليُــحرق"، وأمّــا الحنطة "فاجـمعـوها إلى مخـزني". وعلى نصارى الــيوم أن يحزمــوا أمرهم. هل هم من زوان شاؤول الذي ســيحرق، أم مــن حنطة المسيح التي سيجمعها في مخزنه!" (٥٤٥).

نقول للسيِّد زكي:

١. المسيح لم يأتِ بدين. ولــم يُنَزِّلْ معه كتــاباً سماويّاً. والمســيحيّــة ليست لفئة دون أخرى من البشر؛ إنّما هي مســيرة خلاص شاملة العالم أجمع...وما في المسيــحيّــة، من شرائع وعــقائد وتنظيمــات.. هو من وضــع الكنيــسة، ومن أجل الإنسان، كلِّ إنســان. يعني أن الكنيــسةَ تواكبُ الإنســان في تطوّره وترقّيــه. فلا شيء فيــها جاهزٌ مــسبَقــاً، أو جامدٌ أبداً، كـما هو الحــال في القرآن... كلّ شيء يتحرّكُ من أجل فهمٍ للّهِ أعمق، وبحثٍ عنه مستمرّ، ورجاءٍ بخلاصٍ شامل.

٢. ألمسـيحـيّـة، أليـوم كمـا بالأمس، هي خـمـيرةُ هذا العـالم، وحنطتـه. والقديسون فيـها يمثّلون المسيحيّة الحـقّة. والبعيدون عن المسيـحيّة هم الخطأة المتصلّبـون في خطيئـتهم، المنغلقـون على التوبة. والمسـيحيُّ الذي لا يهـمّهُ من مسيحيّته سوى انتمائه السوسيولوجي إليها فهولا يكون إلاّ زؤاناً.. هذا، قد يعي، بصلاة مَن يصلّي من أجله، مسيحيّته من جديد، فيصبح، بالتالي، مسيحيّاً حقّاً..

٣. ألمسـيحـيّة ليـستْ، مقـولةً نظريّةً، أو ديناً جامـداً، بل هي حيـاة إيمان، ومـحبّـة، وتوبة صـادقـة..هي مسـيرة خـلاص، تتـولاّها الكنيسـة، التي تواكبُ الإنسانَ، وتساعـده على أن يختبرَ اللّهَ أكثـر فأكثر، ويبحث عنه باسـتمرار. فكم هي، والحـالة هذه، وبهذا المعنى، بعـيدة عـن الإسلام، الذي يقـوم على تصنيف البشر، ورسم سلوكهم بطريقة ثابتة جامدة في كتاب مُنزل.

* ثمّ يعلّق السيّـد زكي على ما جاء في متّى (١٠/ ٢٤) على لسـان يسوع: "ليس تلميذٌ أفضلَ من معلّمه، ولا عبدٌ من سيّده". يقول: هذا يعني "أنّ شاؤول لا يمكن أن يكون أعظم من المسيح. وعليـه، يَطرح السؤالُ التالي نفـسَه: إذاً، كيف يتركُ النصارى دينَ المسيح، ويتبعون دينَ شاؤل؟! ألا يتدبرون ذلك!؟" (٤٨١).

نقول:

١. إنّ العلاقة بين اللّه والإنسـان ليست علاقةَ عبد وسيّـد؛ إنّما هي علاقة أخوّة، ومـحبّة، ومـشاركة، وطاعة خـلاصيّة، مـثل طاعة الابن لأبيه: "مـا عُدْتُ أدعوكم عَبيداً، لأنّ العبدَ يَجهلُ مـا يَعمَلُ مولاه؛ بل أدعوكم أحبّاء، لأنّي عرّفتكم كلَّ ما سَمعتُه من أبي" (يو١٥/ ١٥).

٢. بولس يفتخـر بأنّه خادم للمسيح. بل يموت في سبـيله. يجاهد من أجله. يتحمّل كلّ ضـيقٍ واضطهادٍ ليربحَ الحياةَ مع المسـيح... فكيف يتحوّلُ بولسُ هذا من هكذا حـال، في منطق السـيِّـد زكي، إلى أن يكون أعظم من المسـيح!!.. مـرّة أخرى نقول: لم يعمل شاؤول لنفسه. بل كان يعمل للمسيح الذي هو رسوله..

٣. ومرّة أخرى أيضـا: لا شاؤول أسّس ديناً ليتبـعه المسيحيّون، ولا المسيح أنزلَ من السـماء ديناً، وفـرضَـه على المسيـحيّين كـتـاباً منزلا، وشرائع ثابتـة، وحقائقَ جاهزة في ملفّات سماويّة خالصة... المسـيحيّة حياة إيمان، ومسيرة كلّ إنسان لأن يعي اللّهَ، ويبحث عنه، ويختبرَه، ويعيش من أجله ومن أجل خلاصه..

* ثمّ يعلّق السيّد زكي على موضـوع علاقة المرأة بالرجل، في رسالة بولس الأولى إلى تلميذه طيمـوتاوس (٢/ ١٢): "لستُ آذن للمرأة أن تعلّم، ولا تتسلّط على الرجل"، فيقول:

"لاحظ عـزيزي القـارىء قـولَه "لستُ آذَن"!! إذ مَن هو حـتّى يأذن، أو لا يأذن. إنّه ليس سوى يهودي فرّيسي من ألدّ أعداء المسيح باعترافه هو. وللأسف، نصارى اليـوم تناديه "ببولس الرسـول". وما كان يومـاً رسولاً للمـسيح، إنما رسول رئيس الكهنة ومجمع السنهدْرين.. نَسَوا (النصارى) تحذيرَ المسيح الذي قال لهم فيه: "كثيرون سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح. ويضلّون كثيرين" (٦٢٥).

نقول للسيّد زكي:

لا يفهمُ أحدٌ من المسيحيّين، من هذا النّصِّ أن بولسَ، بعد ارتداده، كان عدواً لدوداً للمـسيـح!! ألا ليت السيّـد زكي يعلم أنّ بولسَ، والكنـيسـةَ، وكلّ بابا، أو

أسـقف.. يسـتطـيع أن يأذن، وأن لا يأذن. ويسـتطيع أن يسـنّ شـرائع، ويلغي أخرى!!! والسببُ بات، لدى القـارئ، واضحاً. ونردّده: إنّ السلطةَ في المسيـحيّة هي للكنيـسـة؛... ألكنيـسة هي هي "أمّ ومـعلّمـة"، تواكبُ الإنسـان، وتضع له الشـرائع، وتكمّل رسـالة المسيـح الذي بنى أسسَـهـا من أجل خـلاص البشـر، وأولاها كلّ سلطان..

* وأخيراً، يسعنا أن نـختصر موقف السيّد أحـمد زكي من القديس بولس بما يلي: شاؤول، يهـوديٌّ، فرّيسيٌّ، متهـوّرٌ، متعصّبٌ للصـهيونيّة العـالميّة. دخلَ المسيحيّةَ ليـهدمها من الداخل. فقال بإنجيل غير إنجـيل عيسى، وبدين غير الذي جاء به عـيسى، وبمعتقـداتٍ عجيـبةٍ، مثل الثالوث بـدل التوحيد. وقـال بألوهيّة المسـيح، وبنوّته للّه، وبالتـجسّـد، والصلب، وموت اللّـه، وقيـامتـه، وبالعمـاد، وبمغفرة الخطايا عند الإقرار بها عند القساوسة... إلخ.

أمّا نحن فنختصر كلامَنا على القديس بولس بما يلي:

١. إنّ شاؤول، بعـد ارتداده من اليهوديّة إلى المسيح الذي كـان يضطهده، ويضطهد كنيسَـتَه، ما برح، حتى آخر لحظة من حـياته، يعمل من أجله، ومن أجل كنيســته. ولم يعـدْ شيء في الدنيا يسـتطيع أن يُغويه، أو أن يفـصله عن محـبّة المسيح والجهاد في سبيل كنيسته. وها هو يقول عن نفسه:

"مَن يفصلُنا عن محبّة المسـيح؟ أضيقٌ، أم حصرٌ، أم اضطهادٌ، أم جوعٌ، أم عُريٌ، أم خطَرٌ، أم سـيفٌ؟.. إنّا من أجلك نُماتُ النهـارَ كلَّه، وقد حُسـبنا مثلَ غنَمٍ للذّبح" (رو ٨/ ٣٥-٣٧).ويقول أيضـا: "حتّى الساعةَ نجـوعُ ونَعطشُ، ونُعرى ونُلكَمُ ونَهيمُ، ونتعبُ.. نُشـتَمُ فنبارِك، نُضطَّهَدُ فنَحتمِل، يُفتـرى علينا فنُعَزّي. لقد صِرنا مثلَ أقذارِ العالَم، ورُذالةِ الجميع، حتّى الآن!" (١قو٤/ ١١-١٣).

٢. أمّا أن يكون المسيح، بنظر بولس، قد جاء ليـرمّمَ الشريعة، على ما يقوله السيّـد زكي، فهـذا ما لا يخطر ببـال أحد. لقد أصـبحت الشـريعةُ، بعـد مجيء المسيح، عاجزة: "لقد ملكتِ الخطيئـةُ على جميع الناس، في كلّ شيء، حتّى صار الخلاص، لجـميع الناس، أمراً مـستحيـلاً، حتّى ولا الانتمـاء إلى شعبٍ مخـتارٍ أمسى يفيدُ شيئاً" (تفسير أونجليون على رو ٣/ ١٠-١٨).

وأصبـحتْ مضـرّة، "لأنّ الشريعـةَ تُنشئُ الغضب. وحـيث لا شريعـةَ فلا تعَدِّيَ للشريعـة" (رو٤/ ١٥).. وفي مكان آخر يقول: "أمّا الشريعـةُ فقد اندَسَّتْ لكي تَكثُرَ الزَّلَّة. وحيثُ كَثُرَتِ الخطيئَةُ طَفَحَتِ النِّعمَة" (رو٥/ ٢٠)... لهذا أبطلها المسيح بمجـيئـه وبصليبه: "إنّكم لسـتُم في قَيـدِ الشريعة بل في قَـيدِ النعـمة" (رو٦/ ١٤ والتفسير عليها).

٣. المسـيح، في نظر بولس، قد دعـانا إلى الحرّيّة (غل٥/ ١و١٣)، وقـد كنّا من قبـلُ مستـعبَـدين للخطيئـة (رو٦/ ١٨-٢٢)، وللشريـعة (رو٦/ ١٤؛٨/ ٢؛ غل٣/ ١٣؛ ٤/ ٥، رو٧/ ١)، ورسـومـهـا المادّية (غل٢/ ٤)، ولعناصــر العـالم (غل٤/ ٣، ٨؛ قـول٢/ ٢٠-٢٢)، والفسـاد (رو٨/ ٢١-٢٣). علينا بعـد الآن ألاّ نعود نخـضـع لها (غل٢/ ٤-٥، ٤/ ٩، ٥/ ١)، لأنّنا صرنا أحـراراً (١قور٩/ ١).. خاضعين لشريعة الروح (رو٨/ ٢، ٧/ ٦، ٨/ ١٤-١٥، ٢قور٣/ ١٧).. لقد أُبطلتِ العبـوديّة في نظام النعمة بالمسيح (١قـور١٢/ ١٣، غل٣/ ٢٨، قول٣/ ١١).. لأنّ العبدَ وسيّدَه، كلَيهما قد تحرّر بالمسيح، على حدٍّ سواء (١قو٧/ ٢٢، أف٦/ ٥-٩، قول٣/ ٢٢-٤/ ١، ف١٦) (أنظر تفاسير أونجليون على رو٦/ ١٥-٢٣).

٤. يبقى على السيّد أحمد زكي أن لا يعـودُ بنا وبالتاريخ إلى الوراء كثيراً. لقد زال ذاك العـصرُ الذي كان يُقـالُ فيه مـثل قوله. وأثبـتتِ الأبحاثُ البيـبليّة

متطـوِّرةً جداً، والعلوم اللاّهوتيّـة عميـقة شـاملة. وأمسى القـولُ بأنّ بولس هو مؤسِّس المسيحيّة قولاً من الزمن الخالي. وليتَ السيِّد زكي أعفى نفسَه من ترداد أقوالٍ خالية!!!

٥. يبقى علينا أن نقول: إنّ هذه المواقف البولسيّة من الكـنيسة والمعتقدات المسيـحيّة هي مواقف المـسيح نفسه في أقـواله وأفعاله. وليس من اخـتلافٍ أو تناقضٍ بين مسيح الأناجـيل ومسيح القديس بولس. إنّمـا، إذا ما اختلفتِ الرؤية وأساليب التعـبير بين هذا وذاك من كتـبَة العهد الجديد فـلا يعني أنّ الاختلاف يؤدّي إلى مسـحاء عديدين، بتعدّد الكاتبين عنه..

الفصل الخامس

اليهود وراء شاؤول والشاؤوليّين

* يقول السيّد أحمد زكي:

".. أنظر إلى قولهم "إله إسرائيل"! كأنّ اللّهَ ليس إلهَ العالم بأسره؛ إنّما إلههم وحدَهم.. ويريدون الجنّةَ أن تكون لهم وحدَهم.. لأنّ اللّه ليس إله أحد؛ إنّما إله إسرائيل فقط" (٥٧٧)... لقد جعلت العنصريّةُ اليهوديّةُ اللّهَ إلهَ اليهود وحدَهم. وكأنّه لا شأن له مع العالم غير اليهودي. إنّه، كما قالوا ويردّدون، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب؛ إله الآباء والأنبياء؛ إله أورشليم والهيكل وقدس أقداسه.. ولكن إذا كان أيضاً إله سائر الكائنات فهو إلههم بالدرجة الثانية.

هذا هو مختصَرُ نظريّة السيّد أحمد زكي في نظرته إلى إله اليهود. وهل من شرٍّ، في رأيه، أعظم!! بل أشرٌّ في العالَم، وليسَ يهوديٌّ وراءه!!! شاؤول نفسه، والمجمّعات الكنسيّة، وقساوسة الكنيسة، في جميع أطقمهم، والمعتقدات الماورائيّة كلّها، والتعاليم الاجتماعيّة، والأخلاقيّة، ومسيرة المسيحيّين عبر التاريخ، والحملات الصليبيّة، والتبشيريّة، وتحريف التوراة والإنجيل، واضطهاد النبيّين، والمسيحيّة، بأمّها وأبيها، يهوديّة، صهيونيّة، لا غشّ في ذلك.

أليهود هؤلاء هم الذين نصبوا العداء للمسيح والمسيحيّة الحقّة. هم الذين

أرسلوا الفرّيسيّ شاؤول، "ألدّ أعداء المسيح"، ليبشّرَ الأمم، في الوقت الذي جاء المسيح للنفوس الضالّة من بني إسرائيل. هم الذين علّموا العالمَ الاعتقادَ بالثالوث، وأبعدوهم عن التوحيد، لتبقى الجنّةُ خالصةً لهم وحدَهم. هم الذين أخفوا التوراة والإنجيل الحقيقيّين، وأخفوا اسمَ النبيّ المنتظر، الذي تنبّأ عنه موسى وعيسى وأنبياء العهد القديم كلّهم، والعهد الجديد، أي محمّد نبيّ المسلمين. هم الذين اندسّوا في الكنائس، والمجمّعات الكنسيّة، فكان منهم معظمُ البابوات والأساقفة والقساوسة الأبالسة.

والحقّ يقال: إنّ اليهودَ، مع ما صنعوه بالمسيح والمسيحيّة من شرّ، يبقى شرُّهم أعظم على المسلمين. فهم، في الحقيقة، أعداء المسلمين والدين الإسلامي ونبيّ المسلمين والقرآن، أكثر منهم أعداء المسيحيّين.. ذاك لأنّ المسلمينَ كشفوا نيّاتهم الشرّيرة في صدّ الناس عن الجنّة، التي أرادوها لهم وحدَهم دون سائر البشر. ولأنّ المسلمين كشفوا للعالم مفتاح الجنّة، وأعلنوه على الملأ، ألا وهو "لا إله إلاّ اللّه".

وقد يكون الكشفُ عن شرّ اليهود هدفاً رئيسيّاً من أهداف السيّد زكي. وقد عالج هذا الهدف عبركتابه كلّه، بل يعود إليه في كلّ صفحة، ويفصّله في كلّ فصل، ويقلّبُه على كلّ جنب... ونعجبُ جداً أن يتّهم بعضُ أعضاء المركز الكاثوليكي للإعلام الكاتبَ بأنّه يعمل لمصلحة اليهوديّة الصهيونيّة وإسرائيل...

وما على القارئ إلاّ أن يستنتج من خلال ملاحقتنا لهذا الموضوع في أبرز ما جاء عنه في كتاب السيّد زكي.

* يقول السيّد زكي:

"أليومَ، إذا أردتَ أن تعـرفَ مفتـاحَ أيِّ جريمة غـامضـة، أو أيِّ فـسادٍ في العالم، ففتِّشْ عن إصبع الصـهيونيّة العالميّة فيه، خصـوصا الموسّاد. وما انحلال الاتّحاد السوفياتي مؤخّـراً، حليفِ العرب، إلاّ من صنعهم. ألم يقل أوسكار ليفي، أحدُ زعمـاء الصـهيونيّـة العتاة: "نـحن اليـهـود، لسنا إلاّ سـادة العالم ومـفسديه، ومحرّكي الفتن فيه وجلاّديه!".

"فهم اليومَ، يقفون خلف كلِّ الموبقـات، موبقات التآمر والجريمة، والجنس، والمخدّرات، والتجسّس، والصـحافـة، والأفلام التي تعكس كلَّ ذلك، وتنتجها دورُ السينما في هوليوود..." (٦٥٢).

* وفي مكان آخريقول أيضاً:

"ألصـهـيونيّة العـالميّة مليئـة بالفساد والجريمة والاغـتيالات والتـجسّس وتجارة المخدّرات.. لقد أصبح اليهـودُ سادةَ الشعوب في الفسـاد.. لكنَّ الدولَ لا تسـتطيع التـصـريـحَ علناً بذلك، لأنّ اليـهـودَ يخنقـون تـلك الدول برأس المال والتجارة والمصانع والإعلام الذي يتحكّمون فيه..." (ص٦٨١-٦٨٢).

* وتعليقاً عـلى ما جاء في **مَثلِ الوزنات** (متّى٢٥/١٤-٣٠)، عن الرِّبا، حـيث قال المسـيح لصاحب الوزنة الواحـدة: "كـان عليكَ أن تضـعَ فضّـتي عند الصيارفة. وعند مجيئي كنتُ آخذُ الذي لي مع ربا"، يقول السيّد زكي:

هذا "يدلّ على أنّ الكاتبَ، الذي دسَّ هذا المثل، ليس إلاّ يهـوديّاً حتّى العظم، يؤمن بالربا، وهو محـرّم في جميع الأديان. وحاشـا للّه أن يقبل الرّبا، وهو الذي أحلّ التجارةَ والبيعَ وحرّم الرّبا. فكانت هذه سـقطةٌ من الكاتب كشفتْ دسَّه لهذا القول الذي منه المسيحُ بريء" (٧٣٤).

* وتعليقاً على قول **المرأة الكنعانيّة** للمسيح: "نعم يا سيّد! والكلابُ أيضاً تأكلُ من الفُتات الذي يسقط من مائدة أربابها" (متّى١٥/٢٧)، يقول السيّد زكي:

" هراء! وأيّ هراء! إنّه حلم الصهيونيّة في أن يكونوا أربابَ العالم.. إننا نلاحظ هنا أنّه، عندما وضعتِ المرأةُ المسكينةُ نفسَها بمنزلة الكلاب، حسب مشيئة متّى المزيّف، وبعد أن جعلَها تعترفُ بذلِّها وانكسارها تحت أقدام اليهود، وتفوّقِهم عليها بالعِرق والجنس، يريدُ الكاتب أن يدلّسَ علينا بأنّ المسيحَ أعجبَ بها، وسُرَّ منها، وقال لها: "عظيمٌ إيمانك. وليكن كما تريدين". ولكن مَن يصدّقه!؟ " (٥٧٥).

* وتعليقاً على قول المسيح: "**إلى مدينة السامريّين لا تمضوا**" (متى١٠/٥)، يعلّق السيّد زكي:

١. "هراء! لأنّ هذا النّص مدسوس على المسيح من قِبَلِ متّى المزيّف، اليهودي العبراني العنصري، الذي كان يكره السّامريّين.. وصدرُه يغلي بالحقد والعنصريّة البغيضة ضدّ كلٍّ مَن ليس عبرانياً.. وحتّى لو سايرنا هذا المتّى المزعوم، وفرضْنا أنّهم (أي السامريّين) ضلّوا، وأخطأوا بتزاوجهم من الأمميّين، فهم أحوجُ الناس إذاً بذهاب عيسى إليهم..

٢. "وممّا يُثبتُ كذبَ هذا الكاتب.. أنّ لوقا.. ناقضَ أقوالَ هذا المتّى، ودحضها في رواية المسيح عن السّامريِّ الطّيّب في طريق أريحا (لوقا ١٠/٢٥-٣٧)...

٣. "وممّا يثبتُ كذبَ هذا المزعوم أيضاً.. هو أنّ المسيحَ ذهبَ بنفسه إلى السّامريّين، وحلَّ في ضيافتهم يومَين، كما ذكر لنا يوحنّا في (٤/٦-٤٢) من إنْجيله.." (ص٤٧١-٤٧٢).

* وتعليقاً على قول المسيح (متّى٧/٦): "**لا تُعطوا القدسَ (كذا) للكلاب**. ولا تطرحوا دررَكم قدّام الخنازير"، يعلّق السيّد زكي:

"المقصودُ بذلك الأمم الغير يهوديّة. إنّ المدقّق في هذه الجملة يشعرُ تماماً أنّها دَسٌّ من عند الكاتب اليهودي الذي كشف عن عنصريّته البغيضة.. ونحن ننزّه عيسى عن أن يصفَ إخوتَه البشر، الذين خلقَهم اللّهُ على أحسن وجه، بأنّهم كلاب وخنازير. وهذا أكبرُ إثبات أنّ كاتب هذه النصوص يهوديٌّ، عبرانيٌّ، نازيٌّ، متعصّبٌ، لدرجة العمى ليهوديّته، ولمدينة "أورشليم" أكثرَ من هتلر.. ونحن نستغربُ لنصارى اليوم كيف ما زالوا حتّى اليوم يتعبّدون بكتاب يصفهم بالكلاب والخنازير" (ص٤٢٩-٤٣٠).

نلفتُ نظرَ القارئ إلى خطأ ارتكبَه السيّد زكي في نقلِ الترجمة العربيّة، في كلمة "القدس"، فاعتبرَها أورشليم، فيما هي تعني الشيء المقدّس.

* أمّا موضوع احتكاراليهود للجنّة لتبقى لهم وحدهم فيملأ صفحات الكتاب. ويعتبرُ السيّد زكي أنّ اليهود قد دفعوا بشاؤول ليتحمّلَ كلّ ماتحمّل من أجل إقناع الأمم بالثالوث، وصدّهم عن التوحيد، لأنّ مفتاح الجنّة إنّما هو "لا إله إلاّ اللّه". ولمّا جاء النبيّ محمّد اكتشف شرّهم، فأعاد التوحيد إلى ما كان عليه. فوقعت العداوة بين المسلمين واليهود إلى الأبد... هذه الأفكار يردّدها السيّد زكي، مع إضافات ومبرّرات لا تخطر ببال إنسان.

* يقول:

"ولقد قلنا إنّ من أهداف شاؤول واليهود المندسّين في المجمّعات الكنسيّة نسفُ دين المسيح الموحِّد باللّه من الداخل، وتحويله إلى دين وثني لتقريبه من

الوثنيّة التي تؤمن بالآلهة الأبناء والآلهة الآباء، لإبعاد المسيحيّين عن الجنّة التي مفتاحها "لا إله إلاّ اللّه" (١٦٥).

* ويقول:

"كذلك أرادوا (رؤساءُ اليهود والكهنة والفرّيسيّون)، منذ القدم وحتّى اليوم، السيطرةَ على الجنّة، واحتكارَها لهم، بعدَ أن عرفوا مفتاحَها البسيط، الذي أوّله "لا إله إلاّ اللّه"، فأبقوا ذلك المفتاح في أيديهم، ولم يُطلعوا الأممَ الأخرى عليه.. لذلك، نرى، فيما بعد، أنّهم، بعد أن فَبركوا لهم الثالوث، وسوّقوه على تلك الأمم ليضلّوها، ويُبعدوها عن الجنّة، بقوا هم محتفظين بـ "لا إله إلاّ اللّه" لأنفسهم، ولم يفرّطوا بها حتّى اليوم...

"وكلّما ازداد عددُ الكفرة.. كلّما حافظوا على بقاء الجنّة لهم وحدهم.. لذا فهم يحقدون على المسلمين أشدَّ الحقد، لأنّ المسلمين عرفوا سرَّ الدخول إلى الحياة الأبديّة بـ "لا إله إلاّ اللّه".. ممّا سيقلّل نصيبَ الفرد اليهودي في الجنّة، كما سيقلّل حصّتَه من الاستمتاع بخيراتها" (٧١-٧٢).

* ويفسّر السيّد زكي لماذا حقدُ اليهود على المسلمين بنوع خاص، فيقول:

"لماذا حقد اليهود منصبٌّ على المسلمين.. لماذا المسلمون، من بين شعوب العالم، هم المستهدَفون من قِبلِ اليهود؟؟ هل كان السببُ غيرةَ سارة من هاجر! لأنّ هاجَرَ رزقها اللّهُ باسماعيل، بينما لم تكن سارة رُزقتْ بإسحق بعد!؟.. أهو لأنّ محمّداً كان قد أجلاهم عن الجزيرة العربيّة!!؟؟

"الحقيقة.. إنّ هناك عدّة أسباب:

"أوّلاً- غيرتهم وحسدهم من المسلمين، لأنّ نبيَّ العالَم.. لم يظهرْ فيهم..

"ثانياً- قول محمّد بأنّ مفتاحَ الجنّة هي شهادة "لا إله إلاّ اللّه" بعد أن

كتمها اليهود عن الأمم قروناً..

" من هنا، جاء محـمَّد يدقّ ناقوسَ الخطر، وينبِّه النصـارى.. كي يسارعوا لاسترداد أماكنهم في الجنَّة، التي أرادها اليهودُ خالصةً لهم وحدهم" (١٢١).

* ويكمِّل السيِّد زكي:

" لهذا، فـإنَّ حقـدَ اليهود الحـقيـقي على المسلمين عمـره من عمـر الرسالة النبويّة التي نَزَلتْ على مـحمَّد... ولذلك، هم لا يحـقدون على الأمم التي شتَّتَـتْهم ونفتْهم وأخرجـتْهم من أراضيها، أو حتَّى أحرقتْـهم.. إنَّما يحقدون على المسلمين، الذين هدمـوا في سـاعات مـا بنوه هم من دجل الثـالوث في قـرونٍ، ظنّوا أنَّهم نجحوا في تسويقـه على الأمم، ليبعدوهم عن عبادة اللّه الواحـد، ليضمنوا الجنَّةَ لأنفسهم" (١٢٢).

* وهنا يروح السيِّـد زكي يتسـاءل عن هدف اليـهود فـي حروبهم ضـد المسلمين، فيـأخذ مثـلاً حادثة الحرَم الإبراهيـمي التي وقعت في ٢٥/٢/١٩٩٤، وحادثة المسجد الأقصى، ويقول:

" لماذا أطلق اليهود الرصاصَ على المسلـمين وهـم يصلّون في مسجد آبائهم، إبراهيم وإسـحق ويعقـوب.. ولم يُطلقـوه على المسـيحـيِّين وهـم يصلّون في أيٍّ كنيسة؟؟!!

" ولماذا قاموا بإحراق المسجد الأقصى للمسلمين من قَبْلُ، ولم يقوموا بحرق كنيسة القيامة في القدس، أو كنيسة المهد للنَّصارى في بيت لحم؟!!

" الجواب هو أنَّ المسـيحيِّين، طالما يعـبدون إله (كذا) غـير اللّه الحقـيقي.. فمـصيرهم، في نظر اليـهود، كمـصير الهنـدوس والسيخ والبوذيِّين، قـد حُسِم، وطريقُهم إلى الجحيم الأبدي قد مُهِّـد. وبذلك لن يشاركوا اليهودَ في الجنَّة. لكنَّ

الأرقَ كلّ الأرق يأتي من المسلمين الذين انتزعوا مفتاحَ الجنّة وعبادةَ اللّه الواحد منهم. ولا يريدون أن يتزحزحوا عن معتقدهم هذا" (١٢٣).

* ثمّ يتكلّم السيّد زكي عن مدى تغلغل اليهود في الكنيسة، منذ شاؤول حتى اليوم، فيقول:

" ويخطئ كلُّ مَن يعتقد أنّ اليهودَ ليسوا مندسّين في الكنائس حتّى يومنا هذا. فما حادثة إعفاء الفاتيكان لليهود من دم المسيح، سنة ١٩٦٦ م ببعيدة. ولقد ذكرت الصحفُ وقتَها أنّ أمّ البابا كانت يهوديّة" (٧٧).

* ويقول أيضاً:

" يتبيّن للقرّاء أنّ الحروب الصليبيّة، التي شنّها الغربُ ضد المسلمين، ما كان وراءها إلاّ بابوات اليهود.. كيف لا! والمسلمون انتزعوا منهم رسالةَ التوحيد.. الأمر الذي، كما قلنا، سيقلّل من حِصص استمتاع اليهود بالجنّة" (٧٨).

* ثمّ يتعجّب السيّد زكي من مسيحيّي الشرق، لماذا يستمرّون في عدائهم للإسلام، وقد بدتْ واضحةً لديهم نيّات اليهود!؟ لماذا لا يقتحمون أبواب الجنّة بما توفّر لهم من مفاتيح دلّهم إليها نبيُّ المسلمين، بعد أن كان منعها عنهم اليهود وشاؤول والبابوات والمجمّعات الكنسيّة. يقول:

" إذا كانت الكنائس في الغرب قد تصهيَنَتْ.. فما بال كنائسنا المبجّلة في الشرق العربي لا تزال مضلّلة، وتتبعُ دينَ شاؤول، هذا الذي مسخ دينَ المسيح.. هذا اليهوديّ الفرّيسيّ الكاذب!!! آن الأوان كي تصارح (كنائسُ الشرق) طوائفَها بالحقيقة، لتُنقذَ أرواحَهم المضلّلة البريئة من الهلاك الأبدي المحتوم، الذي جرّهم

إليه شاؤول ومجامعه الكنسيّة " (٨١).

وسوف يجدُ القارئُ كلاماً كثيراً على العناصر اليهوديّة في ما يلي من فصول. لأنّ اليهود عملوا في كلّ شيء ليفسدوا دينَ المسيح. فضلّلوا العالمَ كلّه، وأفسدوا الأخلاقَ فيه. وتعاطوا الرِّبا، واحتقروا الأمم، وأبطلوا العقائدَ الإلهيّة كافّةً..

***

ولا يسعنا، أخيراً، إلاّ أن نعجب، نحن بدورنا، من مواقف السيّد زكي العدائيّة للمسيحيّة واليهوديّة معا، للتوراة والإنجيل على السواء.. إنّه حقد ليتّنا نستطيع مساعدتّه للتخلّص منه ببعض كلمات من القلب!! وليته يُدرك، ولو لمرّة واحدة، أنّ محبّة الإنسان هي الواسطة لمحبّة اللّه. ومع هذا نقول له:

١. ألكلامُ العامّ الذي لا يستثني يهودياً أو مسيحياً من شظاياه المميتة، لا يبني، ولا يفيد. لا اللّهُ يريدُه، ولا العقلاء من البشر يستسيغونه. كلامٌ لا يردُّ ضالاً عن طريقه، ولا يصوّبُ أحداً باتّجاه الحقيقة، ولا يفيدُ خلاصَ أحد.

٢. هذا، وإنّنا نخشى، فيما نحن نأملُ من صديقنا بعضَ المحبّة والانفتاح على الآخرين، أن يتّهمنا، كعادة أمثاله، إذا ما لم نشتمِ اليهودَ ليلَ نهار، بأنّنا نعمل للصهيونيّة العالميّة، ولتدمير المسلمين، والعالم العربي برمّته.

٣. نأسفُ جداً أن يُمسي الخلطُ بين الحقائق الإيمانيّة والمعطيات التاريخيّة والسياسيّة حالةً دائمةً عندنا. حالة قد أفسدتْ علينا المنطقَ من جذوره؛ حتّى بتنا

لا نميّـز بين الحقّ والباطل، ولا بين الإيمان والسلوك الشـرير، ولا بين الحقـائق الخلاصيّة والمصالح الدنيويّة...

٤. ونرجومن السيّـد زكي أن يغوصَ قليلاً في سرِّ اللّه. فـيعملُ فيـه باحثاً، مفـتّشاً. فاللّهُ لا يرتاحُ ولا يريح. فـلا يطمئنَّ أحدٌ لما هو عليـه. إنّ هذا الاطمئنان إنّمـا هو استرخـاء وتقاعس عـن البحث، وهوالكفـر بعينه. واللّه لا يُريدُ إنسـاناً مسـتسلماً للأقـدار، لا قلق عنده ولا تفتـيش. وقد لا تكون الحيـاة غنيّة، أو ذات معنى، إن هي أرخت زمامَ أمرها للمطمئنّين المسترخين.

الفصل السادس

الإنجيل الحقيقي والأناجيل المزيّفة

* يقول السيّد أحمد زكي:

"إنّ إنجيل عيسى فقط هو المقدّس، لأنّه كلامُ اللّه.. ولكن، يا حسْرتاه! أين هو ذلك الإنجيل!؟ لقد غيّبوه وراء الشمس، وادّعوا أنّه مفقود. لا بل ادّعوا أنّه لم يُكتب أصلاً" (١٧٦)...

هذا القول يعني:

أوّلاً– لعيسى إنجيل أُنزِلَ عليه من السماء. إنّه الإنجيل الحقيقي. فيه مبادئ دين المسيح الحقيقي. لقد ضاع هذا الإنجيل؛ بل أخفته الكنيسة، لألف ألف سبب، كما سنرى.

ثانياً– لقد استبدلتِ الكنيسةُ الإنجيلَ الحقيقي الذي ضيّعته، أو بالأحرى، خبّأتْه في سراديب الفاتيكان. ولا تزال تخفيه حتى جاء مَن ينبشُ سرَّه، فكان إنجيل برنابا الذي يعتمد المسلمون على صحّة تعاليمه، وموافقتها تعاليم القرآن. وسنرى أيضا ذلك.

ثالثاً– وسوف يحظى إنجيل متّى بالنصيب الأوفر من الدرس والنقد. وسيفصّله السيّد زكي آيةً آية، وكأنّه عالِمٌ بيبليٌّ من الطراز الأوّل، في الوقت الذي لا نجدُه يعرفُ إتقانَ أيِّ مرجعٍ بيبليٍّ متخصّص. وسنرى ذلك أيضاً.

أوّلا- الأناجيل المزيّفة

* يقول السيّد زكي:

إنّ الكنيسة هي التي أحرقت الأنجيل الحقيقي، وسائر الكتب، وفرضت على الناس الأناجيلَ الأربعة، مع ما فيها من تناقضات بين بعضها بعضاً، وحتّى في الإنجيل نفسه. يقول بالحرف الواحد:

" حيث إنّ الكنيسة، بعد مجمع نيقية، سنة ٣٢٥، قد أمرت بحرق جميع الكتب والأناجيل (يعدّد منها، في الحاشية، ٢٢ إنجيلاً، ويشير إلى " حوالَي سبعين إنجيلاً ")، التّي تحدّثتْ عن عيسى وإنجيله في العصور الأولى، فأصبحت بذلك مسؤولة أمام اللّه والتاريخ والناس أجمعين عن ضياع الكثير من دين المسيح وسيرة حياته...

" وحيث إنّ الكنيسة، إبّان سطوتها، قد فرضتْ على الناس هذه الأناجيل الأربعة وملحقاتها مع ما فبركته من مزاعم باطلة في مجامعها...

" وحيث ثبتَ أنّ الثقة التاريخيّة والعلميّة والموضوعيّة مفقودة في هذه الأناجيل، لأسبابٍ عديدة، كالشكِّ في مؤلّفيها، وعدم معرفة بعضهم حتّى اليوم؛ وللتحريف المتعمّد، والاقتباسات المبتورة من العهد القديم.. والترجمات الخاطئة التي اعتورتْها في كلِّ طبعة.. بحجّة التصحيح والتنقيح.. الأمر الذي يُستغربُ له جدّاً في كتب يزعمون أنّها مقدّسة...

" وحيث إنّ هذه الأناجيل قد امتلأتْ بالتناقضات والمغالطات ممّا يخجلُ منه أيُّ كاتبٍ عصريٍّ.. إضافةً إلى ما اقتُبسَ فيها من الوثنيّة وأُلصق بالمسيح.. مع الخرافات والخيال والمبالغات واللاّمعقول والمستحيل الذي يعصف بها.. الأمرُ الذي طُمسَ فيه دين المسيح الحقيقي، ولم يبقَ فيها إلاّ " القليل القليل " من أقواله الحقّة وتعاليمه الصادقة...

"لذا، وأمام هذه المعطيات، فليس أمامنا إلاّ أن نجمع هذا "القليلَ القليلَ" الذي ورد فيها، ونربطه بمصدر آخر يكون موثوقاً، من أجل معرفة دين المسيح الحقيقي، ثمّ نسلّط الأضواء على غير ذلك، لكشفِ زيفه، وتخليص دين المسيح من جميع الشوائب..

"ولكن!! هل هناك مصدر آخر موثوق به، بعد أن أحرقتِ الكنيسةُ جميعَ الكتب والأناجيل السابقة التي تحدّثت عن المسيح؟!

"نعم. هناك القرآن. لأنّه.. "الناموسُ الإلهي الختامي"، الذي نزل على محمّد خاتم الأنبياء والمرسَلين، كآخر اتّصالٍ للسماء بالأرض، مصحّحاً ولاغياً لتلك الشوائب الدخيلة على دين المسيح، ومعيداً إيّاه إلى الطريق الصحيح، الذي رسمه اللّه للبشريّة جمعاء، منذ أنْ خلق آدم" (٦١-٦٢).

نقول للسيّد زكي:

١. صفحة غير صحيحة. لا التاريخُ ينصفها، ولا الوقائع تثبّتها، ولا الحقيقة بجانبها، ولا العلم يدعمها، ولا الأبحاث البيبليّة تؤيّدها.. والدليل: ليس في العقيدة المسيحيّة شيءٌ يحتّم على الكنيسة أن تحرقَ أيَّ كتاب.. بل العكس هو الصحيح. في عقيدتها أن تستفيدَ من كلّ ما يقوم به الإنسان، أضلالاً كان ذلك أم صواباً. فالكنيسة تعتقد تماماً بأنّ الحقيقة لا توضحُها إلاّ الأخطاء والضلالات. فقط، وفي هذه الأيّام التعيسة، جاء مَن يطالب بمنع كتاب السيّد زكي من المكتبات، لأسبابٍ، مهما كانت، لا تبرّرُ منعَه، بقدر ما تشجبُ المطالبين به. هذه نقطة سوداء يسجّلها السيّد زكي على تعساء يمثّلون الكنيسة في بلادنا.

٢. إثباتاً لما نقول: تحتفظُ الكنيسة بالأناجيل المنحولة، ولا تسمح بأن

يخفيها، أو أن يحـرقها أحدٌ. لأنّها مادّة عظيمة للتاريخ، ولتطوّر العـقيدة، ولحياة الكنيـسة، وشيَـعِهـا، وتعاليـمها، وعـددها... بل تدعو المدارسُ اللاهوتيّـة بعضَ طلاّبها لأن يغوصوا في الأبحاث فيها، ونشرِ ما يتوصّلون إليه...

٣. صحيح أنّ الكنيسة لم تحرق كتـاباً، ولكنّها وجّهت، وعلّمت، وتبنّت كتباً أخرى، وجدت فيـها مصداقيّة وصـحّة واستقامةً وتعـبيراً كاملاً عن حقـيقة ما تعلّم.. وجاءت أقوالُ الآباء، والتقليدُ الموروث، ليـدعم توجّهها.. وفي كلّ حال، لها السلطان على أن تعـيّن وتعطي الصفة الرسـميّة والقـانونيّة لما تراه أصـيلاً من الكتب.

٤. أمّا أن يكون القرآن هو المرجع الصحيح للمسيـحيّة فهذا ما لا يُقرُّه علم. لقد كانت المسيحيّة قبل القرآن بـ٦١٢ سنة. وفي المسيحيّة أفعال وأقوال للمسيح لا ذكرَ لها في القرآن. وفـيها أيضاً معتقدات ونظم وكـتب لم يسجّل منها القرآن شيئاً... وكان الأولى أن يقال: لا شيء في القرآن إلاّ وله في المصادر النّصرانيّة مشابـه ومقابل. فهل علينا الآن تقـديم الدليل على ذلك!!؟ لو يعفينا السـيّد زكي ويقرأ بنفسِه كتباً كثيرة في موضوع المقاربة بين القرآن ومصادره النّصرانيّة!!!.

*ثم يردّد السـيّد زكي في كـتابه مـقولتـه الدائمـة بأنّ الكنيســة هي التي "أمرت بحرق جميع الكتب والأناجيـل الأخرى التي ذكرتْ سيرةَ المسيح.. والتي كان عددها يفوق السبعين إنجيلاً، وفي بعض المصـادر ثلاثمائة" (٨٧).

ونردّد نحنُ بدورنا على مسامع السيّد زكي:

كـيف عـرف ذلك؟! ألم تقضِ الكنيســة على كلّ أثرٍ لجـريمتهـا، أم أنّهـا

استبـقت أثراً ليشـهد على ســوء فعلتها!؟ أجـاهلة هي إلى هذا الحدّ!؟ ألم يدرك أحدٌ من بابواتها وأساقفتها وقساوســتها بأنّ المجرمَ عليه أن يجهز على جريمته بالتمام، وإلاّ بقي مَن يشـهد على شرّ ما صنـع، فتفوته المنفعة ممّا صنع!؟؟ أيُعقلُ أن يبقى، بالرغـم عن الكنيسة، ســبعون، أو ثلاثمـائة كتاب، تـشـهد على عـمليّة الحرق والإخفاء والضياع!!.. ما كان في ودّنا قول هذه الكلام لو لم يتباهَ السيّد زكي، ويفتخربتباهيه ويردّده.

* وبأسلوب غير مـسؤول، يلقي فيه الكلام على عواهنه، يتّـهم السيّد زكي الكنيســة بأنّها هي التي حـرقت الإنجيل الحـقيقي. وحـرّفت. وزوّرت. وخلطت تعاليـمَها بتـعاليم المسيح.. وهـي التي أخفتْ. وضيّـعتْ الإنجيل الحقـيقي، لأنّه يخالف مقاصدَها وتعاليمَها. يقول:

" .. أيّ توراة؟ وأيّ إنجيل؟ ألتوراة التي أنزلهـا اللّهُ على موسى، والإنـجيل الذي أنزله على عـيـسى. ولكن أين همـا؟ ألأولى ضـاعت عـدّة مرّات، وأعـادوا كتابتَها من عند أنفسهم، وخلطوا أقوالَهم بأقوال الوحي وأقوال أنبيائهم. والثّاني اختفى بطريقة غريبة مريبة، لا بل ادّعوا أنّه لم يُكتب إطلاقاً. وظهرت مكانه أربعةُ روايات متناقضة.. وليس بينها إنجيل واحد إسمه إنجيل المسيح" (٩٣).

نقول:

لا دليل علمي، أو تاريخي، لهـذا الكلام. لا موسى أنزل تـوراة، ولا التوراة حرّفت. ولا عيسى أنزل إنجيلاً، ولا الإنـجـيل حرّف... جلّ ما في الأمر أنّ القرآن هو الذي يقـول ذلك. والقرآن يفـيد السـيّـد زكي، ولا يفيـدنا نحن بشيء، لأنّ القرآن، وإنْ كان للسيّد زكي مرجعاً إيمانيّاً، فإنّه ليس لنا، نحن، مرجعاً علميّاً.

* ويكمّل السيّد زكي ويقول:

إنّ الكنيسةَ، مع هذا التحريف للتوراة والإنجيل، لا تستطيع أن تأمرَ الناسَ بالاغتسال والوضوء قبل أن يمسّوا كتابَهم. والسببُ هو أنّه ليس من إنسان يعترف بأنّها كتب مقدّسة. فكيف، والحالة هذه، لا يمسّونها! يقول:

" فيا عزيزي المسيحي! أو يا مَن يعتقد أنّه مسيحيّ! هل تتوضّأ أو تغتسل لتطهرَ قبل أن تمسَّ أناجيلك التي زعموا لكَ أنّها مقدّسة!!؟ الجواب: طبعاً. لا. ولقد فات الكنيسة أن تطلبَ منكم ذلك. ولكن! لماذا لا تتوضّأ أو تغتسل قبل أن تمسّ هذه الأناجيل!؟ الجواب ببساطة: لأنّها ليست منزلة من السماء. وليس وحي اللّه. وإنّما هي كلام بشر" (١٧٦).

نقول:

الصحيح هو القول بأنّ الأناجيل ليست منزلةً من السماء. والخطأ هو القول بأنّها غير مقدّسة.الصحيح هو القول بأنّ الأناجيل روايات كتبَها فلان وفلان. والخطأ هو القول بأنّها لا تروي الوقائع وتعاليم المسيح كما فهمها كاتبوها. الصحيح هو تقديس المسيحيّين لأناجيلهم تقديساً عظيماً. والخطأ هو القولُ بأنّ التقديس هذا لا يكون إلاّ بالاغتسال والوضوء. إنّ ممارسات التطهير هذه هي عادات يهوديّة، يهوديّة–نصرانيّة، إسلاميّة، قد تخطّاها المسيحيّون إلى طهارة القلب والعقل والضمير؛ والنّجس ليس هو نجاسة اليدَين والرّجلَين، بل نجاسة القلب والعقل والضمير واللّسان والنّيات...

***

أمّا عن التناقض، الذي يبيّنه السيّد زكي في روايات الإنجيل، فحدّث ولا حرج، ممّا يدلّ، مرّة أخرى، في نظره، على تزويرها وتحريفها:

* فهناك، مـثلاً، "تناقضٌ واضحٌ في كـلام المسيح عن السـلام والحرب: فـتارة يدعـو إلى السـلام والإلفـة (متّى٢٦/٥٢)، وطوراً يدعـو إلى السـيف والعنف (مـتّى ١٠/ ٣٤)... فأيّهـما، يا ترى، نصـدّق!؟ إذ نحن هنا أمام قـولَين متناقضين، وردا في إنجـيل واحد!؟ أحدهما قاله المسيح، والآخـر مدسوس على المسيح. إذ ليس من المعقول أن يناقض المسيح نفسه. فالمسيح الذي قال: "أريد رحمة لا ذبيـحة" (متّى٦/١٣)، لا يمكن أن يقـول: أريد سيفاً لأشعلـها حرباً" (١٦٣).

* وهناك أيضا تناقض آخر في ما يخصّ شهـادةَ المسيح عن نفسه: فتارة يشهد لنفسـه، وشهادته حقّ، وطوراً لا يحقّ له أن يشهد لنفسـه، بل الأب يشهد له. جاء في كلام السيّد زكي: "ومثله ما جاء في إنجيل يوحنّا: "وإنْ كنتُ أشهد لنفسي، فشـهادتي حقّ" (٨/ ٤)، ونقيضه تمامـاً في نفس الإنجيل: "وإنْ كنتُ أشهدُ لنفسي فشهادتي ليست حـقّاً" (٥/ ٣١)... فهل شهادة المسيح لنفسه حقٌّ أم ليـست حقّـاً؟ المسـيحـي الذي يبحث عن دينـه الحق، بأيٍّ نَصٍّ من النّصَّين يأخذ!؟..

" والمتأمّل في مـثل هذه المتناقضات، التي امـتلأت بها الأناجـيل، يظهر له كثرة الأيادي التي عـبثتْ بها. إذ دَسّتْ نصوصاً، ونسـيتْ أن تشطبَ النصوصَ الأصليّة المناقضة لما دسّتْه. لذا جاء بعضـها مناقضاً لبعض الآخر، كما أنّ هناك احتمال (كذا) في أنّ ذلك كان عمداً بقـصد تشويش ذهن القارئ المسيحي حتّى يعيش في دوّامةٍ، ولا يعرف دينَه الصحيح" (١٦٤).

نقول:

١. هل المسيح، في متى ١٠ / ٣٤، يدعو إلى السيف حقّاً! ليسَ قارئٌ واحدٌ، منذ بدأت قراءة الإنجيل حتّى اليوم، مَن فهم من هذه الآية كما فهم السيِّد زكي. هل كلامُ المسيح هذا هو إعلان حرب ودمار! هل يريد المسيحُ حقّاً إشعالَ الأرض بمن عليها، كما يحلو للسيِّد زكي أن يفهم! نرانا معفَين من تفسير قول المسيح. فالنّصُّ يفسّرُ نفسه. وما على القارئ إلا العودة إليه، ليعرفَ أنّ المقصود هو، كما جاء في أحد التعاليق: "ليسَ سيفَ العنف والثورات، بل السيف الذي يشطر الناسَ شطرَين: مؤيّدين أو معادين".

٢. وكذلك القولُ بالنسبة إلى شهادة المسيح عن نفسه، أو شهادة أبيه له. فعلى السيِّد زكي، الذي لا يزال يطعن بالمساواة بين الأب والابن، أن يستفيد من ذلك ليقول: إنّ شهادةَ الأب لابنه لا تختلف عن شهادة الابن لنفسه.. فالابن والأب، في إنجيل يوحنّا، واحد. وشهادتهما شهادة واحدة.. ولم يجدْ بين قرّاء يوحنّا واحدٌ وجد في القولَين تناقضاً، كما وجد السيِّد زكي.

٣. وفوق كلّ هذا، كم نحتاج إلى براهين حتّى نستطيع أن نصدّق السيِّد زكي في قوله بأنّ الكنيسة تركتْ المتناقضات في الأناجيل عمداً، وذلك لكي تشوّشَ على الناس حتّى لا يعرفوا الدين الصحيح!! أمن شرٍّ يوازي هذا الشرّ، إلاّ شرّ مَن يتّهِم !!

***

* أجل. هناك شرٌّ أعظم. إسمعْه من فم السيِّد زكي نفسه. قال:

"رغم الدسّ والتحريف، والشرك والوثنيّة والتثليث، بقيتْ هناك ومضاتٌ.. تبدو وكأنّها نورٌ ساطعٌ.. تشعُّ علينا بين الحين والآخَر بالحقيقة

الناصعـة.. فهم لم يستطيـعوا إلاّ أن يُبقـوا هذه الومضـات. لماذا؟ ليـضـمنوا من وراء ذلك دخـول بعض اليـهود البـسطاء الموحّـدين باللّه في دينهم الشـاؤولي الكنسي الجديد" (٣٦٤).

نودّ للقارئ بعضَ التوضيح لئلاّ يفوته مـقصود السيّد زكي: يقول: إنّ ما تركتْه الكنيسةُ من حقـائق قليلة في الأناجيل، هو بمثابة فَخٍّ لتصطادَ به مَن بقي على التوحيـد. هؤلاء، عندما يرون قبَساً من توحيـدهم، يظنّون أنّ الأناجيل كلّها على هذا التوحيد، فـيعتقدون بقدسيّتهـا، فيقعون في تعاليمها الـشركيّة الوثنيّة من حـيث لا يدرون. فتُـغلقُ أبوابُ الجنّة في وجـههم. وتبـقى خالصـةً لليهـود وحدهم.

* وهناكَ أيضا شرٌّ أفظع. فلنقرأْ معاً ما يلي:

"أليهـودي المؤمن باللّه الواحد يجـد فيه (أي في الإنجـيل) توحيـداً، مثل "للربِّ إلهكَ تسجد وإيّاه وحـدَه تعبد"؛ والوثني المشركُ يجد فيـه وثنيّةً وتعدُّدَ آلهة، مـثل "عمّدوهــم باسم الأب والابن والروح القدس"؛ والوثني الفـيلسوف يجـد فيه فـلسفـةً، مثل "في البـدء كان الكلمـة"؛ والأمّيّ الجاهل الذي يتـعلّق بالخرافات والأساطير والأوهام يجد فيه جهـلاً وتجهيلاً، مثل "ألشياطين طلبوا إليـه قائلين: إنْ كنتَ تُخـرجُنا فأذنْ لنا أن نـذهبَ إلى قطيع الـخنازير"... وهكذا "زوّقوا" لهم هـذا الدين، وجعلوا منه تشكيلة تسـتقطب جـميعَ فـئات الناس" (٣٦٥)..

* ويختصرُ السيّد زكي، في مكان آخر، ما جاء عنده، فيقول:

"ألموحّد يجد فيه توحـيداً؛ والفيلسوف يجد فيه فلسفـة؛ والوثني يجد فيه

تعدّدَ آلهة؛ والجاهل يجد فيه جهلاً وتجهيلاً، جنّاً وعفاريتاً وشياطينَ وأرواحَ نجسة. هذا دين شاؤول والمجامع الكنسيّة" (٤٥٢-٤٥٣).

نقول:

يريد السيّد زكي أن يقول: إنّ الإنجيل الذي بين أيدينا صنعَ مسيحاً على حسب ما يريده الناس. فهو بالتالي، لا هو الإنجيل الحقيقي الذي أنزله عيسى، ولا المسيح هو المسيح الذي تكلّمت عنه التوراة.. إنّه كتابٌ وضعه رجالٌ سيّئو النّيّة، يهودٌ مفسدون، أرادوا احتكارَ الجنّة لهم، فكتبوا لهم كتباً تضلّهم، وأخفوا فيها الوحي الحقيقي. هذه الكتب كتبَها أناسٌ ماهرون بالشرّ، فطالوا بها مستويات البشر كلّهم. فنجحوا. والدليل على نجاحهم إستمرارهم في ما هم عليه حتّى اليوم.

ونريد أن نُطمئن السيّد زكي بأنّ هذا التنوّع في روايات الإنجيل مردّه إلى ما قلنا عن الوحي في المسيحيّة. ونردّده باستمرار: إنّ الوحي كان من أجل الإنسان. لا العكس. لهذا فهو يخضع لتعابير البشر، وأساليبهم، ومعطياتهم، ومواقعهم، ولغتهم.. كما يأخذ بعين الاعتبار مواقع سامعيه، وأحوالهم الاجتماعيّة والخلقيّة...

***

* وثمة دليلٌ آخر على تزوير الأناجيل، عند السيّد زكي. وهو التالي:

"إذا كان تلاميذُ المسيح، كما يقول السيّد زكي، صيّادي سمك، فمَن، باللّه! الذي ألّف الأناجيلَ الأربعة؟ وأنّى لصيّادي السمك أن يعرفوا اللغةَ اليونانيّة؟ ولماذا لم يؤلّفوها بالعبرانيّة أو السريانيّة أو الآراميّة لغة المسيح؟!" (٣٨٤).

نقول:

لا بدّ لنا من تذكير القارئ بأنّ الأناجيل كُتبتْ باليونانيّة، لأنّ الذين كُتبتْ من أجلهم كانوا يفهمون اللّغةَ اليونانيّـة. وكُتب القرآن بالعربيّة لأنّ السامعين هم عرب. هذا منطـق المسيحـيّين. أما منطق السـيّد زكي، فيـقول: إنّ القـرآن كُتبَ بالعـربيّـة، لأنّ اللّهَ شـاءه كـذلك. وهي لغـة اللّه والمـلائكة وآدم في الجنّة قـبل سقـوطه. ولكن، لمّا سقط، نسيَ العـربيّة، وأصـبح يتكلّم السريانيّـة كعـقاب له. ونحسب أنّ كتبَةَ الأناجيل لم يتركـوا السريانيّة التي تكلّمها المسيح من أجل هذا السبب.

ثانيا- الإنجيل الحقيقي

* كَتَبَـةُ الأناجيل "ليسوا سارقي نصـوص بعضهم البعض فـحسب، إنّما سارقو الإنجيل الحقيقي" (٣٨٧). هكذا يقول السيّد زكي.

وتعليقـاً على مثَل عمّـال الكرم (متّى٢٠/١-١٦) يقول: "لو عـرفَ كاتبُ هذا الإنجيل حقيقةَ مـا يعنيه هذا المثل لما دوّنه في إنجيله قط. ممّا يؤكّد لنا، مرّةً أخرى، أنّ هذا المثل مأخـوذ فعلاً عن إنجيل المسـيح، وأنّ كاتبَ هذا الإنجيل هو حتماً سارق ذلك الإنجيل الحقـيقي الذي يجب على نصارى اليوم أن يطالبوا به الكنيسـة التي لا شكّ أنّها تُخفيـه في أحد سراديبهـا، كما سبق وأخـفتْ إنجيلَ برنابا" (٦٤٩).

نقول:

١. إنّ ما جعلَ السيّد زكي ينتفض ويطالب بالإنجيل الحقيقي هو ما وجدَه

في هذا المثل من كلامٍ يوافق معتقدَه الإسلامي. فالمسلمون، في رأيه، هم المقصودون في فَعَلَةِ الساعة الحادية عشرة. فقال: "المسلمون، الأمّة الأخيرة، أمّة محمّد آخر الرسل والأنبياء، هم فعلة الساعة الحادية عشرة الأخيرة، الذين آمنوا بربّهم وبرسوله.. وهم، بشهادة المسيح، الآخِرون في الظهور، والأوّلون في الدخول إلى ملكوت الله"، كما أشار إلى ذلك المثَلُ المذكور. "فللّهِ درّك أيّها المسيح إذ كشفتَ بعين النبوّة وروح الوحي ما سيكون من بعدك، مشيراً إلى المسلمين، فعلة الساعة الحادية عشرة من طرف خفيّ" (٦٥٠-٦٥١).

٢. علينا أن نُطمئنَ السيّدَ زكي بأنّ المسيحَ، بالرغم من أنّه إله، في معتقد المسيحيّين، لم يتنبّأ عن أي شيء. ولم يُشرْ مرّة إلى أنّه يعرف المستقبلَ أو الغيب. ولم يُعطِ تلاميذَه، أقرب المقرّبين إليه، أيّ سرٍّ من أسرار الله والكون... ولئلاّ يأخذ علينا السيّد زكي كلمة "السرّ"، نقول له بأنّ ما في المسيحيّة من أسرار ما هو إلاّ مقدّسات، ووسائل فعّالة لقداسة الإنسان وخلاصه.

٣. أمّا أن تخفي الكنيسة كتباً في سراديب الفاتيكان فهو ما يجب أن يكذّبه السيّد زكي نفسُه، إذ أشار لنا مراراً إلى بابوات كانوا يهوداً، يعملون في هدم الكنيسة والمسيحيّة، وكان عليهم أن يقتحموا السراديبَ ليخرجوا إلى النور ما هو فيها مخفيٌّ مخبّأ.

٤. أمّا أن يكون إنجيل برنابا هو الإنجيل الحقيقي فلنستعرض، أوّلاً، ما يقوله السيّد زكي عن هذا الإنجيل؛ ثمّ رأي العلم فيه.

***

ثالثاً- إنجيل برنابا

* يقول السيّد زكي: "إنجـيل برنابا، الذي أفلت من الحرق والدمار، ويعود الفضل في ذلـك إلى الأب فرامينو، الذي سـرقَه من مكتـبة الفاتيـكان. وبعدها شاع وذاع" (٨٥٥).

* ويقـول: أمّا برنابا فـاسمــه "مـحذوف، عن قـصد، من قـوائم أسـماء التلاميـذ عند الإنجيليّين. مع أنّه بالكاد نجدُ صفحــةً في أعمال الرسل التي ألّفت قبلَ الأناجيل إلاّ واســمه مذكور فيهـا كتلميذ مخلصٍ من تلامـيذ المسيح، الذي حاول أن يغشّه شاؤول، فانفصل عنه في النهاية.

"فهـو الوحيد المذكـور عنه أنّه باع حقلَه وكلَّ ما يملـك، وتبع المسيح. ولم يفعل ذلك أحدٌ من التلاميـذ، لا بل لم يمُنَّ على المسيح كما مَنَّ بطرس وقال: "ها نحن قـد تركنا كلَّ شـيء وتبـعناك. فـمـاذا يكون لنا"، ممّا يؤكّـد أنّ الكنيـسـة الشاؤوليّة حذفت اسـمَه من قائمة التلاميذ هذه، بعد شـيوع إنجيله، لأنّه خالف شاؤول في مـا ذهب إليه من مـسألة ابن اللّه وصلْب المسـيح. لكنّها لم تـستطع حذفَ اسمِه من "أعمال الرسل" التي سـبقت الأناجيل في التأليف، إذ كانت قد انتشرت وذاعت بين الناس، وانتشر فيها اسمُ برنابا" (٤٧٩-٤٨٠).

* وفي مكان آخـر يردّد السـيّد زكـي الشـيء نفسَـه: "إنّ برنابا التـلميـذ الحـقيـقي للمسـيح، والذي عـملت الكنيســة جـاهدةً على شطب اسمــه من كلّ الأناجيل، لأنّ إنجيلَه قـائم على التوحيد، وعلى عدم صلْب المسـيح، أي لا يتمشّى مع الخطّ الشاؤولي الكنسي، والذي اعـترفت مخطوطات البحر الميت المكتـشفة مؤخّـراً بصدق إنجـيله، والذي لم تستطع الكنيـسة شطبَ اسـمِه من "أعـمال

الرسل"، لأنّ هذه كانت قد انتشرتْ وذاعتْ.

" هذا التلميذ، تخبرنا "أعمال الرسل"، أنّه باع حقله الوحيد الذي كان يمتلكه، وجاء ونثر النقود أمام المسيح، تحت أقدام التلاميذ، دون أن يسأل المسيح "ماذا يكون لنا بعد أن تبعناك". فإذا كان التلميذ العادي لم يسأل، فهل يُعقل أن يسأل بطرس شيخُ التلاميذ!؟ (١٤١).

* ويقول أيضاً: "..إنّ حضرات السادة الشاؤوليّين الكنسيّين ما زالوا يسبحون ضدّ التيّار، ولا يعترفون بهذا الإنجيل، رغم أنّ مخطوطات البحر الميت المكتشفة حديثاً أكّدتْ على صحّته.. ورغم أنّه كان معمولاً به في الكنيسة حتّى سنة ٤٩٢ م. إذ حرمه البابا غلاطيوس في تلك السنة بعد أنْ غرقت الكنيسة في الوثنيّة وتعدّد الآلهة. وذلك لأنّه يتكلّم عن اللّه الواحد، وليس عن ثلاثة آلهة. كما أنّه لا يعترف بصلب المسيح.." (ص ٢٤٢).

نقول للسيّد زكي:

١. برنابا، شخصيّة جذّابة، مثالُ الرسول المسؤول عن الجماعة المؤمنة. وعلى الرغم من كونه لاويّا (رسل٤/٣٦)، من عِرْقٍ كهنوتيّ، فهو لا يفرضُ الختانَ على الوثنيّين المهتدين إلى الإنجيل في أنطاكية" (أنظر تفسير أونجليون على أعمال الرسل ١١/٢٢-٢٥). عدم فرْض الختان هذا ليس من مصلحة السيّد زكي أبداً. ويكمّل التفسير: ".. ويعرفُ (برنابا) أن يستعين بشاول: "ثم سافر برنابا إلى طرسوس يُفَتِّشُ عن شاول. ووجدَه. فأتى به إلى أنطاكية. وأُتيحَ لهما أن يعملا معاً في الكنيسة، على مدى سنةٍ كاملة، أن يعلّما جمْعاً كثيراً. فدُعي التلاميذُ في أنطاكية، ولأوّل مرّة، مسيحيّين" (١١/٢٥).

٢. و"كـان برنابا يملكُ حـقـلاً فـبـاعـه، وأتى بثـمنِه، وألقـاه عند أقـدام الرّسل" (٤/٣٧)، يقول المفسّرون: "برنابا، شخصيّـة خارقة، ومثالٌ يُقتدَى به للجماعة المسيـحيّة الأولى. قام بدور الوسيط بين الرّسلِ وبولس (٩/٢٧)، وبين كنيـسة أورشليم وكـنيسـة أنطاكيـة (١١/٢٢). ودُعِيَ رَسُـولَ الأُمَمِ كَبُـولُسَ (غلاطية٢/٩)...

٣. ثمّ إنّنا لم نجدْ ما يقوله السيّـد زكي إنّ برنابا ألقى بنقوده أمام المسيح نفسـه. فالمسيح كان قـد ارتفع. وبرنابا لم يكن من الرسل الإثنَي عشـر. وحتّى كتاب أعمـال الرسل، مرجعنا الوحيد عن برنابا، لم يـذكرْه بينهم وهم في العلّيّة (١/١٣).

٤. أمّا في ما يخصّ بيع برنابا لمـتلكاته، والتي يعتبرها السيّـد زكي شيئاً فاقَ به برنابا القديسَ بطرسَ نفـسَه، فنقدّم له نبذةً عن سيرة الرّسـلِ والتلاميذ والمسيحيّين الأوّلين كلهم، حيث يقول سفرُ أعمال الرسل نفسُه: "وكان المؤمنون يجـتمـعون مـعاً، ويتـشاركـون فِي كلٍّ شَيء. يَبِيـعُونَ أَمْـلاكَهُم وَمُـقْتَنَيَـاتِهم. وَيَتَوَزَّعُونَهَا عَلَى قَـدْرِ حاجةِ كلٍّ منهم.. وَيتَوزَّعُونَ الطعامَ بغـبطةٍ وسلامةِ قلْب" (رسل٢/٤٤-٤٦).. ويقول أيضـاً: "وكانت جمـاعةُ المؤمنين قلبـا واحدا.. ولم يكن فـيهم مَن يرى، في مـا يملِكُ، مُلكاً خاصّـاً به. بل كانوا مـتشـارِكينَ في كلٍّ شيء.. ما كان فيهم مُعوِز، لأنّ كلَّ مَن مَلَكَ عَقـاراً أو بيتاً، كان يَبيعُه ويأتي بثمن المبـيعـات، ويلقـيه عند أقـدام الرُّسُل، فـيُعـطى كلُّ مؤمن على قـدْرِ حـاجتـه" (٤/٣٢-٣٧)...

٥. ونودّ القـول للسيّد زكـي الذي يتّخذ بـرنابا على أنّه مثـالٌ في تبشـير

"الخراف الضالّة من بني إسرائيل"، بأنّ برنابا هذا قد "سبق بولسَ في تبشير الأمم" (راجع رسل١١/٢٢-٢٤).

٦. ونسأل السيّد زكي: أين وجدَ، في أيّ مرجع، أن برنابا، الذي انفصل عن بولس، في جولته الرسوليّة الثانية، قد انفصلَ عنه بسبب مخالفته له في التوحيد والصلْب وتعاليم أخرى!! ولكي لا نقدّم للسيّد زكي إلاّ دليلاً واحداً، وهو أنّ بولس تركَ برنابا بسبب مرقس؛ ولكنّ برنابا عادَ فالتقى ببولس، ونجده ثانية إلى جانبه (أنظر رسالة بولس إلى أهل قولوسّي ٤/ ١٠). وبعد ١٤ سنة من ارتداده، يقول بولس: "عُدتُ، فصعدتُ وبرنابا إلى أورشليم" (غلاطية ٢/ ١). و" لمّا عرف يعقوب وكِيْفَا ويوحنّا، المُعتبرون أنّهم أعمدة.. وهبوا لي ولبرنابا يُمنَى المشاركة، لنكونَ نحنُ للأمم، وهم لأهل الختانة" (غل٢/ ٩). مع أنّ بطرسَ نفسه كان قبل بولس وبرنابا، "أوّلَ رسول إلى الأمم" (أنظر رسل ١٠)، وبولس نفسه "قد كان يحرص دوماً على تبشير اليهود قبل الأمم" (رسل١٣/ ٤٦)...

٧. وليس في علمنا، ولا في علم أحد سوانا، على ما نظنّ، سوى السيّد زكي، أنّ مخطوطات البحر الميت فيها ذكرٌ، من قريب أو من بعيد، لإنجيل برنابا.

٨. ولسنا نعرف، أخيراً، ولا أحد غيرنا يعرف، بأنّ الكنيسة كانت تُخفي في سراديبها إنجيلَ برنابا، وأنّ أحداً سرقَ هذا الإنجيل ونشره، وبنشره، تبدّلتْ معطيات الإيمان المسيحيّ كلّه... في هذه المقولة، نقول للسيّد زكي: إنجيل برنابا، المتداول بين أيدي الناس، طعنةٌ محكمة بالإسلام. ويجب أن يكفّ المسلمون عن ذكره، لأنّه ليس في مصلحة الأدلة العلميّة الصحيحة لا للقرآن، ولا للنبيّ..

٩. قصّــة إنجيل برنابا هي التــالية: كان أوّل من اكـتشف مـخطوط إنجيل برنابا في اللّغـة الإيطاليّة ألكُونْت "غرامـير" J.Gramer أحد مـستـشاري ملك بروسيا. ثم أقرضه لصديقه "جون تولاند John Toland الذي أهداه، بعد أربع سنوات، إلى الأمـيـر "أوجـين دو سَـافْـوًا غـارينيـان Le Prince Eugène de Savoie-Garignan النمساوي الذي كـان يعشق الأدب والفنّ عُشْقَه للسـياسة والفروسيّة.

سنة ١٧٣٨ انتقل المخطوط مع مكتـبة "الأمير أوجين" إلى مكتـبة البلاط الملكي في "فـيينّا" حيث لا يزال إلى اليـوم. وقد ظلّ طيَّ الكتـمان في "فـيينّا" حتى ظهرت له، في أوكسفـورد، أوّل ترجمة بالإنكليزيّة، سنة ١٩٠٧. وبعد سنة فقط، نَقَلَ النّصَّ الإنكليزي إلى العربيّة، في القـاهرة، الدكتورُ خليل سعاده، على رغبـة محمّـد رشيد رضـا، منشئ مجلّة "المنار" المصـريّة.. ثمّ أعيدت الطبـعة العربيّة في القاهرة أيضاً سنة ١٩٥٤، و١٩٥٨.

وراج الكتاب، وطُبع في بلدان عربيّـة كثيرة، أخصّها في بـيروت، بسبب ما أثير حوله من ضجّة وتساؤلات.

١٠. يدور موضـوع "إنجيل برنابا" الأساسـي عـلى أنّ عيسى ليس إلاّ نبيّاً. جاء يعدّ الطريق لظهور المسيح الحقيقي الذي هو محمّد نبيّ المسلمين.

١١. إنّ "إنجـيل برنابا"، بالرغم من أنّه حامـل إسم برنابا، المحكي عنه في سـفر أعـمال الرسل، والذي انفـصل عن القـديس بولس (رسل ١٥/٣٩)، هو إنجيل حديث العهد. مؤلّفه يجهل جغرافية فلسطين وتاريخها. وعلى ذلك أدلّة:

١٢. لا ذكـر لهذا الإنجـيل، ألمعتـبـر "الإنجيل الصـحيح"، أو "الإنجـيل

الحقـيقي"، أو أيضـا "إنجيل عـيسى"، لا في القرآن، ولا قـبله، ولا بعده. لا في كتب التفاسيرالقرآنية، ولا في السِيَر، أو الأحاديث النبويّة، ولا في كتب التاريخ الأسلامي والعربي، ولا في القصص أو الأخـبار، ولا في الدواوين الشعريّة، ولا المطّولات الأدبيّة... وذلك إلى حين اكـتشافـه. ولو كان موجوداً من قـبل لما تأخّر مرجـعٌ إسلامي عن ذكـره، لأنّه يحسم الخـلافَ بين ما جـاء به القرآن ومـا في الأناجيل المسـيحيّـة المتداولة آنذاك، والتي "حرّفـها" النّصارى، على مـا يقول القرآن.

١٣. ثمّ إنّ موضـوعـات كثيرة يتكلّم عليها "إنجـيل برنابا" هـي من عصـور ما بعد الإسـلام، كأن يقول بأنّ اليهـودَ كانوا يسمّون يسـوع "نبيّ النّاصريّين" (٢/٢١٧)؛ وهو تعبيـر إسلامي محض. وكأنْ يقول بأنّ اليـوبيل هو مائة سنة، فيمـا كان اليوبيل، حتّى سنة ١٣٠٠، خمسين سـنة فقط (٩٧). وكأنْ يتكلّم على الخطايا الرئيسيّة السبع، فيمـا هي تعود إلى القرن الخامس عشر فقط (١٣٥). وإنّ كلّ مـرتكبٍ لإحـداها له في جهـنّم منزلة مـعيّنة. وهذه أيضـا من القـرون الوسطى.

١٤. ويتكلّم "الإنجـيل الصحـيح لعيـسى المسمّى المسـيح" -وهو إسـمه بالضبط- على مبـاحث فلسفيّة إرسطيّة كانت شائعـة في القرون الوسطى، مثل كلامه على مقولات الجسد والنفس والحسّ، وتقـسيم النفس إلى نباتيّة وحسيّة وعـقليّـة، والوحدة بينـها (١٠٦ و١٢٣). وكـأنْ يتكلّم على الجـدل بين الحـريّة والجبـريّة، وعلى الخطيـئة الأصليّـة (١٠٣/١٦-٢١). وهي من مآثر الـقرون المسيحيّة المتأخرة.

١٥. ولنا أيضاً على تاريخ المخطوط الإيطالي الوحيد في العالم، حتّى الآن، وقد يكون هو الأصلي، أدلّة من نوع الحبر، ونوع الخطّ، اللّذين لم يُعرفا قبل النصف الثاني من القرن السادس عشر. يؤيّد ذلك إسلوبه الإنشائي. فلغته لغة أهل توسكانا. مع تعابير من لغة البندقيّة. وهو أسلوب شاع بعد الشاعر الملحمي الكبير دانتي.

١٦. وهناك أيضاً أخطاء جغرافيّة فاضحة بالنسبة إلى جغرافية فلسطين. ممّا يدلّ على جهل مؤلّف "إنجيل برنابا" بها. كأنْ يضع النّاصرة على شاطئ بحيرة طبريّا (٢٠/ ١-٩)، ويقول بأنّ بحراً بين كفرناحوم والنّاصرة (١٤٧-١٥١)، وبأنّ نينوى على شطّ البحر المتوسّط (٦٣/ ٥-٨). ويصف كفرناحوم بأنّها مدينة مبنيّة على جبل (فصل ٢١)، ويقول إنّ مدينة صور تقع على ضفاف الأردنّ، ويجعل أورشليم مرفأ.. إلخ.

١٧. وهناك أخطاء تاريخيّة جسيمة، كأنْ يقول بأنّ عيسى وُلد في زمن بيلاطوس البنطي، فيما بيلاطوس هذا كان واليا بين ٢٦ و٣٦. ويقول بأنّ حنّان وقَيافا كانا رئيسَي الكهنة عند مولد عيسى، فيما الواقع أنّ حنّان كان بين ٦ و١٥، وقيافا بين ١٨ و٣٦ (فصل ٣). ثمّ يعتبر عدد الفرّيسيّين، أيّام عيسى، مائة ألف؛ فيما هو لم يتجاوز الستّة آلاف. ويقول بأنّهم كانوا رهباناً متوّحدين، فيما هم كانوا متزوّجين يعيشون حياةً عاديّة. ويقول بأنّهم كانوا في أيّام إيليّا النّبيّ، أي منذ القرن التاسع قبل الميلاد، فيما هم لم يُعرفوا إلاّ في القرن الثاني ق.م.

١٨. فاستناداً إلى هذا الجهل الكبير، راح الباحثون يتلمّسون هويّة مؤلّف "إنجيل برنابا". فبعضهم قال بأنّه أندلسيّ مسلم أرغم على اعتناق المسيحيّة بعد

سقوط غرناطة في أيدي المسيحيّين الأسبان، سنة ١٤٩١م، فأراد الثأرَ لنفسه وللإسلام، فوضع هذا الكتاب. يستندُ أصحابُ هذا الرأي إلى ما في الكتاب من دفاع عن الإسلام والقرآن، بالاستشهاد بآيات من التوراة والإنجيل تتنبّأ عن مجيء النبيّ محمّد.

١٩. وبعضُ الباحثين من قال بأنّ المؤلف يهوديّ، سعى إلى ضرب الديانتين بعضهما ببعض، منتقماً بذلك ممّا نزل باليهود من ذلّ وقهر. يستندُ أصحاب هذا الرأي إلى ما في الكتاب من إلمام واسع بالعهد القديم، ومن تشديد على أهمّيّة الختان، واصفاً الذين لا يمارسونه "بأنّهم دون الكلاب" (فصل ٢٢)، ومن معرفة بالتقاليد اليهوديّة، ودفاع عن التوراة، إلى درجة أنّ كلّ ما في القرآن و"الإنجيل الصحيح" يعود إليها.

٢٠. ومن الباحثين أخيراً من قال بأنّ المؤلّف هو راهب إيطالي يُدعى "مارينو"، اعتنق الإسلامَ، وحاول تبرير فعلتِه بما يظنّهُ توفيقاً بين المسيحيّة والإسلام واليهوديّة، وبما يظنّه أيضاً يضع حدّاً للصراع الديني المتفاقم في أوروبا بين الأديان المذكورة، على أثر إخراج المسلمين من الأندلس. يستندُ أصحابُ هذا الرأي إلى ما جاء في الترجمة الإسبانيّة، التي قام بها مسلمٌ أندلسي، يدعى "مصطفى العرندي"، الذي يذكر اسمَ "مارينو"، حيث قال: "إنّ الأخ مارينو عثر على رسائل لإيريناوس، وفي عدادها رسالة يندّد فيها بالقديس بولس. وإنّ إيريناوس أسند تنديده إلى إنجيل القديس برنابا.. فلمّا خلا مارينو بنفسه، طالعه بشوق عظيم، فاعتنق على أثر ذلك الدين الإسلامي".

٢١. نختصر. "إنجيل برنابا" وضع في اللّغة الإيطاليّة في النّصف الثاني

من القرن السادس عشر، على يد راهب اعتنق الإسلام. واسم الراهب مارينو. ترجمه إلى الإسبانيّة صديقٌ له إسمه مصطفى العرندي. ونقلَه، أوّل من نقله إلى العربيّة، الدكتور خليل سعادة. هذا الإنجيل لا يمتُّ، لا إلى الإسلام ولا إلى المسيحيّة، بصلة.

رابعاً- إنجيل متّى

حصر السيّد أحمد زكي همَّه في تفنيد إنجيل متّى، واعتمده مرجعاً أساسيّا للكلام على ما في المسيحيّة من معتقدات، وعلى مذهب شاؤول، عدوّ المسيح الألدّ. وعالجه فصلاً فصلاً، وآيةً آية. ولم تسلم منه آية إلاّ وكان له عليها مأخذ. وما سلم منها لا يُذكر...

وللحقّ نقول:

لقد برعَ السيّد زكي في تفنيده وتفسيره ورؤياه القرآنيّة للأمور المسيحيّة، بما يعجز علماء ولاهوتيّون من الإتيان بمثله.. إنّها قراءةٌ إسلاميّةٌ للإنجيل. قراءة تستحقُّ أن يقفَ عندها اللاّهوتيّون الشرقيّون الذين، قضوا حياتَهم يناقشون مقولات غربيّة، في حين أنّهم يعيشون في هذا الشرق بين إخوانٍ لهم من كلّ دين ومذهب. وأفضلُ مثالٍ على تخلّف هؤلاء اللاّهوتيّين ما أتحفنا به المركز الكاثوليكي للإعلام في طلبه مصادرة كتاب السيّد زكي. واستجابت الدولة اللبنانيّة للطلب بحجّة حماية الوحدة الوطنيّة التي تتعرَّض للخطر مع كلّ هبّة ريح. ويبدو أيضاً أنّ اللاّهوتيّين أنفسهم، بصمتهم المطبق، تخلّوا عن شهادتهم المسيحيّة، وهم ينعمون في بلادتهم.

* يتساءل السيّد زكي، في البداية، مَن هو متّى؟ هل هو متّى الجابي؟ أم هو لاوي بن حلفى؟ يقول: بين الإنجيليّين تناقض، وهو "إنّ المسيح صادف متّى ذات يوم جالساً على باب دار الجباية -أي الضرائب- وقال له: اتبعني. فقام وتبعه في الحال" (متّى٩/٩). يعلّق زكي: "إنّه بهذه الطريقة، غير المعقولة، أصبح أحدَ التلاميذ الإثنَي عشر.. ولكنّ مرقص (٢/ ١٤) يناقض.. ويقول: "إنّ الذي كان جالساً على باب دار الجباية هو لاوي بن حلفى، وليس متّى.. ويوافقه على ذلك لوقا" (٥/ ٢٧).

نقول:

١. متّى هو نفسه في المراجع التي يذكرها السيّد زكي: "متّى"، في إنجيل متّى؛ و"لاوي"، في إنجيل لوقا؛ و"لاوي بن حلفى"، في إنجيل مرقس. وهو، بحسب التقليد الكنسي، أحد الرّسل الإثني عشر (متّى١٠/ ٣؛ مرقس ٣/ ١٨؛ لوقا٦/ ١٥؛ رسل١/ ١٣). وهو أيضاً، بحسب بعض الترجمات، "متّى العشّار". وهو، أخيراً، مؤلّف الإنجيل الأوّل (راجع مقدّمات أونجليون).

٢. ثمّ ما هو مأخذُ السيّد زكي على طريقة اتّباع التلاميذ ليسوع؟! نقول: ليس أفضل من هذه الطريقة أبداً. فالرسل، والتلاميذ، والمسيحيّون، لا يجدون وسيلة، لكي يكونوا حقّاً مسيحيّين ومن تلاميذ المسيح، أعظم من اتّباعه والاقتداء به. وقد لا يطلب المسيح من المؤمنين به أكثر من اتّباعه والاقتداء به. بل تُختصرُ مسيرة المسيحيّة بهاتين اللفظتين: الاتّباع والاقتداء. والإيمان، في حقيقته، ليس مجموعة حقائق ومبادئ وتعاليم ومعتقدات نظريّة، بقدر ما هو اختبار شخصيّ عميق للّه، واتّباع للمسيح في مسيرته الخلاصيّة، وحياة نعمة وقداسة في الروح القدس، ثم خلاص وسعادة في شركة الثالوث الإلهي.

٣. كم نودّ نصحَ السـيّـد زكي بأن يكفّ عـن القول بـــ "التناقض"!!! هذا القول هو سـلاح الضعـيف. لأنْ لا شيء من مقـولات البشر إلاّ ولـه نقيض. لا كلمة، ولا تعبير، ولا مقولة.. إلاّ وتجد لهـا بديلاً، أو رديفاً، أو مثيلاً، أو نقيضاً.. والذي يقرّر التناقض عقلٌ مستنير، ومنطق سديد، وبحثٌ علميّ رصين.

* وتعليقاً على ما جاء في إنجيل متّى (٩/٩): "وفيما يسوع مجتاز.. رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية إسمه متّى. فقال له: اتبعني. فقام وتبعه"، يقول السيّد زكي:

"هنا أطلب من كلّ مَن يحبُّ المسيح أن يفتحَ عينَيه وأذنَيه جيّداً، لأنّ أمامنا عمليّـةَ احتيـال وتزويرٍ كبرى على جـميع مسيـحيّي اليوم مـرّة أخرى في هذه الأناجيل، التي تزعم الكنيـسة لطوائفها بأنّها مـقدّسة! وعمليّة الأحتـيال هذه ما زالت ظاهرة للعيان حتى يومنا هذا! ويستطيع كلُّ فرد أن يتأكّدَ منها..

ويكمّل: "لقد تولّت أيدي خـفيّة شطب اسمِه كلّيـاً من قائمة التلاميـذ، كما شطبتْ اسمَ برنابا، وأبرزتْ إسمَ متّى مكانه. لكن يبـدو أنّ أصحابَ تلك الأيادي لم يقرأوا أناجيلَهم إذ كـان عليهم أوّلاً أن يشطبوا اسمه من مـرقص ولوقا.. وما زالت هذه الخبـيصة حتّى اليـوم، لذا نحن نقول إنّ الذي كان جـالساً على باب الجبـاية هو فعـلاً "لاوي بن حلفى" حسب مـا ذكر مرقص ولوقـا، وليس هذا الذي ادّعى أنّه متّى كاتب هذا الإنجيل" (٤٥٦-٤٥٧).

ويقول أيضـاً: "لا شكّ أنّ كلّ مسـيحي مـتعلّم أو مـثقّف ومنصف وغـير متـحيّز لا يسمّي هذا الإنجـيل ترجمةً، ولا يسـمّيه تأليـفاً، إنّما يسمّـيه تزويراً.. وسرقة.. وعمليّة احتيال كبرى في تاريخ المسيحيّة الحقّة" (١٦٧).

ويقول: " هذا اليهودي المضلِّل (أي متّى) الذي سرق عن مرقص، وحرّف نصوصَه، إنّما أراد بإنجيله الكاذب.. جرّهم (أي الناس).. إلى عبادة إله وهمي، ليس له وجود. سمّاه أباً وابناً، ليحرمهم من نعيم الجنّة التي مفتاحها الأوّل "لا إله إلاّ الله"..

هذا "التلميذ العشّار، الذي عرفه مرقص، وعرفه لوقا، كان اسمه لاوي بن حلفى.. ولم يكن أبداً أسمه متّى، كما زعم هذا المتّى عن نفسه في إنجيله. وهو، في حقيقته، ليس إلاّ كشاؤول، أو شاؤول نفسه، دخيلاً على تلاميذ المسيح. فها هو يكشف عن حقيقته أنّه كاتبٌ يهوديٌّ بل وصهيونيٌّ مزوّر، ذو لؤم خبيث، وحقد دفين، ضد دين المسيح الحقيقي البريء من لفظ الأب ومعها لفظ الابن. وإنّه ما ألّفَ هذا الإنجيل إلاّ لينسفَ دينَ المسيح من الداخل، بعد أن عجز رئيس الكهنة، وشاؤول نفسه من نسفه من الخارج" (١٦٧).

نقول:

لقد تناولنا هذه الموضوعات سابقاً، ولا تستحقّ العودة إليها. ومع هذا لا بدّ من إبراز بعض التعابير والألفاظ التي ليست من شِيم المؤلّفِين، مثل القول بالتُّهَم والتزوير والاحتيال والزعم والشطب والخبيصة والادّعاء... ومثل: سرق، وكذب، وجرّ الناس، وإله وهمي، حرمان الجنّة، ودخيل، ولؤم، وخبث، وحقد دفين، ونسف الدين... إلخ.. ألفاظ سمجة يستعملها السيّد زكي بدون مسؤوليّة. وممّا يدلّ على عدم مسؤوليته وقلّة وعيه قوله بأنّ المسيحيّين "لم يقرأوا أناجيلهم"، ولو قرأوها لما وقع فيها التناقض... إنّه حقّاً كلامٌ غير مسؤول.

***

* ويقـول: هناك اختـلاف آخر بين إنجـيل مـتّى العبـراني وإنجيل مـتّى اليوناني المترجم عنه: "يجمع المؤرّخون بأنّ التلميـذ متّى كتبَ إنجيلَه بالعبرانيّة.. ثم ما لبث أن اختفى إنجيلُ متّى هذا اختفـاءً نهائيّاً مريباً!! وظهرت مكانه ترجمةٌ له باليونانيّة.. ولكن، في الحقـيقة، شتّان ما بين إنجيل مـتّى الحقيقي وبين هذه الترجمة.." (١٤٧).

ويكمّل: "لا المصادر المسيحيّة، ولا الكنـيسة، تعرف اسمَ هذا المترجم حتّى يومنا هذا. ونحن نستـغربُ كيف يكون هذا الكتاب المترجم كـتاباً مقدّساً يُعـتمد عليه في أصول الدين، بينما مترجمُه مـجهول، وتاريخ تدوينه مجهول، ونسختُه الأصليّة باللغة التي كُتب فيها مفقودة حتّى اليوم" (١٥٠-١٥١).

ثم يطرح أسئلة عديدة حول هذا الموضوع، فيقول:

١. "أين الإنجيل الذي كتبـه متّى التلميذ، أو لاوي بن حلفى، سنة ٣٩-٤١ بالعبرانيّة من هذه الترجمة المزعومة التي كتبها مجهول باليونانيّة!!

٢. "مَن هم الذين أخفـوا إنجيل متّى الحقيـقي، أو إنجيل لاوي بن حلفى؟ ومـا هي مصلحـتهم فـي إبراز هذه الترجـمة المزعـومـة.. التي كتـبت بين سنة ٧٠-٨٠، في الوقت الذي مات فيه متّى التلميذ الحقيقي سنة ٦٢ م.

* ثم يقول: "ومن حقّ جمـيع النصارى الذين يبحثون عن الحقـيقة وعن الإيمان الصـحيـح أن يتوجّـهـوا إلى باباواتهم لكي يُخـرجوا لهـم إنجيلَ مـتّى الحـقيـقي من سراديب الكنيـسة، ذلـك الإنجيل المكتـوب بالعبـرانيّة، إذا كـان الفاتيكان حقّـاً يحتفظ بالأصل الرسولي لهـذه الأناجيل. أو على الأقلّ أن يدلّهم على هويّة كاتب هذه النسخة المزعومة التي بين أيدينا اليوم...

"... ويحقّ لهم أن يسألوا كنائسَهم عن مدى صدق الروايات والأحاديث التي وردت في هذا الإنجيل المزعوم (ومعه بقيّة الأناجيل الأخرى..)

"... ومن حقّهم أن يسألوا كنائسَهم عن التحريف والمبالغات والتهويل والخرافات والنبوءات الكاذبة والمستحيلات والتناقضات والوثنيّة كيف دخلت في هذه الأناجيل.

"... وبإمكانهم أن يسألوهم كيف تحوّل اسمُ عيسى ابن مريم البتول إلى ابن النجار، وابن داود، وابن الإنسان، وملك اليهود، والنبيّ المنتظر، وحمل الله، ومختار الله.. ثمّ الله نفسه. وأيّهم عيسى ابن مريم الحقيقي فيهم؟!!" (١٥١-١٥٢).

نقول ونردّد:

١. متّى هو نفسُه لاوي بن حلفى.

٢. متّى هو نفسُه الذي كتبَ الإنجيل بالأراميّة -لا بالعبرانيّة كما يقول السيّد زكي- ثم جاء بعضُ تلاميذه وأضافوا إليه الفصول الثلاثة الأولى، وبعضَ المقاطع التّي عيّنها النقاد بوضوح، ثمّ نقلوه من الأراميّة إلى اليونانيّة.

٣. ألكنيسةُ وافقت، وقرّرتْ، وعيّنت، بالاستناد إلى شهادات الآباء الأقدمين، وإلى تقليدها الرسولي المتوارث، وإلى سلطتها التي لها من قبل مؤسّسها، أن يكون متّى، في حلّته اليونانيّة، كما هي بين أيدينا اليوم، هو الإنجيل المعتمد، الذي يعبّر تعبيراً رسمياً وقانونياً وعقائدياً عن حياة المسيح وأقواله.

٤. الكنيسة لا تُخفي كتاباً واحداً في سراديب الفاتيكان، ولا تلغي. ولا تحرق. ولا تزوّر. ولا تحرّف... هذه كلّها من ادّعاءات الرافضين.

* يقول السيّد زكي: "إنّ أوّلَ الأناجيل المكتوبة كان إنجيلَ مرقص، لذا فالمنطق يقول أن يكون ترتيبُه الأوّل.. لكنّنا نرى أنّ ما رُوِّج له بأنّه ترجمة إنجيل متّى المزيّف قد اغتَصَبَ هذه المرتبة عنوة. فصار هو الأوّل. ومن حقّ كلّ مسيحي أن يسألَ كنيستَه: لماذا لعبوا هذه اللعبة في ترتيب الكتب التي يزعمون بأنّها مقدّسة؟!" (١٥٦).

نقول:

.. فليكن الترتيب الذي يريده السيّد زكي. علماً بأنّ الترتيبَ إيّاه موجود في القرآن، أي السور الطويلة في الأوّل، ثم الأصغر فالأصغر. والسور الطويلة، عادة، هي التي نزلت متأخرة عن القصيرة، ومع هذا وضعت في المرتبة الأولى.. وهذا الترتيب اعتمد في القرآن، تشبّهاً بالترتيب المعتمد في العهد الجديد... ومع هذا فهو لا يُعتمد قاعدة لقداسة هذا الكتاب أو لعدم قداسته.

* ويستنتج السيّد زكي، نقلاً عن الأسقف دافيد بنجامين الكلداني، الذي خلع أسقفيّتَه واعتنق الإسلام، بأنّ متّى المزيّف هذا "هو مجرمٌ. وعملُه إجرامي. وإنجيلُه غيرُ جدير بأيٍّ اهتمام.. ".

ويضيفُ السيّد زكي من عنده: "ونحن لا ندري إلى متى ستُخفي الكنيسةُ الحقيقةَ، وتستمرُّ في الضحك على ذقون طوائفها" (١٦٨-١٦٩).

نقول:

إنّ السيّد أحمد زكي ينتهجُ منهجاً غيرَ علميٍّ في ما قضى به على الكنيسة، وشاؤول، ومتّى، والأناجيل، ومجامع الكنيسة، والبابوات والأساقفة والقساوسة...لقد كان حاسماً في أقواله، مبرَماً في أحكامه، عنيفاً في أسلوبه، جريئاً في تعابيره، منحازاً في منطقه، لا يعمل لكشف الدين الحقيقي بقدر ما يعمل في تحطيم أخصامه..

ونردّدُ على مسامع السيّد أحمد زكي، وعلى مَن يعتقد اعتقادَه، ويقرأ كتابَه، ويؤخذ بأقواله، بأنّ الناسَ، عامّةً، ليسوا ضحيّةً، وأنّ الكنيسةَ لا تستطيع أن تضحكَ على أحد. وليس من إنسانٍ على الأرض، في الماضي والحاضر والمستقبل، مَن يقدّمُ نفسَه ألعوبةً بين يدَي غيره.

ثمّ أنّ المسألةَ هذه هي في غاية الخطورة، لأنّها تطالُ القيمَ الأخلاقيّة كلّها، وتطالُ شخصيّةَ الإنسان وكرامتَه، والخلاصَ الأبدي والسعادةَ القصوى. ولن تكون الكنيسةُ، ولا سواها، مَن يسعه التلاعب و"الضحك" على الناس... قائل مثل هذا الكلام إنسانٌ مفسودٌ حقّاً.

الفصل السابع

الثالوث في كتاب أحمد زكي

موقف القرآن والمسلمين من الثالوث جليٌّ واضح، لا لبس فيه ولا غموض:

"لقد كفرَ الذينَ قالوا إنّ اللّهَ ثالثُ ثلاثة. وما من إله إلاّ إله واحد. وإن لم ينتهوا عمّا يقولون لَيمَسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ إليم" (المائدة، ٥/ ٧٣).

"آمِنوا باللّهِ ورسولِه. ولا تقولوا ثلاثة. انتهُوا خيراً لكم. إنّما اللّهُ إلهٌ واحدٌ. سبحانَهُ أن يكونَ له وَلَدٌ" (سورة النساء، ٤/ ١٧١).

هؤلاء الكافرون هم أيضاً مشركون. لأنّهم أشركوا، مع اللّه، آلهةً. ولا مغفرة لَمن يُشرِك. بل هو، في هذه الدنيا، هدفٌ من أهداف الجهاد المقدّس: "قاتلوا المشركين كافّةً" (سورة التوبة، ٩/ ٣٦)؛ وفي الآخرة، هو في "عذابٍ أليم".

غاص السيّد أحمد زكي في إظهار نيّات شاؤول الفرّيسي، والمجمّعات الكنسيّة الوثنيّة، والأساقفة والقساوسة. وبيّن الغايةَ من معتقدهم بالثالوث، وتنكّرهم للتوحيد؛ فإذا هي اثنتان:

الأولى- "لتكسبَ (الكنيسة) أكبرَ عدد ممكن من الوثنيّين في دينها الجديد؛

والثانية- لإضلالهم وحرمانهم من الجنّة، حسب رغبة اليهود وتخطيطهم" (ص٨٤).

فيكون الثالوث، بالتالي، اختراعاً يهوديّاً شرّيراً، لتبقى الأمم، أي "الغوئيم"

محرومين، كفّاراً، مشركين، بعيدين عن التوحيد الذي هو مفتاح الجنّة.

* قال: ".. من أهمّ أهدافهم (أي اليهود) الرئيسيّة الكبرى، هو تسويق هذه الأسماء الثلاثة (الأب والابن وروح القدس) بين السذّج والوثنيّين.. ليبقى اللّهُ إلهَ اليهود وحدَهم، وتبقى الجنّةُ لهم" (ص١٨١).

* وقال: "إنّ هذا الثالوث ليس من دين المسيح في شيء. وإنّه ليس إلاّ معتقداً شاؤوليّاً كنسيّاً وثنياً، ابتدعه قساوسةٌ يهود، خَرِبِيُّ الذّمّة، فاسدي الضمير، من أساطين صهيون القدامى، الذين أرادوا أن يضلّوا الأممَ، ويبعدوهم عن شهادة "لا إله إلاّ اللّه"، التي هي مفتاحُ الجنّة ليُبقوا الجنّةَ لأنفسهم." (٩٨).

* وقال: "ابتدعوا (أي القساوسة) لهم (أي للأمم) الثالوثَ، ليبعدوهم أكثر فأكثر عن شهادة "لا إله إلاّ اللّه"، التى نادى بها المسيح وجميعُ الأنبياء، قبلَه وبعده، حتّى لا تكون لهم عودة إلى التوحيد. ولمّا ابتلعتِ الأممُ هذا الطعمَ، ووقعت في الفخّ، نام اليهود مطمئنّين، بأنّ تلك الأمم لن تشاركَهم الجنّةَ أبداً" (١١٨).

* وقال: "الكنيسة.. تحولّتْ من التوحيد إلى التثليث.. وقتلتِ الملايين منهم (أي من المسيحيّين الموحِدين). وفرضتْ معتقدَها الثالوثي بقوّة السيف والإرهاب.. وجنتْ من ذلك أرباحاً لا تحصى.. ونحن لا ندري إلى متى ستخفي الكنيسةُ الحقيقةَ، وتستمرُّ في الضحك على ذقون طوائفها.. وتنشر الثالوثَ لإبعاد المسيحيّين عن شهادة "لا إله إلاّ اللّه" الواحد، لتبقى الجنّةُ لليهود، لا يزاحمهم عليها المسيحيّون" (ص١٦٨-١٦٩).

* وهناك أسئلة عديدة يودّ السيّدُ زكي طرحَها على المسيحيّين، تتناولُ إلوهيّةَ كلّ واحد من الثالوث.. فهو لا يعرفُ الجواب. ويتمنّى على المسيحيّين أن يوافوه بالجواب.

قال: "ومن حقّنا أن نسألَ هؤلاء الذين ما زالوا يؤمنون بأنّ الأبَ إله، والابنَ إله، والروحَ القدس إله؟ لِمَن الحكمُ فيهم، إن أراد أحدُهم أمراً؟.. كما نسألهم مَن منهم المتّصفُ بالأوّل؟.. ومَن منهم، يا تُرى، الذي خلقَ الشمسَ؟ ومن منهم الذي خلقَ القمر؟ إلخ..

ثمّ "إنّ أحدَ الثلاثة (عيسى) يأكلُ ويشربُ وينامُ. لكنّ اللّهَ الحقيقي لا يأكلُ ولا يشربُ ولا ينام.. والثاني، روح القدس، يأخذُ شكلَ حمامة.. واللّهُ الحقيقي لا يتجسّد في شكل حمامة لعلّ أحداً تصيّده وقتلَه. واللّه لا يموت.. والأب يتغيّر من أب إلى إبن إلى روح قدس.. والإلهُ الحقيقي لا يتغيّر..

"والهدف من ذلك كلّه واضح. وهو إبعادُ الناس عن اللّه الواحد، حتى لا يشاركوهم الجنّة" (ص ٩٠).

* أمّا المجامع التي عقدها الأساقفة والقساوسة من أجل إقرار الثالوث، فهي أوّلا مجمع نيقية، سنة ٣٢٥، الذي فيه أُعلن الابن إلهاً، ثمّ مجمع القسطنطينيّة، سنة ٣٨١، الذي فيه أُعلن روح القدس إلهاً. وكلا المجمعَين كان من أخطر ما قرّرتْه البشريّةُ من طعن بحقّ اللّه.

فمجمع نيقية كان "من أخطر المجامع على الاطلاق، لخروجه على دين المسيح الحقيقي، حيث، في هذا المجمع، وضعوا نهايةً لدين عيسى الناصري الموحِّد باللّه؛ فأعطَوه تَرْقِيَةً من نبيٍّ إلى إله.. إذ قامت حفنةٌ منهم، ٣١٨ أسقفاً من أصل ٢٠١٨ أو أكثر، لا يدري أحدٌ مدى علمِهم أو ثقافتهم أو مؤهلاتهم.. ولكن،

الثابت، أنّهم جَهَلَةٌ، بدون عِلم أو ثقافة. ضمائرُهم خَرِبَة. من العملاء الانتهازيّين النفعيّين.. والمستَعِدّين للتحالف مع الشيطان من أجل كراسيهم ومصالحهم الشخصيّة، متّخذين الدينَ وسيلةً للارتزاق وجمْع الثروة، بزعامة الأسقف (الإسكافي) أثناسيوس، أسقف الإسكندريّة.. المنافق" (ص ٨٢).

وجاء مجمع القسطنطينيّة، والتحالف مع الشيطان لم ينته. و".. للأسف، فالمؤامرة كانتْ مستمرّةً، إذ نجدُهم، بعد ٥٦ سنة من تأليه عيسى (في مجمع نيقية سنة ٣٢٥)، قد عقدوا مجمعاً آخَرَ في القسطنطينيّة، سنة ٣٨١، تحت رئاسة تيموثاوس أسقف الأسكندريّة أيضاً. واسمُه يدلّ عليه. إنّه يهوديٌّ مندَسٌّ بين القساوسة. فأضاف هذا للمجتمعين إلهاً آخر لآلهتهم، هو "روح القدس"!!! إيْ واللّه! يجتمعون ويصنعون آلهتَهم بأيديهم!..

".. ونحنُ لا نناقشهم في هذا التخريف الذي يناقضُ بعضُه بعضاً. إنّما نسألهم سؤالَين محدّدَين: الأوّل- مِن أين لهم هذا!!! والثاني- هل قال لهم المسيح إنّ إلهَهُ كان ناقصاً فطلبَ منهم أن يكمّلوه!!؟" (ص٨٤).

* الكنيسة، بحسب السيّد زكي، "تؤمن بثلاثة آلهة. وتزعم أنّهم واحد. محطّمين كلَّ قواعد الرياضيّات.. ومزعجين أنشتَين في قبره. فمتى كان الواحد يساوي ثلاثة، والثلاثة تساوي واحد (كذا)؟!" (٤٣).

و"أمّا إن زعموا وكابروا بأنّ ثالوثهم إله واحد، نقول لهم: هيهات! إنّكم واهمون. وتردّدون كلاماً لا تفقهون معناه. بل وتزعجون أنشتاين في قبره. ونتحدّاكم أن تدرّسوا حسابَكم هذا في أي مدرسة في العالم. ولو طبّقت نظريّة الواحد=ثلاثة، أو الثلاثة=واحد في أيٍّ شركة أو مؤسّسة لاختلّ ميزانها المالي.." (٣٩٢-٣٩٣).

ويكرّر شفـقَتَه عـلى أنشتاين، فـيقول: "جـمعت الكنيـسة بين الإثنين (أي الواحـد والثـالوث)، وخـرجتْ بالدين المسـتـحـيل.. قـائلةً: إنّ الواحـد=ثلاثة، والثلاثة=واحد، ممّا أغضب أنشتاين في قبـره، وأزعج أستاذَ الحساب، والتلميذَ الصغير، ورفضَه الكمبيوتر، وجميعُ الآلات الحاسبة في العالم، مع أنّ مخترعيها من المسيحيِّين" (٤٨٢).

ويردّد جدولَ الحساب ويقول: "ألدنيا اليوم تغيّرت، والواحد يساوي واحد (كذا)، ولا يسـاوي إلاّ واحد، والثلاثة تساوي ثلاثة، ولا تسـاوي إلاّ ثلاثة. لقد وصل البـشـرُ إلى القـمـر والمرّيخ بحـسـابات ١+١+١=٣، وليس بحـسـابات ١+١+١=١. ولو اعتـمدت "ناسَـا" حسابات الكنـيسة، لتـاهتْ صواريخُـها في الفضـاء، أو ارتدّتْ عليها، وانفجـرتْ محطّمةً قـاعدتَها التي انطلقتْ منهـا، ولقد حطّمَ الكمـبيوتر وجـميعُ الآلات الحـاسبة كلَّ الموازين الـتي تقول: ١+١+١=٣، فأصبحت هذه الأناجيل متأخرة، بل ومـتأخرة جداً، لا تواكب العصر الذي نعيش فيه، ولقد تجاوزها الزمن والأحداث، وخلّفاها وراء.." (٧٥٩).

* ولقد استعمل الإنجيليّون، في رأي السـيّد زكي، حيلةً ذكيّةً لتمرير نظريّة الثالوث، وجعل الناس يتقبّلونها بـسهولة، وذلك، عندما راحوا، من أوّل أناجيلهم، يكررون على مسامعنا الرقم ثلاثة.

فهناك، مثلاً، ثلاث تجارب للمسيح فـي البرّيّة، سبقها ثلاث هدايا المجوس، وثلاثة أكيـال دقيق، وثلاث مرّات أنكر بطرسُ المسيح، وثلاثة أيام دفـن خلالها المسيح في القبر، وثلاثة مصلوبين.. "يحاول كاتب هذا الإنجيل (متّى) أن يغسلَ أدمغتَنا تدريجياً بالرقم ثلاثة، ليجـرّنا في النهاية إلى فخّ إلهه المثلّث الذي نصبه لنا في آخر إنجـيله، حيث قـال: "وعمّدوهم باسـم الأب والابن والروح القدس" (٣٦٦).

* وبشيء من روح النكتة، يعلّق السيّـد زكي على "ثلاثة أكيال دقيق"، في متّى (١٣/٣٣-٣٤)، يقـول: "هنا دسٌّ آخَر، يحـاول فيه مـتّى المزعوم أن يدسَّ علينا الرقمَ ثلاثة الذي هو رقم الثالوث.. فباللّهِ عزيزي القارئ! ألا تفعلُ الخميرةُ فعلَهـا لو كانت في كيلٍ واحـد؟! أو أربعة!؟ أو سبـعة؟! أو عشرة؟!.. لماذا اخـتار الرقم ثلاثة؟ لا معنى لاستعماله سوى الدسّ والتحريف" (٥٤٦).

* وبإسلوب محاكم الجنايات، وإلقاء القبض على المجرمين، يقول:

"فيـا أعزّائي القرّاء! يا مَن نحـاول جهدَنا في تخلـيص أرواحهم من النار الأبديّة! أمـام أعـينكم تزوير واضح. ولقـد ألقيـنا لكم القـبضَ على هذا الكاتب اليهودي الوثني الذي لا يخافُ اللّهَ، والذي سمّى نفـسَه متّى، وهو متلبّس بأكبر جريمَتَي تزوير في دين المسيح. الأولى دسٌّ فيها لفظ "ابن اللّه"، والثانية جريمة شطب اسم اللّه الأعظم ودسّ اسم "الأب" مكانه. وكـلا اللّفظين غريبَين على دين المسيح الحـقيقي. والمسيح مـا عرف يوماً إلهاً اسـمه الأب. ولا عرف إلهاً إسـمه الابن. إنّما عرفَ اللّهَ وحدَه الذي هو في الخفاء دائما..

"فتأمّلوا جيّـداً، أعزائي القرّاء! يا مَن تعتقدون أنّكم مسيـحيّون! لأنّكم أمام عمليّة من أخطر عمليّات التزوير في تاريخ العقائد على الإطلاق..

".. مَن من البـشـر يستطـيع أن يشطبَ اسمَ اللّه في كـتابٍ يـزعمـون أنّه مـقـدّس، ليـضـعَ مكانَه اسمَ الأب.. أو أيَّ إسمٍ رخـيصٍ آخـر.. إلاّ الشـيطان!" (١٦٦).

* أمّا لفظة "أقنوم" التي تسـمّي الكنيسةُ بها كلَّ واحـد من آلهة الثالوث، فهي لفظة دخيلة. لم يقلْها المسيح. ولا هي توجد، لا في الإنجيل الحقيقي ولا في الأناجيل المزيّفـة، ولا حتّى عند شـاؤول.. فمن أين جاء بهـا القساوسـة؟ يقول

السيِّد زكي: "المسيح لم يقلْ ذلك أبداً. بل لم يتلفَّظ بلفظة أقنوم في حياته. مع أنّ لفظة أقنوم سريانيّة. فأنت لو بحثتَ عن هذا اللفظ في الأناجيل، أو في العهد القديم، فإنّك لن تجدَه مطلقاً، لأنّه من زعم الكنيسة" (٩٥).

* ثمّ يأخذ السيِّد زكي على المسيحيّين محاولاتهم الدائمة في تشبيه اللّه بمخلوقاته. وهو كفرٌ آخَر يضافُ إلى كفرهم. يقول: "اللّه لا يمكن، ولا بحال، تشبيهُه بأيٍّ شيء. وإذا كنتم لا تصدّقونا فارجعوا إلى كتبكم التي يبدو أنّكم لم تقرأوها قط".. ثمّ يعطي أمثلةً عديدة على أنّ اللّه "ليس كمثله شيء". ويأخذ على الذين يشبّهون اللّه بأنّ "تشبيهاتهم كذب. وأمثلتهم هراء. إذ ليس للّه مثيل، ولا شبيه ممّا نراه أو نعرفه. فلا عين رأتْه، ولا أذنَ سمعتْه، فكيف يستطيع إنسانٌ أن يشبّهَ ما لم يرَه وما لم يسمعه بشيء يعرفه؟! هبْ أنّك طالب في المدرسة، وجاءك السؤال التالي: "شبِّهْ لي شيئاً لم ترَه في حياتك ولم تسمع صوتَه مطلقاً بشيء ممّا حولك". فماذا يكون جوابك؟! لا شكّ أنّكَ ستقول: "إنّ إستاذَنا فَقَدَ عَقْلَهُ" (٩٨-٩٩).

*ويأخذ السيِّد زكي أيضاً على المسيحيّين بأنّهم يترجمون إسمَ اللّه، ويغيّرون لفظَه، ويكنّونه بما يحلو لهم. قال: "كما أنّه من الخطأ تشبيه اللّه بأيٍّ شيء، أو تسميته بالأب والابن والروح القدس.. أو بأيٍّ إسم آخَر، كذلك من الخطأ الجسيم محاولة ترجمةِ اسمِ اللّه إلى أيّة لغة أخرى... فهل تحبُّ أن يناديكَ أحدٌ بترجمة اسمك؟! طبعاً لا..فاسمُ اللّه يجب أن يبقى.. كما هو.. إنّه لا يُثَنّى. ولا يُجْمَعُ. كذلك نقول: إنّه لا يُترجمُ. لأنّ أيَّ اسم من الأسماء المترجمة يمكن جمعه. فاسم God يصبح Gods.. وهكذا. وبهذا نكون قد خرجنا عن أهمّ صفة للّه التي هي الوحدانيّة. لهذا يجب أن يبقى اسمُ اللّه Allah عند كلّ إنسان، سامياً كان أم

أجنبيّاً، كما هو، دون ترجمة، لأنّ هذا اسمُه. وهو، جلّ جلالُه، سمّى نفسَه به.. وهو إسمٌ خاصٌ به وحدَه.. لأنّه كما أنّ اللّه ليس له مثيل، فكذلك إسمه أيضاً ليس له مثيل" (١٨٢).

* ونصيحة السيّد زكي للمسيحيّين، وهم يقرأون أناجيلهم، أن يشطبوا لفظة "الأب" ويعيدوا مكانَها لفظة "اللّه"، فيستقيم لديهم المعنى، ويكونوا قد ساهموا بإلغاء بعض ما أضافته الشاؤوليّة الكنسيّة إلى النصوص المقدّسة. يقول: "وتمرّ الأيّام، ومؤامرة الشيطان مع بني آدم مستمرّة، إذ، بعد أن أدخلوا لفظة "الابن" في دين المسيح الحقيقي، قاموا بإدخال لفظة "الأب"، ليكمّلوا جَرْفَ المسيحيّة الحقّة إلى هاوية الوثنيّة... ولكن، الذي يجب أن يفهمه.. كلُّ مسيحي عاقل، يؤمن حقّاً بالمسيح، هو أنّ لفظ "اللّه" كان موجوداً في الأساس لغاية ١٨٠-٢١٠؛ ثمّ استُبدلَ بعد ذلك بلفظ "الأب". وعليه يكون لفظ "الأب"، الموجود في الأناجيل حاليّاً، دخيل (كذا) على المسيحيّة الحقّة.. اللّهُ ليسَ أباً لأحد.. بل لم يكن إسمُه أباً في يوم من الأيّام. وعليه فمن حقّنا، وحقّ كلّ مسيحي يقرأ الأناجيل اليوم، أن يشطبَ كلَّ لفظة "أب" تمرّ معه في الأناجيل ويضع مكانَها لفظ "اللّه". وبذا يكون قد أعاد شيئاً من المصداقيّة في أناجيله إلى ما كانت عليه قبل التحريف" (٨١-٨٢).

* أمّا النصيحة فـ".. لا يصحّ، ولا يجوز مطلقاً، أن تسمّي اللّهَ بالأب، أو الابن، أو روح القدس. فهذا، إنْ لم يكنْ قلّةَ معرفة، أو قصرَ نظر، فهو خطأ فادح، وقلّةُ أدب مع اللّه. فضلاً عن كونه كفر بواح (كذا)، وجريمة لا تغتفَر، لأنّك غيّرتَ اسمَ اللّه.. فكيف تجرؤ أن تقول على اللّه إنّه الأب، أو الابن، أو روح القدس. ولا تتوقّع عقاباً يوازي كفرَك؟!".. إنّ في ذلك "أكبر تجديف على اللّه" (١٧٩).

فـ"المسيح لم يعـرف قط لفظ الأب، ولم يستعمله في حـياته أبداً.. لأنّ اللّهَ ليس أباً لأحـد. إنّما هو إله كلّ أحـد. ولو كان اللّهُ أبا حـقّاً، والمسـيح ابناً للّه في الثالوث.. لقال: "ويمجّـدوا إلهكم الواقفَ أمامكم"، بدل: "ويمجّدوا أباكم الذي في السموات". والصـواب: "ويمجّدوا إلهكم الذي في السموات" (٣٩٣).

* وموضـوع آخر من التزوير هو إبدال لفظة "ربّ" مكان "سيّد". والربّ إسم من أسماء اللّه الحسنى. وقـد أطلقها متّى على المسيح كفـراً وتحريفاً. قال السيّد زكي: يستعمل مرقص (٩/٥) كلمة "سيّد" للمسيح، فيما "متّى المزعوم، بعد أن سرق نصّ مرقص، يستـعمل كلمة "ربّ".. وإنّنا نرى هذا الدّعيّ المأفون، عندما سـرق النّصّ، قد حوّل كلمـة "سيّد" إلى "ربّ" فـي إنجيله. وهو بذلك، يريد أن يدلّسَ على المسيـحيّين البسطاء.. ويكتب إنجـيلَه، وفي ذهنه نسفُ الدين المسيحي من الداخل.. إلاّ أنّه، في إبقاء بعض الآيات التي تعتبرُ المسيحَ نبيّاً، مثل (متى١٣/٥٧)، ظهرت خدعتُه مكشوفةً" (١٧٠).

* والآن يطبّق السـيّد زكي قولَ المسـيح: "كلّ مملكة منقـسمة علـى ذاتها تخـرب" (مـتّى١٢/٢٥) على الـلّه الذي انقـسـمَ إلى ثلاثة شـعـب، ثم على المسيحيّين الذين انقسموا، بسبب انقسام إلههم، إلى عشرات الشيَع. يقول:

".. باللّه! كيف يكون الأمرُ إذا كان ربُّهم منقسـم (كذا) على ذاته! فتارةً هو أب، وتارةً هو ابن، وتارة أخرى هو روح قدس، ومملكتُه منقـسمة على ذاتها بين هذه الأقانيم الثـلاثة! لقد وصمـوا ربّهم ومملكتَه بانفصـام الشخصـيّة. والإله المريض بانفصام الشخصيّة ليس إله (كذا).

"ولأنّ قـولَ المسـيح هذا قـولُ حقّ.. لم يثـبتِ الدينُ الشـاؤولي الكنسي، فانقـسمَ على ذاته إلى مئات الطوائف، وانهـار في أوروبّا الشرقيّة، عندمـا تركه

الناس واعتنقوا المادّيّة الشيوعيّة.. وانهار اليومَ كذلك في أوروبّا الغربيّة وأمريكا، فخلتِ الكنائسُ من روّادِها، خلا كبار السنّ. وأصبحتْ تُباعُ بالمزاد العلني. وحلّ محلّه السرقات والجرائم والزنى والخمر والقمار والاغتصاب والمخدّرات والشذوذ الجنسي..الخ.. وبسبب هذا الدين، فسدتِ القارّتَين (كذا) وخربتا، حسب قول المسيح، ممّا يثبت لكلّ معتبر أنّ اللّه واحد، ولا يمكن أن ينقسم على ذاته..

"لهذا نقول: ويل للعالم لو لم يرحمْه اللّه، ويُنزل القرآنَ على محمّد، الذي، لولا نزوله، مؤكداً على وحدانيّة اللّه، لفسد العالمُ أجمع.." (٥١٨).

* كلّ هذه النظريّة الثالوثيّة عند المسيحيّين كانت، كما يردّدُ السيّد زكي، "ليضمنوا ذهابَك إلى جهنّم بالبريد المضمون، ولتبقى الحياةُ الأبديّة لهم.. كلّ هذا ليبعدوك عن اللّه الحقيقي الذي عبدَه المسيح، لتعبدَه أنتَ إلهاً من صنعهم ليس له وجود، فيكون نصيبُك في الآخرة الجحيم الأبدي، ويكون نصيبُهم هم النعيم المقيم" (١٨١).

"حقّاً إنّ الشيطان لم يمتْ، وعملُ التخريب في هذا الدين مستمرّ. يريدون أن يجرّوا المسيحيّين الحقيقيّين إلى إله وهمي ذي ثلاث شعب، ليس له وجود، ليبقوا الجنّة لليهود" (٩٦٤)..

"وعليه، يكون من حقّك على الذين يريدون منك أن تعبد إلهاً آخرَ، أن لا ترضى منهم ذلك. ولا تسمع لهم. ولا تشفق عينك عليهم. ولا ترقّ لهم. ولا تسترهم. بل قتلاً تقتلهم. أنتَ وجميعُ الشعب، لأنّهم يريدوا (كذا) أن يأخذوا منك مقعدَك في الجنّة.. ليستبدلوه لكَ بمقعد في النار" (١٨٣-١٨٤).

نقول:

ليس لنا أن نُفاضل بين القول بعقيدة "التوحيد" والقول بـ"الثالوث". والمفاضلةُ تعني أنّ اختلافاً ما بين القولَين. ويصرّ المسيحيّون بأنّهم، مع قولهم بـ"الثالوث"، موحّدون، مؤمنون بـ"التوحيد"، مناضلون، شاهدون له، يُستشهدون من أجله حتّى بحياتهم. اَللّهُ واحدٌ أحد. لا إله إلاّه. هذا هو إيمان المسيحيّين. بل هو إيمانُ كلّ مؤمنٍ بوجود إله، حتّى الوثنيّين. هؤلاء، مع تعدّد الألهة عندهم، يقولون بأنّ إلهاً واحداً، عظيماً، هو، وحدَه، في رأس الهرم. هو إله الآلهة، وربّ الأرباب.. فالتوحيد، إذاً، مطلبٌ عقليٌّ، لا يرتاحُ العقلُ إلاّ بالقول به.

فليكفّ السيّد أحمد زكي، إذاً، عن اتّهام المسيحيّين بالقول بتعدّد الآلهة. ولينظر إلى نفسه لماذا لا يستوعبُ ضميرُه "الثالوث"! ألأنّ القرآن كفّره وكفّر القائلين به! أم لأنّ إيمانَه لم يصلْ بعدُ إلى التزامه والدخول في سرّه!!.

ونريد أن نقول أيضاً: هذه العقيدة المسيحيّة، على صعوبة إدراكها، قد تكون أسهلَ منالاً من القول بالتوحيد المطلق، أو المطبق. في القول بالتوحيد، يبدو اللّهُ واحداً، أحداً، صمداً، متعالياً، جبّاراً، بعيداً، غريباً.. لا شأن له مع ما خَلَق. لا يبدو، لصمدانيّته وبُعدِه، أنّ في طبيعته حبّاً، وقرباً، ورحمةً، وحناناً، وعنايةً، ومسامحةً، وتوبةً..

وإذا ما وجدنا في القرآن ألفاظ الرحمة والقرب والعناية، وما إليها.. فليست هي من ذات طبيعة اللّه، بقدر ما هي من ذات حاجةِ الإنسان لأنْ يجدَها في اللّه. ولهذا قام الفلاسفةُ المسلمون -ما عدا الغزالي طبعاً- وبصوتٍ واحدٍ، وقالوا بأنّ اللّهَ لا يستطيعُ معرفةَ الجزئيّات، وبالتالي لا يستطيع العناية بها، لئلاّ يتغيّرَ بتغيّرها، فيبطل أن يكون اللّه.

ثمَّ إنَّ الإقرارَ بالثـالوث قد يكونُ لمصلحةِ الإنســان وسعادته أكـثر من إن يكون إرضاءً لعقل الموحِّـدين. ولئن كان القولُ باللّه الواحد الأحد الصـمد أقربَ للعقل وأسلم، فإنَّ القولَ بالثالوث أغنى للإنسان وأسعد. فلكأنَّ الإنسانَ لا يسعه أن يحبَّ اللّه، ولا يستوعب مـحبّة اللّه له، إلاّ ضمن إلهٍ يتفـاعلُ ويتحابُّ مع ذاته. ولكأنَّ الإنســانَ أيضاً لا يطمـئنُّ إلى أخيـه الإنسان، ولا ينكسـر جدارُ الـعداوة بينهما، إلاّ إذا اطمأنَّ إلى إلهٍ تتفاعلُ المحبّةُ في ذاته. وتتفاقم حتى تخرجَ من ذاته إلى علائق جديدة بينه وبين خليقته؛ ثمّ بين خليقته بعضها مع بعض.

فالقولُ بالـوحدانيّة المطبقة يؤدّي حـتماً إلى تصنيف البشــر، بين مؤمنين، وكافرين، ومشركين، وذمّيّين، وما إلى ذلك. كـما يؤدّي قطعاً إلى ممارسة الجهاد المقدّس، وإلى قسمة الأرض بين دارين، أو أكثـر: دار سلم حيث شريعةُ الإسلام، ودار حرب حـيث لا تمارس شريعـة الإسلام، ودار هدنة موقّـتة بسـبب ضعف الإسلام.

أمّا القول بالثالوث فيؤدّي حـتماً إلى القول بهذا النّصِّ من الإنجيل، الذي يختـصرُ المسـيحـيّةَ كلّها. وننـقلُه للاعتبـار: ".. يقولُ المَلِكُ لآلِ اليـمين: هلمَّ، يا مُـبارَكي أبي، ورِثـوا الملكوتَ المُعَدَّ لـكم.. لأنّي جُعْتُ فـأطعـمتُـمـوني، وعَطِشتُ فسقَـيتُموني، واغـتَرَبْتُ فآوَيتمونـي، وعَريتُ فكسوتُموني، ومرضـتُ فعُدتموني، وسُجنتُ فزُرتُموني.

"ويسـألُه الأبرار: مـتى رأيناك، يا ربُّ، جـائعاً فـأطعـمناك، أو عطشـانَ فـسقـيناك؟ ومتى رأيناك غـريبا فـآويناك، أو عـارياً فكسَوناك؟ ومـتى رأيناكَ مريضاً، أو سجيناً، فزرناك؟

"فـيُجـيبُـهم المَلِكُ: ألحقَّ أقـول لكم: كلّمـا صنعـتم هذا إلى أحدِ إخـوتي

الأصغرِين هؤلاءِ فإليَّ صنعتموه.

" ثمّ يقـولُ لأهلِ اليسـار: إليكم عنّي، يا مـلاعين، إلى النّار الأبديّة، المُعـدّةِ للشيطان ومـلائكته، لأنّي جُعتُ فلم تُطعـموني، وعطشتُ فلم تسقوني، واغـتربتُ فلم تأوُوني، وعَريتُ فلم تكسوني، ومرضتُ وسُجنتُ فلم تزوروني.

" ويسألُه هؤلاءِ: مـتى رأيناكَ، يا ربُّ، جائعـاً أو عَطشانَ، غريبـاً أو عارياً، مريضاً أو سَجيناً، وما أسعفناك؟

" فيُجيبُهم الملِكُ: الحقَّ أقـولُ لكم: كلّما لم تصنعوا هذا إلى أحد الأصغرِينَ هؤلاءِ فإليَّ لم تصنعوه.

" ويذهبُ هؤلاءِ إلـى عـذابٍ أبديٍّ، والأبـرارُ إلى حـيـاةٍ أبدّية " (مـتّى ٢٥/ ٣٤-٤٦).

يعلّقُ شرّاح: بهـذا النّصِّ النبويِّ ليوم الدين تبلغُ خطبةُ النـهايات ذروتَها. يأتي المسيح في مجد الملك (١٦/ ٢٧، ١٩/ ٢٨) ليـدين كلَّ إنسان على ما قام به من أعمال الرحـمة أو لم يقم. ما قاله يسوع لتلامـيذه (١٠/ -٤، ١٨/ ٥) يقوله لنا جميعاً: ما نعمله لأيِّ محتاجٍ فليسوعَ نفسِه نعمله.

قلنا: إنّ هذا نـصٌّ ثالوثيٌّ، لأنّه يفـتـحُ اللّهَ على الآخـرين، بل حـتّى على "الأصغَرِيـن". أمّا مع القول باللّه الأحد الصـمد، فلا انفتـاحَ من اللّه على أحد، لأنّه، حتّى على ذاته، لم ينفـتحْ. ويُخشى، في حال انفتاحِـه، أن يُلغي ذاتَه، فيبطل أن يكون إلهاً.

لهذا، نقول أيضـاً: لقـد توفّق الملحدون في إنكار اللّه. وهـم، بذلك، على حقّ. فهم بإنكارِهـم اللّهَ الأحد الصـمد، أو بإثباتهم له، سَيّان. أكـان هذا الإله موجوداً،

أم كان معـدوماً؛ أكان حاضراً، أم كـان غائباً، لا يفيـدُ ولا يضرّ. ولا شأنَ له مع البشر.

هذا، وإنّنا لا نرغبُ التـوقّفَ عند مـقولة السـيّد أحـمد زكي، بأنّ الثـالوثَ اختـراعٌ شاؤوليٌّ كنسيٌّ، شجّع اليهـودُ عليه ليمنعـوا "الأممَ" من دخول الجنّة، لتبقى خالصةً لهم وحـدَهم دون سواهم.. ليس لنا ما نقوله على هذا الكلام، لأنّه كلامٌ يحملُ فسادَه في ذاته.

* وثمّة اعتراض آخر من السيّد زكي على لفظة "أب" و"ابن" و"ربّ" و "روح"... فيقولُ بأنّ استعمالَ مـثل هذه الألفاظ على اللّه أمرٌ مشين بحقّه... أمّا نحن فما عسانا نقول للسيّد زكي! فليسمعْ:

لفظة "أب"، وهي تعني اللّه، وردت في العهد القـديم ٤ مرّات، في (طوبيّا ١٣/ ٤؛ حكمة ١٤/ ٣؛ إرمـيا ٣/ ١٩؛ ملاخي ٢/ ١٠)؛ وفي العهـد الجديد ٢٥٨ مرّة، موزّعة على أسفاره كلّها. وهي تردُ كما يلي: تارةً الأب السماوي، وطوراً أب يسوع المسيح، وآخر أب البشر، ورابع اللّه الأب.. إلخ.

ولفظة "إبن" في العهـد الجديد، وتعني يسوع المسـيح، وردت ٢٠٢ مرّة، موزّعة أيضاً على أسفاره كلّها. وهي تارةً ترد في تعبير "ابن الإنسان"، وطوراً في شكل "ابن اللّه"، وثالثاً معطوفـاً على الأب، ورابعاً على الأب والروح القدس معاً، وخامساً منعوتاً بالوحيد، والحبيب.. إلخ.

أما لفظتا "ربّ" و"سيّد"، اللّتان أُشكلتا على السيّد أحمد زكي، فهما، في اللّغة العـربيّة، بمعنى واحـد. وهو يعتبـر أنّ لفظة "ربّ" إسماً من أسـماء اللّه، و"سيّد" صفةً للرجال من البشر. ولكن ما رأي السيّد زكي في قول المسيحيّين عن المسيح بأنّه تارةً هو "الربّ يسـوع المسيح"، وطوراً هو "السيّـد المسيح"؟ فهل هم، بذلك، يـؤمنون به تارةً إلهاً، وطوراً إنساناً؟! ومـا قوله أيضـاً في كلام الناس عن "ربّ البيت"، و"ربّ العمل"، و"ربّ العائلة"، وما إلى ذلك.. فهل هو اعترافٌ من الناس بأنّ هؤلاء هم أربابٌ، بمعنى آلهة؟!!!

ثم أنّ "الروح القدس"، الّذي يعـني ذاتاً، أو شخصـاً إلهيّاً، فـقد ورد في العهـد القديم ٢٤ مـرّة، وفي العهد الجـديد ٢٣١ مرّة.. فـهو: روح اللّه، والروح القـدس، وروح أبيكم، وروحي، وروح الـرّبّ، والرّوح، والرّوح الذي من فـوق.. إلخ..

هذا وإنّنا نلفت نظر القارئ بأنّ هذه الألفاظ وردت أيضاً كلّها في العهدَين القـديم والجديد بمعـانٍ عـاديّة.. لكنّ علمـاء البيـبليـا ميّـزوها بإضـافة كلمـة Majuscule على المجمـوعة الأولى، ممّا يعني بأنّـه لم يُقصَدْ بهـا المعنى المألوف (يراجع في هذه الألفاظ Concordance de la Bible).

أمّا ما يهمّنا أكثر من هذه المعاني الموجـودة في البيبليا فهو معنى "الأبوّة" الذي يجده المسيحيّون فـي اللّه. وإنْ لم يكن اللّهُ "أباً" فإيمان المسيحيّين باطل. والمسـيـحـيّـون يصـرّون على أن يكون اللّهُ "أبـاً"؛ بل يفـضّلون إسم "الأب" يُطلقـونه على اللّه من أيّ إسم آخـر. وأكثـر من ذلك أيضـاً: إنّ لفظة "اللّه"، أو "إيل"، أو "إلوهيم"، أو "يهـوى"، أو أيّ لفظة اصطلح عليهـا البشـر، لا تعني

لهم شيئاً، إلاّ بالقدر الذي تعني لفظة "إنسان" للأب البشري بالنسبة إلى بنيه. فمن من البشر يدعو أباه: "إنساناً" بدل "أب"!.. صحيح أنَّ أباه هذا إنسان، ولكنّ تسميتَه باسم العلاقة أولى.

وهكذا، فإنّ اللّهَ، بالنسبة إلى المسيحيّين، أبٌ. وهو إسم العلاقة بينه وبينهم. فيما إسم "اللّه" هو، بحسب ما يُسمّى في اللّغة، إسم جنس، أو إسم عام، مشترك بين ما يُسمّيه الوثنيّون إلهاً، وكذلك اليهود، والمسلمون، والمسيحيّون... إسم واحد مشترك، ولكن، لكائن مطلق يختلف الناسُ في هويّتَه، وطبيعته، وكيانه، وصفاته، ودوره الخلاصي إختلافاً واضحاً.

ثمّ إنّ إسم "اللّه" ليس هو الاسم الذي يطربُ له اللّهُ كثيراً. هذه التسمية لا تعني سوى ما توافق عليه البشر، بعضهم مع بعض. فاسم إله المسيحيّين "أب"، أو "الآب" (من أصل سرياني: أَبُو). هذا الإسم يُظهر هويّته الحقيقيّة. ويظهر أيضاً مهمّتَه الخلاصيّة، وعلاقتَه بالكائنات التي خلقها، لأنّه أحَبها، فخلقها، وخلّصها، واعتنى بها...

هذا "الأب" هو "أب" لابنٍ واحد. وليس له أيُّ ضرورة واجبة في أن يكون له أكثر من ابنٍ؛ لأنّ المحبّة بين الأب والابن هي محبّة كاملة، لا تحتاجُ إلى تعدّديّة، كما هو الحال بين البشر.. ثمّ من هذه المحبّة فاض الروحُ، أو انبثقَ. وذلك لكمال المحبّة بين الأب والابن. ثم كانت المخلوقات من هذه المحبّة المشتركة والكاملة في صميم الإلوهة. ولا يزال الرّوح يعطي العالم الحياةَ.

لا نقولُ ما نقولُه لمعرفة هويّة اللّه الثالوثيّة. بل نقولُ ذلك لصعوبة ما نراه

في التركيـز على وحدانيّة اللّه المطبقة، وصـمدانيّته وأحديّته المـغلقتَين على عقلنا بإحكام...

نحن، هنا، في الثـالوث، مع إلهٍ، أبٍ، مـحبٍّ، يعـتني بمن خلق، ويغـفـر لمن خطئ، ويصبر على مَن تلكّأ، ويخلّص من هلك... ومـع اللّه الذي تجسّد بشخص يسوع المسـيح، نحن مع ربٍّ مخلّصٍ، وفـادٍ، جاء يرمّم إنسـاناً أفسدَ طبـيعـته، وأهلك نفسه.... ومع روحٍ قدسٍ ليس لنا حياة أو حركة أو قداسة إلاّ به.

إنّ اللّه غيـرُ مدرك، وغيـر خاضـعٍ لمقدور عـقلنا البشري. إنّه يفـوق العقلَ والعددَ والواحدَ والكثرة. وكلّ ما نقوله عنه من أنّه أبٌ أو إبنٌ أو روحٌ، وما نقوله بأنّه واحد أو ثالوثٌ، وما نُلبسُه من صفات، وما نُـعطيه من مهمّات...كلّها تعابير من عالمنا الناقص هذا.

وبين ما نحن عليه وما هو اللّه عليه بونٌ شـاسعٌ إلى درجة أنّنا نجهل جهلاً مطبقاً كلّ ما يخصّ اللّه: فـعالمنا متعدّد، متناقض، مادّيّ، حسّيّ، نسـبيّ، متغيّر، متحوّل، ناقص... أمّا اللّه فكلّيّ في كلّ شيء: كلّيّ الكمال والقدرة والعلم. مطلق. روحانيّ. أزليّ. أبديّ. فـعلٌ محض. عقلٌ. روحٌ. محـبّة. سعادةٌ. رجاءٌ. نـورٌ يُبهرُ النّاظرَ إليه إلى حدّ إطفاء عَينَيه.

نحن نجهلُ اللّهَ في كلّ شيء. ولا يمكن أن نعرفَ عنه شـيئاً. هو "الآخر".
ومع هذا نعلمُ واحـدةً وهي أنْ لا سعـادةَ لنا، ويجب ألاّ تكونَ لنا سعـادة إلاّ في اللّه وحده. والذين حظوا بالقداسة تقوم قداستهم على قربهم من اللّه والحضور الدائم لديه. فلا حوريات، إذاً، ولا فواكه، ولا خمـر معتّقة، ولا أنهار، ولا لبن، ولا

عسل، ولا شهوات، ولا حياة جنسيّـة، ولا شيء ممّا تقوم به الحياة البشريّة على هذه الأرض، يمكن أن تكوّن سعادة الأبرار. اَللّه وحدَه يكفي. والسعادة لا تكون إلاّ فيه. ومع هذا، سنبقى نجهله هناك كما نجهله هنا، لأنّه هو "الآخر".

يبقى أنّ العلاقةَ بيننا وبين اللّه، في هذه الدنيا، كما في السعادة الأبديّة، هي علاقة "محبّة" فقط، تماماً كعلاقة الطفل بأمّه. فالطفلُ يجهلُ أمّه جهلاً مطبقاً. ولا يعرف عنها سوى أنّها تحبّه وهو يحبّها. فنحن نعرفُ عن اللّه واحدةً، ولا نعرف سواها، وهي أنّ اللّه محبّة: محبّةٌ– في– ذاته، ومحبّة–لنا، لأنّه خلقَنا. هذه المحبّة–في–ذاته ظهرتْ لنا جليّاً، عندما باشرنا اللّه في طبيعتنا، وأحبّنا، وأنعم علينا بالخلاص. وهو ما نحتاجه من اللّه وقد لا نحتاج سواه.

هذه المحبّة، التي يقوم عليها اللّهُ– في– ذاته، جعلتْ منه أباً يُحبّ، وابناً يخلّص، وروحاً يُحيي، وأمّاً تحضن، وكنيسةً تكمّلُ المسيرة، وعيلةً تتفاعل فيها المحبّة، وسعادةً قصوى، وخلاصاً أبديّاً، وسماءً عليّة، وكمالاً كلّيّاً، ومطلقاً لا يُضاهَى، و"آخر" لا يُنال.

فاللّهُ، في هذا المعنى، واحدٌ، وثلاثةٌ، وعشرةٌ، وألفٌ... وهو كذلك لأنّه يتخطّى العددَ، ويتفوّق على الواحد والثلاثة معاً... ونحنُ، في كلّ حال، نجهلُ عن اللّه، لا الإسمَ المائة فحسب، بل المائة إسم أيضاً. وحتّى إسم "اللّه" اختراع بشريّ قد لا يكون مناسباً... ولا يحقّ لنا، تجاه هذه، إلا أحد احتمالين: إمّا إعلان جهلنا المطبق، فنكون بذلك مؤمنين باللّه وملحدين سواء بسواء؛ وإمّا أخذ الحقيقة من فم يسوع الذي قال: "لا أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومَن يريد الابنُ كشفَه له".

الفصل الثامن

ألوهيّة المسيح عند أحمد زكي

أفكار عديدة من هذا الفصل وردت في الـكلام على "الثالوث" في الفصل السابق. إنّما يركّز السيّد أحمــد زكي، هنا، وفي كتابه كلّه، بل في كلّ صفحة منه، على ألوهيّة المسيح عيسى. فالمســيح، عند كلّ المسلمين، تبعاً لكلام القرآن، إنسانٌ عاديّ، اختــاره اللّه، مثل سائر الأنبياء، لكي يكون نبـيّاً. أرسله إلى بني إسرائيل، ليخلّص "الخرافَ الضـالّة". ولم تكن نبوّتُه عامّة شاملة العالم، كما سيكون عليه "النبيّ المنتظر"، خاتم الأنبياء، محمّد.

أمّا موقف القــرآن الذي يعتمده المسلمــون، والذين، على هداه، يحكمون على عيسى. فهو موقف واضح جداً. وبسبب موقفه الواضح هذا، يختلفُ الإسلامُ عن اليهوديّة وعن المســيحيّة. فالمسيح، بالـنسبة إلى اليهود، إنسانٌ عــادي؛ وبالنسبة إلى المسيحيّين، هو إله وابن للّه؛ وبالنسبة إلى المسلمين، هو أكثرُ من إنسان عاديّ بكثــيــر، وأقلّ من إلــه بكثـيــر، هو نبيّ. هذا المـوقف قــال به النّـصــارى، أي اليهود–المتنصّرون، قبل المسلمين.

فالقرآن، إذاً، يعــتبر الذين يطعنون بنبوّة المسيح، كــافرين، والذين يأخذون المسيحَ بمنزلة اللّه، مــشركين. وحدهـم المسلمــون، وقبلهم النّصارى، كــانوا "أمّةً

وسطاً" (سورة البقرة ٢/١٤٣)، "أمّة مقتصدة" فـي عقيدتها وفي موقفها من عـيسـى (المائدة ٥/٦٦)، "أمّة مـن قوم مـوسى يهـدون بالحقّ، وبه يعـدلون" (الأعراف ٧/ ١٥٩، ١٨١). أمّـة لا تظلم عيـسى فتنفي عنه النبـوّة، ولا تغلو في عيسى فتعتبره إلهاً.

ويتوجّه القرآن إلى الذين غلوا في إيمانهم بعـيسى فقال: "يا أهلَ الكتاب! لا تغلُوا في دينكم غـير الحقّ" (المائدة ٥/٧٧)، "لا تغلوا في دينكم ولا تقـولوا على اللّه إلاّ الحقّ" (٥/ ١٧١). هؤلاء الذين يغلون هم كفّار مشركون، ومصيرهم إلى عذاب أليم: "لقد كفر الذين قالوا إنّ اللّهَ هو المسيحُ ابنُ مريم" (٥/ ١٧، ٧٢).

لا يدور بحـثُنا، الآن، حـول نظـريّة القـرآن في عـيـسى، عن مـعـانيـهـا، ومصـادرها، وأسبابها، ومقاصدها.. فهذا بحث يطول، وقد كُتب فيه الكثير... إنّما نستعرضُ، نقلاً واخـتصاراً، كلمات السيّد أحمد زكي في ألوهيّـة عيسى. كلماتٌ كثيرة، عـبرَ كتابه، تطعنُ، وبأسلوب ساخـر أكثر الأحيان، بالمسيح والمسـيحيّين والكنيسة والمسؤولين فيها، منذ شاؤول الفرّيسي، مروراً بالمجامع الكنسيّة، حتى هذه الساعة.

***

* يسـألُ السيّد زكي ساخراً:

"إذا كان المسـيح هو اللّه، فمَن تكون أليـصابات أمُّ يوحنّا المعمـدان؟ خالةَ اللّه! ومَن يكون زكريّا؟ زوجَ خالة اللّه! ومَن يكون يوحنّا المعمدان؟ أبنَ خالة اللّه! ثم، باللّهِ، تعَـالَوا نتـسـاءل: لو تزوّج المسـيح، فـمـاذا نسـمّي أولادَه؟ وبناته؟ وأصـهارَه؟.. هل تقول: بنتَ اللّه! وصـهرَ اللّه! وحماة اللّه! وكنّة اللّه!" (١٩٨).

* ثمّ " من قال لهم (للمسيحيّين) إنّ الإله يكون جنيناً، ثم يولد، ويرضع ثديَ أمّه، ويحبو، ويبوّل في فراشه، فينمو، ويكبر، ويغدو إلهاً؟!

" ثمّ نسألهم أيضا: ما الذي يجعل اللّهَ يتقوقع وينحشر في رحم مريم تسعة شهور!؟

" كما نسألهم: مَن كان يديرُ السماء، ويُنزلُ المطر، ويُرزق البشر على هذا الكوكب!؟.. وكيف غاب عن الشيطان أن يستولي على الحكم في هذا الكون.. وإلهه محشور في رحم مريم!؟.

" ونقول لهم: أين تركَ ألوهيّته؟ ومَن الذي ائتمنه عليها!؟ " (٢٦٠).

* وفي مكان آخر، يقول بالمعنى نفسه: "أين ترك (المسيح) ألوهيّته عندما تجسّد؟ ومَن الذي ائتمنه عليها طيلةَ ثلاثةِ وثلاثين عاماً؟ أي حياته على الإرض!؟ وكيف لم يستغلّها ذاك (الشيطان)؟ ويحكم العالم؟" (٤٦٣).

" ألم نقل إن اللّه، إذا تجسّد انتهى كإله، لأنّه إن حلّ في مكان يشغله ويخلو منه بقيّة العالم... ويلٌ لهم من اللّه الحقيقي يومَ الدينونة " (٤٦٢).

* ومنطق السيّد زكي في رفض ألوهيّة المسيح مألوف. يقول:

" أن يكون عيسى إلهاً، فهذا باطل. وبطلانه ممّا ورد في أناجيلكم. خذوا مثلاً:

" ١. وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمهما أحد.. إلاّ إلهي وحدَه " (متى ٢٤/٣٦). فها هو شيء غاب عن علم عيسى. واللّه الحقيقي لا يغيب عن علمه شيء.

" ٢. وأمّا الجلوس عن يميني.. فليس لي أن أعطيه " (٢٠/٢٣). وهذا شيء آخَر لا يستطيعه عيسى.. بينما اللّه الحقيقي يستطيع كلّ شيء.

"٣. مَن الذي لَمَسَني؟" (لوقا ٨/ ٤٥). إذا كان عيسى لا يعرف مَن الذي لمسه مِن الخلف، فأنّى له أن يعرفَ ماذا كان يجري في إيطاليا أو البرازيل أو الفلبّين!

"٤. ولمّا دخل السفينة.. وكان نائماً" (متّى ٨/ ٢٤). من صفات اللّه أنّه لا ينام. وها هو عيسى كان نائماً. فإذا كان إلهُ الكنيسة ينام، فمَن يحصي الحسنات والسيّئات ليكافئ أو يجازي بها البشر!؟

"٥. وفي الصبح.. جاع. فنظر شجرةَ تين.. فلم يجد إلاّ ورقاً" (٢١/ ١٨). فلو كان عيسى إلهاً لما جاع، ولعرف مسبقاً أنّها لا تحمل إلاّ ورقاً. علماً أنّ اللّه غنيٌّ عن الطعام والشراب.." (ص٢٦٠-٢٦١).

* ثم ينتقل السيّد زكي، في استعراضه إنجيلَ متّى، إلى التفصيل. فيعلّق على كلّ شاردة وواردة، تبيّن إنسانيّة المسيح، فيعلّق عليها، ويبيّن للمسيحيّين الشاؤوليّين ضلالَهم في تأليه المسيح:

* على كلام متّى (٩/ ٣٥-٣٨) حيث "يسوع يطوف في المدن.. يعلّم.. ويكرز"، يقول السيّد زكي: "سؤالنا لكلّ الذين يعتقدون أنّ عيسى إلهاً، هل الذي يعلّم، ويكرز في المدن والقرى يكون إلهاً أم نبيّا وواعظاً!؟" (٤٦٤).

*وعلى قول لوقا بإنّ عيسى "كان يصلّي" (٣/ ٢١)، يعلّق السيّد زكي: "نحن نقدّم نصّ لوقا هذا للقساوسة.. الذين يزعمون أنّ عيسى إله.. فهلاً قالوا لنا لَمَن كان يصلّي!؟ هل كان يصلّي لنفسه؟! أى إنّ ناسوتَه كان يصلّي للاهوته؟!.. إنّنا، حتّى في الوثنيّة، لا نقرأ أنّ إلهاً صلّى لإله" (٣٤٢).

* وعلى ما جـاء في متّى (١٩/٨): "يا معلّم! أتبـعك أينما تمضـي"، يعلّق السيّد زكي: "لاحظ عزيزي القارئ، إنّ الكاتب قال له "يا معلّم". والتلميذ ناداه "يا سيّد". هكذا كانت نظرة الناس والتلاميذ إلى المسيح. معلّم وسيّد. ولم ينظر له أحدٌ قط على أنّـه إله. ولو ناداه أحدٌ: يا ألله! لقطعوا رأسَـه. وهذا يناقض زعم الكنيسة التي منحتْه ترقيةً برتبة إله" (٤٤٥).

* وعلى قول المسـيح في متّى (٨/ ٢٠): "وأمّا ابن الإنـسان فليس له أين يسند رأسـه"، يعلّق السـيّد زكي: "هذا القـول يؤكّـد أنّ عيـسى ليس اللّه، ولا بحال. أخـالقُ السموات والأرض ومـا بينهمـا، وما عليهـما، وما فـوقهمـا، وما تحتهما، لا يملك مكاناً يسند فيه رأسَه!!؟ كيف غدا إلهُ العالمين فقيرا!؟" (٤٤٥).

"ثمّ إنّ لقب ‹ابن الإنسـان› هذا يتناقض تناقـضـاً صارخـاً مع لقب ‹ابن اللّه›.. ومن حقّ كلّ مسـيحي أن يسأل قسـاوسته عن هذا التناقض. هل عـيسى إبن اللّه أم ابن الإنسان!؟ (٤٤٦).

* وعلى قول متّى (٨/٩): "لمّا رأى الجمع ذلك تعجّبوا ومجّدوا اللّهَ الذي أعطى الناسَ سلطـاناً مثل هذا"، يـعلّق السيّـد زكي: "لاحظ عـزيزي القـارئ: "إنّهم مـجّـدوا اللّهَ"، ولم يمجّـدوا المسـيحَ الواقف أمـامـهم، والذي صنع لهم المعجـزات.. ثمّ الذي أعطى الناسَ، أي الذي أعطى عيسى الذي جرت على يديه المعجزة باعـتباره واحداً من الناس. وهذا يدلّك على أنّ القوم كانوا أعـقل بكثير من الشاؤوليّين نصارى اليوم" (٤٥٦).

* وعلى قول المسيح في متّى (١١/ ٢٥): "أحمدك أيّها الأب ربٌ السموات والأرض"، يعلّق السيّد زكي: "أتوجّه من كلّ قلبي إلى جمـيع الإخوة المسيحيّين

في شـتّى أنحاء العـالم.. وأتوجّه بوجـهٍ خاصّ، إلى جـميع البـابوات والكرادلة والمطارنة وعموم القساوسة في شتّى أنحاء العالم.. إشرحوا لنا، بعد إذنكم، قول المسيح هذا.. فـإذا كان عـيسى يعتـرف أنّ إلهه هو ربّ السـموات والأرض، أي الكون بما فيه ومن فيه من كلّ صغيرة وكـبيرة، فهلاّ أخبرتمونا إذاً عيسى يكون ربَّ مَن!؟ لم يبقَ شـيء في السموات والأرض حـتّى يكون عيسى ربّه إلاّ إذا كنتم أنتم وعيسى خارج نطاق السموات والأرض" (٥٠١).

* وعلى قـول الناس عن المسـيح في مـتّى (١٣/ ٥٥): "ألـيس هذا ابن النّجار؟"، يعلّق السيّد زكي: "ذكر مرقص "أليس هذا النّجّار". ولما أخذها متّى جعلها "ابن النّجّار". ولمّا أخذها لـوقا قال "أليس هذا ابن يوسف"... لقد ضاع الشاؤوليّـون الكنسيّون بين النّجّـار وابن النّجّار وابن يوسف، كما ضـاعوا بين الأب والابن وروح القدس. ونسـوا، قبل أن يزعـموا لنا هذا الثالـوث، أن يغلقوا ورشةَ النجارة التي كان يعمل فيها ربُّهم وإلههم.

"ألا تخجلُ الكنيسة من القول بأنّ إلهها كان نجّاراً وابن نجّار! أي صاحبَ ورشـة نجارة! والنجـارة، في العادة، تحـتاج إلى الخـشب والعدد والمسـامير والبراغي والغراء والدهان، وإلى باعة ومشترين ومسوّقين... بينما إله العالمين لا يحتـاج إلى شيء. بل لو شاء لخلقَ لهم مليـونَ عيـسى بدون أب وبدون ورشة نجارة، بالكلمـة التي يقول فيهـا للشيء كنْ فيكون.. ثمّ متى كـان النّجّارُ أو ابنُ النّجّار يصبحُ إله!؟ (كذا)". (٥٤٩).

* وعلى قـول المسـيح في مـتّى (١٣/ ٥٨): "ليس نبيٌّ بلا كـرامـة إلاّ في وطنه"، يعلّق السيّد زكـي: "نقدّم هذه الجملة إلى جميع النّصـارى المعاصرين ليحملـوها إلى كنائسهم وأساقفـتهم وقساوستـهم ليسألوهـم كيـف يزعمون أنّ

عيسى هو إله وابن إله. وها هو نفسه يصرّح أنّه نبيّ وليس أكثر من نبيّ.

"متى يستيقظ النّصارى عموماً ويقرأون التاريخ ليعلموا أنّ الذين رفعوا عيسى من سلك النبوّة، ودسّوه في مرتبة الألوهيّة، لم يكونوا سوى بضعة نفر من القساوسة المندسّين في المجامع الكنسيّة، لم يكن لهم هدف سوى حرمانهم من الجنّة، وإنّهم (أي نصارى اليوم) ما زالوا بالعين هذا الطعم حتّى يومنا هذا. إذ متى وكيف يصبح النبيُّ إله!؟ (كذا)" (٥٥٠).

* وعلى ما جاء في متّى (١٤/١٣): "فلمّا سمع يسوع"، يعلّق السيّد زكي: "نقدّم هذه الجملة للذين يعتقدون أنّ عيسى كان إلهاً متجسّدا، يمشي على الأرض. إذ لو كان إلهاً لما انتظر حتّى يسمع من الناس، لأنّه، كإله، مفروض أن يكون هو الذي كتب هذه الميتة على يوحنّا، وأن يكونَ عالماً بها قبل حدوثها" (٥٥٦).

* وعلى أعجوبة تكثير الخبز والسمك في متّى (١٤/ ١٤-٢١)، يعلّق السيّد زكي: "إنّي لأدعو جميعَ الذين ما زالوا يعتقدون أنّ عيسى إلهاً أن يتأمّلوا في الجملة التي أوردها متّى "ورفع نظرَه نحو السماء"، لماذا يرفع عيسى نظرَه نحو السماء!؟ ومَن هو الجالسُ على العرش فوق السماء!؟" (٥٥٦).

* وعلى قول متّى عن المرأة الكنعانيّة (١٥/ ٢٥) التي "أتت وسجدت له"، يعلّق السيّد زكي: "هراء!!.. ولو حقّاً سجدت له لانتهرها عيسى في الحال، وقال لها، كما قال للشيطان، "للربِّ إلهك تسجد وإيّاه وحده تعبد" (٥٧٣).

ويكمّل: "والذين لا يزالون يقولون إنّ المسيح إله، نقول: لو كان إله (كذا) لعرفَ إيمانَها سلَفاً، ولما قال لها في البداية: "ليس حسناً أن يؤخَذَ خبز البنين

ويطرح للكلاب"، ثم جاء في النهاية قال لها: يا امرأة عظيم إيمانك"، لأنّ هذا تخبّط. والإله لا يتخبّط" (٥٧٥).

* وعلى قول متّى (١٥/٣١) عن الجموع الذين شهدوا أعمالَ المسيح المذهلة، بأنّهم "مجّدوا إله إسرائيل"، يعلّق السيّد زكي: "لاحظ عزيزي القارئ ما ذكره متّى. لماذا إله إسرائيل! وعيسى، وهو إله بزعمهم، واقف أمامهم، يشفي مرضاهم!! ولو كان عيسى إلهاً حقّاً لقال متّى عنهم: "ومجّدوا عيسى"، ممّا يؤكد أنّ عيسى لم يكن إلهاً" (٥٧٧).

* وعلى قول متّى في أعجوبة ثانية لتكثير الخبز والسمك (١٥/٣٢-٣٩): "شكر وكسر وأعطى تلاميذَه.."، يعلّق السيّد زكي: "شكَرَ"، أي المسيح شكر.. ونحن نسأل الكنيسة: ألمسيحُ شكرَ مَن!؟ ألجموع؟ طبعاً لا. شكرَ ربَّه وخالقَه. ممّا يُثبت عبوديّتَه للّه. فليس من المعقول أن يكون إلهٌ على الأرض يشكر إله (كذا) في السموات.." (٥٧٧).

* وعلى قول متّى: "أخذه بطرسُ إليه وابتدأ ينهره، قائلاً: حاشا يا ربّ. لا يكون لك هذا" (١٦/٢٢)، يعلّق السيّد زكي: "لو كان المسيحُ إلهاً، كما يحلو للكنائس أن تزعم، فهل ينهرُ بطرسُ الإنسانُ الرّبَّ إلَهَه؟ هل سمعتَ عزيزي القارئ أنّ مخلوقاً ينهر (أي يؤنّب) خالقَه!؟ هذا في الشاؤوليّة الكنسيّة جائز. لأنّهم فعلوا أكثر من ذلك مع إلههم. بصقوا في وجهه. وجلدوه. ثم صلبوه. ودفنوه. وأقاموه. لقد جعلوه عجينةً في أيديهم يشكّلونه كيفما يشاؤون. فساعةً يؤنّبوه. وساعةً يبصقون في وجهه. وساعةً يجلدونه. وساعةً يقتلوه (كذا)" (٥٩٤).

* وعلى قـول المسيـح في متّى: "إنِ اتّفق إثـنان منكم على الأرض في أيّ شيء يطلبـانه، فإنّه يـكون لهمـا من قِبَل إلـهي" (١٨/ ١٩)، يعلّق السيّـد زكي: "مرّةً أخـرى، نهدي هذه الجملة للكنيسـة ولكلّ مَن في عَينَيه قـذىً، لأنّها تنفي الألوهيّـةَ عن عيـسى. فلو كان عـيسـى هو الخالق الرازق، كـما يعـتقـد بعضُ المضلّلين، فلماذا قال: "مِن قِبَل إلهي"، ولم يقل مِن قِبَلي!؟" (٦٢١).

* وعلى قول واحدٍ للمـسيح: "أيّها المعلّم الصالح.. فـقال له: لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحـدٌ صـالحاً إلاّ واحد وهو اللّه" (متّـى ١٩/ ١٦-٧)، يعلّق السيّد زكي: "مرّة أخرى نقدّم هذا الـنّصَّ الصريحَ والواضـحَ هديّةً للبابوات والكرادلة والأساقفة، وإلى جميع شاؤوليّي اليوم، الذين يظنّون أنّهم أتباع المسيح، وما هم إلاّ أتباع شاؤول والمجمّعات الكنسيّة الوثنيّة القسطنطينيّة. كما نقدّم هذا النّصَّ الصـريحَ إلى جـميع أفـراد النّصـارى الذين يشـعرون بالـضيـاع وسط هذه الأناجيل والمعـتقـدات المتناقضـة، وأصبحـوا لا يعرفون مـاذا يصدّقـون وماذا يكذّبون.

" مـاذا تقول كنائسـهم في نصِّ المسـيح هذا الواضـح كـوضـوح الشـمس، والذي هو من أعظم الأدلّة التي تنسف.. المعتقدَ الذي ألّهـوا فيه عيسى، وجعلوه مساوياً للّه الواحد الأحد!؟ إنّ عيسى هنا لا يشير إلاّ لإله واحد، ويقول: لا إله إلاّ اللّه، ويقطع بإيمانه باللّه الواحد "ليس أحدٌ صالح إلاّ واحد وهو اللّه".. حتّى لو كان المسيح إلـهاً مع اللّه، كما يزعمـون، لما نفى الصلاحَ عن نفسـه، وحصره في واحد الذي هو اللّه... لكنّه نفاه كلّيّاً عـن نفسه.. وأثبتَ، بما لا يتطرّق إليه الشكُّ، أنّه مجـرّد عبـد مؤمن، ومؤمن باللّه الواحـد"... وإنّي لأستـغرب للكنيـسة التي جـعلت من عـيسى إلهـاً كـيف نسـيت أن تشطب هذا النّصَّ من أناجـيلهـا!؟" (٦٣٣-٦٣٤).

* وعلى قـول المسيح في مـتّى (٢٠/ ٢٠-٢٣): "أمّـا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلاّ الذين أعـدّ لهم من إلهي"، يعلّق السيّد زكي: قول المسيح هذا، "نقدّمه هديّة للكنيسة التي جعلت المسيح هو اللّه نفسه، وبادئ الأشيـاء كلّها وعلّتها. بـينما نرى هنا أنّ إلهها الـذي فبرَكَتْـه لا يقدر أن يُجلسَ اثنين من أحبّ تلاميذه إليـه عن يمينه ويساره!؟ باللّه ألا ينسف هذا عند كلّ ذي عقل سليم كلّ المعتقدات الشاؤوليّة الكنسيّة التي ألّهت عيسى؟" (٦٥٥).

* وعلى باعة الهـيكل في متّى (٢١/١٢-١٣)، يعلّق السـيّد زكي: "إنّه لمن الغريب أن يصنع عيسى سوطاً يطرد به البـاعةَ والصيارفة، لأنّه، إذا كان هواللّه، كما تزعم الكنيسـة، فيكفي أن يقول للشيء كن فيكون، كأن يقول للباعـة اختفوا فيختفوا" (٦٧٤).

* وعودة إلى شجرة التّين وجوع يسـوع (متّى ٢١؟١٨-٢٢)، يعلّق السيّد زكي: "قولهم: جاع"، إنّ اللّه الحقيقي.. لا يجوع.

"وقولهم: لعلّه يجد فيها شيـئاً"، إنّ اللّه الحقيقي بكلّ شيء عليم.. فلو كان عـيسى إلهـاً لعرف سلفـا أنّه ليس فـيهـا إلاّ ورقاً. وقـولهم "لأنّه لم يكن وقت التين"، إنّ اللّه الحقيقي هو خالق الفـصول الأربعة.. وليس من المعقول أن يكون عيـسى إلهاً، ولا يعـرف الفصـول، وأنّ الوقت ليس وقت التين، وإلاّ لعـرف أنّها بغير ثمر قبل أن يصلها.

"وقـولهم: "تعجّـب التلامـيـذ"، إن صحّ هذا فهـذا دليل على أنّهم كـانوا ينظرون إليه كإنسان، لأنّه لو كان في نظرهم إله (كذا) لما تعجّبوا.

"وقولهم: "لو كان لكم إيمان"، لو كان عيسى إلهاً لقال لهم: "لو كنتم آلهة مثلي"، أو "أبناء آلهة" لاستطعتم أن تفعلوا مثلي..." (٦٧٦-٦٧٧).

* وعلى قول المسيح (متّى ٢٤/٣٦) عن موعد الساعة الأخيرة ونهاية العالم وجهله لهما، يعلّق السيّد زكي: "يقرّ (المسيح)، أوّلا، بأنّ له إلهاً واحداً لا يعلم الغيب إلاّ هو. وثانياً هو يتكلّم عن شيء يجهله. وهذا إقرار منه أنّه ناقصُ علْمٍ.. ونحن، مرّةً أخرى، نقدّم كلامَه هذا هديّة للكنيسة بجميع أطقمها التي ما زالت تدجّل على طوائفها، وتزعم لهم أنّ عيسى هو الله وهو الديّان. إذ كيف يكون هو الدّيّان ولا يعرف ذلك اليوم، ولا تلك الساعة. فهل يجتمع العلم والجهل في الإله، بينما أي قاضٍ صغيرٍ، في محكمة الصلح، يعرف اليومَ والساعةَ التي سينظر فيها القضيّة.." (٧٢٧-٧٢٨).

* وعلى مؤامرة اليهود على قتل المسيح في دار قيافا رئيس الكهنة (متّى ٢٦/٣-٥)، يعلّق السيّد زكي: ".. إلى كلّ مَن يعتقد أنّه مسيحي، ولا يزال مضلّلاً بأقوال الكنيسة، بأنّ عيسى إلهاً، نقول: إنْ كان عيسى هو الله، فهل يُعقل أنْ يُصدرَ قيافا، وهو الإنسانُ المخلوق، حكمَه بالإعدام على الله الخالق!؟ إنّ هذا تخريفٌ. لا يقول به إنسان عنده ذرّةٌ عقل" (٧٤٦).

* وعلى قول متّى (٢٦/٢٦) ومرقص ولوقا: "أخذَ الكأسَ وشكرَ"، يعلّق السيّد زكي: "وهذه الجملة نقدّمها هديّةً للقساوسة الذين جعلوا منه إلهاً، ولا يزالون على ضلالهم. لأنّنا نسألهم: "شكر" مَن!؟ لا شكّ أنّه شكر الله رازقَ الخبز والطعام. وهذا ينفي الألوهيّةَ عنه. لأنّه لو كان إلهاً، فالإله لا يَشكرُ الإله.." (٧٦٨).

* وعلى قول المسيح في متّى (٢٦/ ٣٠): "لا أشربُ بعدُ من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربُه في ملكوت الله"، يعلّقُ السيّد زكي: هنا "دليل قاطع

على أنّ المسيح ليس إلاّ بشـراً. وليس فيه ذرّة من الألوهيّـة، لا في الدنيا ولا في الآخرة. لماذا؟.. لأنّ الإله لا يأكل ولا يشرب" (٧٧٣).

* وعلى ما قاله يسوع في جِثْسِـماني: "نفسي حزينة جدًا حتّى الموت. الآن نفسي قد اضطربت" (متّى ٢٦/٣٨)، يعلّق السيّد زكي: "لو كان عـيسى إلهاً.. لما قال نفسي حـزينة حتى الموت، أو نفسي قد اضطربت. فاللّه الحقـيقي لا يقول هذا.. إذ لو كان إلهاً واضطرب، كـما يزعمون، لاضطرب معـه الكونُ كلّه بنجومه وأفلاكه وأرضه وسمائه. لكنّ شـيئاً من هذا لم يحدث. لماذا؟ لأنّه ببساطة ليس إله (كذا)" (٧٨٨).

* وعلى طلب يسـوع من اللّه: "أيّها الأب! نجّني من هـذه الساعة" (متّى ٢٦/ ٣٩أ)، يعلّق السـيّـد زكي: "ها هو عيسى، بعظمـة لسـانه، يطلب من اللّه الحقـيقي أن ينجّيه. فـأين هذا من زعم الكنيسة أنّه الأقنوم الثـاني في الألوهيّة المساوي للّه!..لو كان هو اللّه، أو مساوٍ للّه، كما تزعم الكنيسة، لاستطاع أن ينقذ نفسَه بنفسِه" (٧٨٨).

* وعلى قـول يسـوع: "ولكن، لـيس مـا أريدُ، بل كـمـا تـريد أنت" (٢٦/ ٣٩ب)، يعلّق السـيّد زكي: "نحن هنا أمـام إرادتَين مختلفـتَين: إرادة اللّه وإرادة المسيـح. وقد فرّق المسـيحُ بينهمـا بكلّ وضوح. وجـعل إرادتَه تستـسلم لإرادة اللّه. ولو كان المسيح هو اللّه، كما تزعم الكنيسة، لكانت إرادتُه واحدة من نفس إرادة اللّه.. فما هذا الخبص الذي تزعم فيـه الكنيسة أنّ المسيح هو اللّه في الوقت الذي تقـول أناجـيلُـهم إنّه يقف ها هنا ذليـلاً مـتـواضـعـاً أمـام اللّه" (٧٨٨-٧٨٩).

* وعلى قول متّى عن يسوع : "وخرّ على وجهه" (٢٦/ ٣٩أ)، وقول مرقص: "خرّ على الأرض" (١٤/ ٣٥)، وقول لوقا: "جثا على ركبتيه" (٢٢/ ٤١)، يعلّق السيّد زكي: "خرّ على الإرض، وخرّ على وجهه، تعبيران خشنان.. أما لوقا فلطّفه قليلاً.. وهذا دليل آخر نسوقه لمن لا يزالون مضلّلين، يؤكّد لنا أن عيسى كان عبداً للّه، وليس اللّه، ولا إله مع اللّه" (٧٨٩-٧٩٠).

* وعلى قول لوقا: "وظهر ملاك في السماء يقوّيه. وإذ كان في جهاد، كان يصلّي بأشدّ الحاجة. وصار عرقُه كقطرات دمٍ نازلةٍ على الأرض" (٢٢/ ٤٣-٤٤)، يعلّق السيّد زكي: "..من حقّنا أن نسأل: تقوية الإله هذه كانت لمن؟ ألعيسى الإنسان الكامل والإله الكامل؟ أم لعيسى الإله؟ أم لعيسى ابن مريم الإنسان؟.. إن كانت التقوية لعيسى الإله الكامل فهذا هراء، ويدعو إلى السخريّة، لأنّ الإله الكامل لا يحتاج لأحد من خلقه ليقوّيه. أمّا إنْ كانت التقوية لعيسى الإنسان، فسؤالنا عندها كيف انفكّ عن اللاّهوت الذي زعمت الكنيسة أنّه التحم به!.. ثمّ.. هل الإله يعرق!! إنّ الإله الذي يعرق، أو تخرجُ منه إفرازات، يا سادة، ليس بإله" (٧٩١-٧٩٢).

* ثم يجمل السيّد زكي تعليقه، ويقول: "إلى كلّ مَن يبحث عن الحقيقة، نقول: ها هو المسيح أمامكم، حسب ما جاء في هذه الصلاة، يكذّب مزاعم الكنيسة في تأليهه، ويسجد للّه الحقيقي، خاضعاً ذليلاً، يطلب النّجدةَ والنّجاةَ من اللّه، حسب ما جاء في الأناجيل التي تعتمدها الكنيسة نفسُها. وليس من المعقول، بعد هذا، أن يكون، عند كلّ ذي عقل سليم، إلهٌ عابدٌ على الأرض، وإلهٌ معبودٌ في السماء. ويا ليتهم اكتفوا بهذين الإلهين فقط، إنّما اخترعت الكنيسةُ لهم إلهاً ثالثاً هو روح القدس، الملاكَ جبريل عند المسلمين، كما أسلفنا، وشاؤول

اخـترع لهـم إلهاً رابعـاً، لم يفطنوا لـه حتّى اليـوم، دسّـه لهم في الرسـالة إلى العبـرانيّين (هو ملكيصادق) (٧/٣). ولو فطـنوا له لسمّوا إلهـهم رابوعا وليس ثالوثا" (٧٩٠-٧٩١).

* وعلى ما روى كـتبَةُ الأناجـيل بأنّ المسيح صُلب، وهو إله، يعلّق السـيدّ زكي: "من حقّنا أن نسـألَ جميع الشاؤوليّـين: إذا كان المصلوب هو اللّه.. فكيف يقـول: في يديكَ أستـودع روحي!؟. إنّ الإله الذي يستـودع روحَه عند إلـه آخر ليس بإله. بينما اللّه الذي يسـتردّ جميعَ الأرواح، بعـد موت أصحابهـا، ويودعها عنده، هو الإله الأزلي الحقيقي" (٨٥٢).

* وعلى قـول مـرقص: "وجلس عن يمين اللّه" (١٦/١٩)، يعلّق السّـيـد زكي: هذا "القول.. يثير تساؤلاً: إذا كـانت السماء كرسيَّ اللّه، والأرضَ موطئَ قدمَـيه، فـأين جلس المسيح!؟ خـارجَ السماء والأرض!؟.. والسـؤال الذي يطرح نفسَه: كيف يجلسُ المسيحُ عن يمين اللّه، والشاؤوليّون الكنسيّون يقولون إنّه هو اللّه!؟ أليسَ هذا دليلاً آخَر على استحالة تطبيق العقائد الكنسيّة على عيسى، وأنّ اللّه ليس عيسى، ولا يمكن أن يكون عيسى هو اللّه!؟" (٨٨١).

* وعلى ما جاء في إنجيل يوحنّا (١/١٨): "اللّهُ لم يره أحد"، يعلّق السيّد زكي: "وهذه حقيقة يعرفها الجميع. ولكن، إذا كان اللّه لم يره أحد، فكيف جعلوا من عيسى إله (كذا)، وعيسى رآه كلّ مَن عاصره! هذا جعلَ الصفحةَ الأولى من الإنجيل خبيصة غير متماسكة مع بعضها...

ولو كان عيسى حقّاً هو اللّه لما ميّز نفسَه عن اللّه بقوله: "إلهي أعظم منّي" (يوحنا ١٤/٢٨)؛ ولما قال عن اللّه: "لم تسمعوا صوتَه قط، ولا أبصرتم هيأته"

(٥/٣٧). "وأكثر من ذلك، لما قال عن نفسه أنّه نبيّ "ليس نبيّ بلا كرامة إلاّ في وطنه" (متّى ٢٣/٥٧).. إذ لم يسمع أحدٌ بإنّ الإله كـان في الأساس نبيّاً. وكان الأولى بالكنيسـة أن تسحب الأناجيل الثلاثة الأولى المتـداولة في الأسواق التي ذكرت أنّ عيسى كـان نبيّاً، أن تغلق ورشة النجارة التي كان يعمل فـيها قبل أن تُنزل إنجيلَهـا الرابع إلى السوق التي جـعلت من عيسى فـيه إلهـاً يسبق الخلق كلّهم.." (٨٩٢، ٨٩٤-٨٩٥).

* وتأليه عيسى، في نظر السيّـد زكي، جاء من شاؤول اليهودي الفرّيسيّ المتـعصّب. وذلك، لكي يُبـقي الأممَ في ضلالهم، وتبـقى الجنّةُ خالـصةً لليـهود وحدَهم. ووقعت الكنيـسة، التي أنشأها شاؤول، في ما خطّط لهـا اليهود. فكانت المجامع الكنسـيّة، البـابوات والكرادلة والأساقفـة والقساوسـة، كلّهم ليدعـموا مخططَ شاؤول. وأهم مجـمع عُقد لهذه الغاية كان مجمع نيـقية سنة ٣٢٥. قال فيه السيّد زكي: "والقساوسة الذين اجتمـعوا في نيقية، وقرّروا تأليه عيسى قد غشّوا الأمّة المسيحيّة قاطبة، بجهلهم الفاضح، أو نيّتهم الخبيثة. وقبل ذلك غشّوا أنفسَهم" (٢٥٧).

* ويتسـاءل السيّد زكي: كـيف يقبل المسيـحيّون اليـوم بمقولة التجـسّد الإلهي! كـيف هو هذا الالـتـحـام بين اللّه والجـسـد البـشـري! "للأسف! إنّ الفاتيـكان استعـمل لفظة Logos بمعنى الكلمـة لتنطبق على عيـسى.. ولا يزال يردّدها جمـيعُ نصارى اليوم ودون إعـمال فكر أو تدبير.. كـيفَ يغيبُ عن ذهن الفاتيكان المبجّل أنّ اللّه لا يتجسّد؛ لأنّ الجسـد البشري لا يحتمل الإلوهة.. كما وإنّ الإله المتجسّد ليس بإله، لسـبب بسيط هو أنّه إنْ حلّ في مكان يشغله، ولكن يخلو منه بقيّة العالم.. ثمّ إنّ اللّه المتجسّـد، أين ترك ألوهيّته عندما تجسّد؟ ومَن

الذي ائتمنه عليها طيلة ثلاث وثلاثين عاماً؟" (٤٦).

* والأغرب من هذه كلّه، في عمليّة التجسّد، أنّ الحسابات الفلكيّة لم تلعب دورَها، والكنيسة لم تعرْها ما تستحقّ. "فالمسيح يعترف بأنّه، وهو على الأرض، له إله في السموات، أي يبعدُ عنه بلايين السنين الضوئيّة. لكنّ الكنيسةَ القديمة، بعبقريّة قساوستها من الإسكافي والحافي والجاهلي والانتهازي، اختزلوا المسافات الفضائيّة، ولَحَمُوا اللّهَ الذي ليس كمثله شيء مع عيسى الإنسان، بدمه، وعظمه، ولحمه، وشحمه... ألا يوجد عاقل واحد بين الشاؤوليّين الكنسيّين يسأل قساوسَتَه كيف اختزلوا تلك المسافات الفلكيّة!؟ وما هي مادّةُ اللّحام التي استعملوها في لحامهم حتّى أصبحا شخصاً واحداً، أو كيف التحمَ الأزلي بالفاني، والكامل بالناقص، والخالق بالمخلوق، أيَ الإله بالطِّيْن والطّين بالإله، ومن كان الشاهد على ذلك الالتحام!؟

".. حقّاً إنّه لسعيد مَن يطّلع على هذا الدين، ويبقى له شيء من عقله.. إنّ أصحابَها (أي أصحاب هذه الديانة) يهجرونها يوميّاً، ويفرّون منها، وينغمسون في المادّة والجنس والجريمة والسرقات والمخدّرات.. مخلّفين الكنيسة ومعتقداتها المهترئة وراء ظهورهم.." (٥٢٧).

وباختصار الكلام، "إنّ جعل عيسى الإله المتجسّد.. كان أكبر خدعة في تاريخ الأديان، قام بها شاؤول والمجمّعات الكنسيّة القديمة لجَرِّ البشريّة نحو الوثنيّة، ومنها إلى جهنّم، لتبقى الجنّة لليهود" (٣٨٢)... وقد لا يكون لأحد خلاص إلاّ باعتناق ديانةٍ لا يزال التوحيدُ فيها قائماً، خالصاً من كلّ شائبة، هي الديانة الإسلاميّة، بدون شكّ. إنّها "لا تتهاون مطلقاً في التجديف على اللّه.

وجزاءُ مَن يفعلُ ذلك هو الإعدامُ في الدنيا، والنارُ الأبديّةُ في الآخرة" (٥٢٦).

***

نقول:

هذه عيّنات من أقوال السيّد أحمد زكي وتعاليقه.. فهو، في كلّ صفحة، يتعرّض لموضوع ألوهيّة المسيح، ويرفضها رفضاً مطبقاً. وحجّته واضحة، يستلّها من مراجع ثلاثة: العقل والإنجيل، والقرآن.

العقل يرفضُ أن يكون في الكون أكثر من إله كلّيّ الكمال والقدرة والمعرفة... وهذا منطق صحيح وسليم.

والإنجيل، في نظر السيّد أحمد زكي، واضحٌ في إظهار إنسانيّةِ عيسى، وطاعته للّه...

والقرآن يشدّد: "لو كان فيهما آلهةٌ إلاّ اللّهُ لَفَسَدَتَا" (سورة الأنبياء ٢١/٢٢)، ويؤكّد: "إنّ اللّه لا يغفر أن يُشرَكَ به" (٤/٤٨، ١١٦).

وردُّنا على السيّد زكي لن يكون دفاعاً عن ألوهيّة يسوع المسيح. فهذا موقف تخلّت عنه الكنيسة في مختلف مدارسها اللاّهوتيّة المعاصرة. ولكن، لا يخفى على أحد بأنّ آباء عديدين في الكنيسة ناضلوا، قديما، وجاهدوا من أجل الدفاع عن ألوهيّة المسيح، حتّى أطلقَ عليهم إسمَ "الآباء المدافعين"، أي الـ Apologistes. أمّا اليوم فلا أحد مضطرٌ إلى أن يدافعَ عن هذه العقيدة الإيمانيّة، أو عن أيّ عقيدة إيمانيّة أخرى. وذلك للأسباب التالية:

أوّلاً– لأنّ اللّه هو نفسُه يدافعُ عن نفسِه وعن المؤمنين به. والمبدأ القائل بأنْ "لا يتكلّم على اللّه إلاّ اللّه" مبدأ صحيح. وليس على الإنسان، بالتالي، إلاّ أن يقبل ويخضع، ويعمل أعمال برٍّ وتوبة وصلاة دائمة ليفتحَ له اللّه ويُنيره..

ثانياً– لأنّ الإنسانَ لا يكون مسيحيّاً مؤمناً ملتزماً لمجرّد قناعةٍ عقليّةٍ عنده. بل هو كذلك بسبب اختباره الروحي الشخصيّ العميق لقضايا إيمانه، وبسبب اختباره اللّهَ في حياته الشخصيّة، وهي نعمة من اللّه مجّانيّة.

ثالثاً– لأنّ موضوعات الإيمان كلّها هي خارج المدرَكِ والمعقول. وإلاّ فالإيمانُ بها، إن كانت تخضع للعقل، لا يُجدي نفعاً. واللّهُ الذي يقتنعُ به عقلُنا هو صنيعة هذا العقل، خاضع لهذا العقل. وبالتالي لا يكون إلهاً.

هذا يعني أنّ المسيحيّ هو مسيحيٌّ لأنّ يسوعَ المسيح هو هو ربُّه وإلهُه ومخلّصُه ومرتجاه. يختبرُه في حياته الشخصيّة الخاصّة والحميمة، ويتحمّل كلَّ شيء من أجله. ولو كان المسيح نبيّاً فقط لما استحقَّ أن يسيرَ وراءه، أو أن يضحّي من أجله، إنسانٌ واحد. لأنّ الإنسان لا يُسلِّمُ ما به تقوم إنسانيّتُه إلاّ للّه نفسِه. ولا يستحقّ ذلك إلاّ اللّهُ نفسُه.

إنّ موضوعاتُ الإيمان المسيحي خاضعة فقط للاختبار الشخصي والحياتي العميق، وللالتزام بها، وعيشها... فيها يعملُ الرّوحُ باستمرار. هذا الرّوح الذي يغيّر ما في الإنسان حتّى جذوره. ولولا هذا الروح لما كان لإيمان المسيحيّين معنىً. هذا الرّوح هو الذي يضفي على أعمال الإنسان قداسةً. ولولاه لما كانت قداسة. وهو الذي يُوحي مقاصدَ اللّه. ولولاه لما كان وحيٌ ولا نبوّة...

ثمّ نودّ أنْ نطمئن السيّد زكي بما يلي:

١. إنّ الفاتيكان لم "يخترع" لفظة Logos. بل أخذها من الإنجيل، ومن التقليد الكنسي الموروث، ومن آباء الكنيسة، والمجامع المسكونيّة والمحليّة، ومن نصوص عديدة.. وإنْ بتأثيرٍ من الفلسفات القديمة...

٢. وعلى سؤال السيّد زكي: "كيف يغيب عن ذهن الفاتيكان أنّ اللّهَ لا يتجسّد"، يجيب الفاتيكانُ نفسُه: "إنّ اللّهَ قد تجسّد". والتجسّد عقيدة مسيحيّة أساسيّة. وليس، في الكنيسة، من يشكّ فيها إلاّ الذين لم يُعطَ لهم، ولم يُلهمهم الرّوح. وللسيّد زكي نقول: إنّ التجسّد الذي لا يؤمن به يجب ألاّ يعنيه أبداً، وبالتالي ليس له أن يحكمَ عليه، لا سلباً ولا إيجاباً، لأنّه نعمة إيمانيّة من الرّوح.

٣. ونقول للسيّد زكي، الذي يخاف على اللّه الذي قد يفقد ألوهيّتَه بالتجسّد، ويخاف على الإنسان الذي قد لا يسعه استيعاب اللّه، وعلى العالم الذي قد يرعى فيه الشيطان إنْ عرفَ أنّ اللّهَ حصر نفسَه في مكان ما منه.. نقول له: هذا شأنُ اللّه، لا شأنه. فاللّه، لقدرته العجيبة – ويعترف السيّد زكي بهذه القدرة العجيبة– يستطيع ما يشاء. فإنْ شاء التجسّد كان ما شاء. وإنْ لم يشأ كان ما لا يشاء. المسيحيّون يرون اللّهَ يشاء. والسيّد زكي يرى اللّه لا يشاء.

٤. ونقول للسيّد زكي: إنّ صعوبة القول بتجسّد اللّه ليست أعظم من صعوبة القول بوحدانيّته وتعاليّته وبُعدِه الذي فيه لا نجد له أيّة علاقة بينه وبين العالم. إنّه إلهٌ لا يُقيم صلةً، ولا شراكةً، ولا محبّةً، ولا عنايةً، ولا شيء يحتاجه الإنسانُ من اللّه الذي خلقه ورماه في هذا الكون اللاّمتناهي. فمع التركيز على وحدانيّة اللّه وتعاليّته، دون القول بالتّجسّد، يُخشى على الإنسان تبريرُ كفره.

٥. ونقول أيضاً: إنْ كان التجسّدُ نقصاً في الله، كما يقول السيّد زكي، فإنّ المسيحيّين، في الحقيقة، يرفضونَ إلهاً لا يتّصف إلاّ بأنّه إله، جبّارٌ، قديرٌ، مهيمنٌ، قابعٌ وراء اللاّمحدود واللاّمتناهي.. ويُخشى على الله الذي هو كلُّ شيء أن يصبح كلا شيء. فبسبب تعاليّته وصمدانيّته، يُصبحُ معه "كلّ شيء" و"لا شيء" سيّان. وبالتالي، يُصبحُ معه الإيمان والكفر سواء.

٦. ثم نذكّر السيّد زكي: ألا يعلم أنّ المسلمين، في فئاتهم وشيعهم جميعها، حاولوا، هم أيضاً، وبلا وعيهم، تجسيدَ الله! وإلاّ ماذا يعني قولُهم بأنّ القرآنَ هو "كلامُ الله"! أليس هذا قولاً، ولكن بأسلوب آخر، بتجسيد الله بين دفّتَي كتاب، بدل أن يكونَ تجسيداً في شخصٍ بشريٍّ يولد ويعيش ويعلّم ويتألّم ويحزن لحزن مَن يتجسّد من أجلهم!!! فالقرآن، في حقيقته، ليس هو إلاّ تجسيدا لله الذي لا يُطاقُ في بعده وصمدانيّته وتعاليّته...

٧. ولا يلومنا السيّد زكي إنْ ذكّرناه بالشيعة على تعدّد فِرقِها. تقول الشيعة بركن سادس للإسلام، هو "الإمامة". وما الإمامُ، في ما يصفونه، إلاّ قَبسٌ من الله على الأرض. فالإمامُ، في رأيهم، معصومٌ من كلّ خطأ وخطيئة. هو الإنسانُ الكامل. عنده علوم الأرض كلّها. وفيه يلتقي المؤمنون. وله الحقّ وحدَه في تأويل آيات القرآن، وفي الاجتهاد في الشريعة. وله أن يحفظَ الوحيَ من التحريف والتزوير.. بل، إذا كانت مهمّةُ النّبيّ إنزالَ الوحي في فترة زمنيّة محدّدة، فمهمّة الإمام أعظم، وهي الحفاظ على هذا الوحي مدى الدهر.. أليسَ هذا تجسيدٌ ما لله الذي لا يُطاقُ لبعده وصمدانيّته وتعاليّته!!!

٨. ونُلفتُ نظرَ السيّد أحمد زكي إلى أنّ أدياناً ومذاهبَ استقلّت عن

الإسلام، بسببِ قولها بتجسّد اللّه في بعض البشر. مثل الدروز الموحّدين الذين قالوا بظهور اللّه اثنتين وسبعين مرّة، آخرها كان الظهور الإلهي في الخليفة الفاطمي، الحاكم بأمر اللّه. وفي معتقدهم أنّ اللّه لا يُعرف، ولا يكون عادلاً، أو محبّاً، أو ديّاناً، إنْ لم يكشفْ للعالم عن نفسه. وذلك بظهوره بينهم، وبمباشرته لهم حيث هم.. وبهذا سمّي الدروز "بني معروف"، من المعرفة، أي هم الذين عرفوا اللاّهوت ظاهراً متجلّياً في النّاسوت... ولكأنّ هؤلاء القوم لا يُطيقون اللّهَ بعيداً عنهم إلى هذا الحدّ من البعد. فلذلك قالوا بقربه منّا، ومؤانسته لنا، ومعرفتنا له، وعدله معنا، والقول بتوحيده الذي لا ينفصل عن القول بتجلّيه وظهوره. وفي رأيهم أيضاً أنّ إلهاً قابعاً فوق السماوات السبع ليس بإله. بل هو "مسخ". ونحنُ نجهلُ مثل هذا الإله، كما نجهلُ، بحسب تعبير درزي، "ما وراء هذا الجدار الذي بقربنا.

٩. ونلفتُ نظرَ السيّد زكي أيضاً إلى دينٍ آخَرَ انشقّ عن الإسلام واستقلّ، وهو دين العلويّين النّصيريّين. فهو أيضاً يعتبرُ اللّهَ متجلّياً في شخص علي بن أبي طالب. وهو التجلّي السابع له في الخليقة. وقد ظهر اللّهُ في علي، بحسب قول العلويّين، ليعرفَه الناس، ويأنسوا به، ويحبّوه، ويعرّفهم بنفسه... وما قولُ هؤلاء القوم بهذا النّوع من الكشف والتجلّي الإلهيّيَن إلاّ نوع آخر من "التجسّد الإلهي بين البشر. هذا التجسّد الذي يُقيمُ بين اللّه والعالم علاقة محبّة ووصال.

١٠. فلكأنّ التجسّدَ، في ما ثبت لنا من التاريخ، حاجةٌ إنسانيّة ماسّة. هذا في الوقت الذي ليس للّه الواحد، الأحد، الصمد، المتعالي، أيُّ حاجة له خارجةً عنه... عند المسيحيّين، إلهٌ واحدٌ أحدٌ صمدٌ بعيدٌ متعالٍ، هو إلهٌ حقيقيّ بدون شكّ، ولكن في ذاته، وبالنسبة إلى نفسه؛ أمّا بالنسبة إلى البشر فهو حقّاً إلهٌ معزولٌ

في دائرته الألهيّة. ولن يُصبحَ إلهاً محبّاً، وأباً عطوفاً، إلاّ عندما يجده الإنسانُ معه، ويشترك بحياته؛ وبكلمة عندما يُصبح اسمُه وفعله "عمّانوئيل المترجم إلهنا-معنا": فـ" ما رأيناه وسمعناه، به نبشّرُكم أنتم أيضاً، لتكونَ لكم أنتم أيضاً شِرْكةٌ معنا، وشِرْكتُنا نحن إنّما هي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١يوحنا ١/٣).

١١. يعلّق شرّاح على الآية المذكورة بقولهم: الغاية منها: "اتّحاد المسيحيّين مَبنيّ على اتّحاد الآب بالمسيح، والمسيح برسله الأوّلين، والرّسل بجميع المؤمنين، ثم المؤمنين بعضهم ببعض أجمعين. هذا جواب الرسل على الغنوسيّين الذين يدّعون شركة مباشرة مع اللّه، بالمعرفة المجرّدة، بمعزلٍ عن سرٍّ تجسّد ابن اللّه وفدائه، وبمعزلٍ عن شهود العِيان الأوائل" (تفسير أونجليون).

١٢. وفي النتيجة، إنّ ما ذكّرْنا به السيّدَ زكي من نوعٍ من التّجسّد في القرآن، ومختلف فروع الشيعة، والدرزيّة، العلويّة، وغيرها... ليس برهاناً على عقيدة المسيحيّين بالتجسّد الإله، وبألوهيّة المسيح، بقدر ما هو قبسٌ من نورٍ قد يضيء سبيلنا في قبول هذه العقيدة الإيمانيّة الأساسيّة... أمّا كيف تمّ ذلك، وكيف جرت العلاقة بين الطبيعتَين الإلهيّة والإنسانيّة، وكيف تصرّفَ يسوع كإلهٍ وإنسانٍ، فهذا مدار بحث آخر. يكفينا من صحّة هذه العقيدة الآن إقتناعنا بأنّ اللّهَ تجسّد من أجلنا، وأمسى إنسانا مثلنا، لكي يُشركَنا بإلوهيّته، ويخلّصنا ممّا نحن فيه من قيود الشرّ والخطيئة والاستعباد لميول طبيعتنا.

الفصل التاسع

الرّوح القدس ورأي أحمد زكي

الكلام على الرّوح القدس، عند السيّد أحمد زكي، يوازي بصعوبته الكلامَ على الثالوث وعلى ألوهيّة المسيح. فهو ينتقد بشدّة هذه المقولة المسيحيّة التي تتكرّر في الأناجيل والرسائل والعهد الجديد كافّة، كما في تقليد الكنيسة، وتعاليم الآباء الأوّلين.. والمسيحيّون، في حياتهم الدّينيّة، يعيشون في أكناف الروح القدس. فهم به يصبحون مسيحيّين، وبه ينالون الأسرارَ كلَّها، وبه ينعمون في حياتهم العاديّة.. وإذا ما طار الروح القدس من معتقد المسيحيّين، فلا شيء عندهم، بدونه، ينفع، ولا شيء يحلّ محلّه: لا قداسة لهم بدونه، ولا وحي، ولا كتب مقدّسة، ولا قيامة، ولا خلاص، ولا سعادة، ولا كنيسة، ولا مقدّسات...

ولئن طعن السيّد أحمد زكي بالروح القدس فهو يطعن، في الحقيقة، بالمعتقد المسيحي في الصميم. ولئن سقط الروحُ القدس من العقيدة المسيحيّة، انهارت المسيحيّة من أساسها. بإنكارنا للروح القدس، يُقضَى على المسيحيّة وينتهي كلّ شيء.. أمّا إذا بقي اعتقادُنا بالروح القدس صامداً، وكان عملُه في الخليقة مستمراً وفاعلاً، فما على السيّد زكي، والحالةُ هذه، إلاّ أن يفكّرَ جدّياً بمسيرته كلّها، ويصلّي لكي يكونَ له من الروح نعمةٌ وحياة.. ولكن، لنعرض الآنَ مطاعنَ السيّد أحمد زكي بالرّوح القدس:

* فتعليقاً على ما جاء في متّى في عماد يسوع، أنّه "رأى روحَ اللّه نازلاً مثل حمامة"، (متّى ٣/١٦)، يقول السيّد زكي:

١. "كيف عرف الملهمون أنّ تلك الحمامة بالذّات، دون غيرها، لو كان زعمهم حقّاً، كانت روح اللّه؟! الأنّها حطّت عليه؟! أم لأنّها هي قالت لهم ذلك!!؟ من حسن حظّ تلك الحمامة أنّه لم يكن وقتّها صيّاد يتصيّد. كما لم يخبرنا الكتبة الملهمون أيّ نوع من الحمام كانت تلك الحمامة. فالحمام أنواع. كما لم يخبرونا كم كان حجمها، وما كان لونها، وماذا جرى لها بعد أن حطّت عليه، ولا أين استقرّت بالتحديد، على كتفَيه مثلاً، أي كتف، أم على رأسه. أم اندمجت ودخلت فيه؟ أم عادت إلى السماء!!؟ لأنّ كلّ هذه التفاصيل، وإن بدت تافهة إلاّ أنّها مهمّة لأنهم يتحدّثون عن إلههم. والمفروض أن لا يتركوا أي شاردة أو واردة، إلاّ ويذكرونها.

٢. "إذا كانت هذه الحمامة هي روح اللّه، كما زعم كتبةُ هذه الأناجيل، فهلاّ فسّر لنا أحد من قساوسة اليوم كيف بقي اللّهُ بدون روح؟! ولو اصطادها صيّاد، ماذا يحصل لإله الكون! ثم كيف يرضى النصارى بأن تكون روح إلههم حمامة؟ أليس هذا ضلالاً وإضلالاً؟! أين ذهب رشدُهم؟.. حتما، لا بدّ أنّ غالبيتهم لا تحمل هذه الرواية محمل الجدّ. وإلاّ لطالبوا بتقديس كلّ الحمام وحرّموا اصطياده أو أكله، كما يفعل الهندوس مع البقرة!!

٣. ".. أناسٌ سُذّج كتبوا لأناس أكثر منهم سذاجة.. إذ هل يمكن للروح أن يراها إنسان؟!.. فأنت، مثلاً، لا تستطيع أن ترى روحي، كما أنّي لا أستطيع أن أرى روحَك. فما بالك إذا كانت الروحُ روحَ اللّه؟!. ويلٌ لهم كيف أخذوا روحَ اللّه

وحوّلـوها من روحٍ إلى جسم، على شكل حـمامـة، وتركوا اللّهَ بدون روح، فـقط لتحطَّ الحمامة على إلههم "الآخر" الذي نصّبوه إلهاً رغماً عنه.

٤. ثمّ "فمـا بالك، عزيزي الـقارئ، إن كانت الـروحُ روحَ القدس، أو روحَ اللّه. أفبعد أن قالت كتبُهم إنّ اللّه لا يُرى يأتي هؤلاء الكتبة الملهمون ويقولون إنّهم رأوا روحَ اللّه على شكل حـمـامـة؟! وأنّ اللّه مكثَ بدون روح!؟ أتخـريف هذا أم هذيان!؟؟

٥. ".. ثمّ يا ليتَ كتبـة الأناجيل العباقرة شرحوا لنا كـيف انفتحت له أبواب السمـاء في الوقت الذي هي فضـاء لا نهائي، وكـيف عادت وأغلقت أبوابهـا بعد ذلك!!.. إنّ السمـوات، لمّا انفتـحت، هل انفتحت أبوابهـا الكبيـرة، أم المتوسطة أم الصغـيرة... وما أخـبرنا (متّى): هذه الحـمامة، هل أخذها واحـد وحبسـها في القـفص، أم رأوها راجـعة إلى جـانب السـماء.. لعلّ الحـمـامة كـانت جنّيّـة!" (٣٤٩-٣٥١).

* وعلى لوقا (١١/١٢)، حيث يقـول يسوع: "فكم بالحري الأب الذي من السمـاء يعطي الروح القدسَ للذين يسألونه"، يعلّق السـيّد زكي: "هنا يجب أن نتوقّف لنسأل:

١. إذا كان الإله الذي زعـموه مـركّباً مـن الأب والابن وروح القدس، وإذا كان الإله ينقسم على نفسه فيعطي الأبُ فيه روحَ القدس للذين يسألونه، فعندها يخرب الثالوث حسب قول المسيح: "كلّ مملكة منقسمة على ذاتها تخرب".

٢. إذا كان روح القدس يُعطى للذين يسألونه حسب قول لوقا، لا يعود هناك ثالوثاً، إنّما ثلثي ثالوث، أي الأب والابن. وإذا كان الإله يتفكّك إلى روح قدس يعطى للذين يسألونه، وإلهٍ يمشي على الأرض، وإلهٍ في السماء، فهذا إلهٌ مركّبٌ وليس اللّه الحقيقي.

٣. نحن نسأل القساوسة الذين ألّهوا روحَ القدس لطوائفهم، كيف يعطي الأبُ الروحَ القدس للذين يسألونه؟ هل روح القدس شيء يُعطى! إن كان كذلك، فهو أيضاً ليس إله (كذا)، لأنّه ليس من المعقول أن يُعطي اللّهُ إله (كذا) للذين يسألونه. إنّما يعطيهم إيماناً وقوّةً، فإذا كان الروحُ القدس هو الإيمان والقوّة المعطاة من اللّه، فكيف يقولون إنّ الروح القدس هو اللّه!!؟ وإن كان روح القدس هو روح اللّه، كما يزعمون، فكيف يبقى اللّه بدون روح!!؟

٤. كيف تدّعي الطوائفُ أنّ عيسى تحوّل من أب إلى ابنٍ إلى روحٍ قدس بعد الصلب! وها هو روح القدس، على ضوء ما ذكره لوقا، موجود قبل الصلب، ويعطى للذين يسألونه!!؟ ألا ينسفُ هذا كلٌّ تخبّطِهم بروح القدس، ويثبت أنّهم لا يعرفون شيئاً عن حقيقته، إذ جعلوا منه تارة روحَ اللّه، وتارةً حمامة، وتارةً يعطى للذين يسألونه، وفي حفلات الفطير يكون رهنَ إشارة القسّيس، ويحوّلُ لهم الفطير إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه. وهل سمع أحدٌ أن التقرّبَ إلى اللّه يكون بالخمر!!؟" (٤٣١-٤٣٢).

* وعلى متّى (١٢/ ٣١-٣٢)، حيث يقول يسوع: "أمّا التجديفُ على الروح القدس فلن يُغفر للناس. ومَن قال كلمةً على ابن الإنسان يُغفرُ له. وأمّا

مَن قال على الروح القـدس، فلن يُغفر له، لا في هذا الـعالم ولا في الآتي "، يعلّق السيّـد زكي: "منتهى الهراء! ولا يمكن أن يكون المسـيح قد تلفّظ بذلك! لأنّ هذا مجرّد كذب وتزوير". هذا معناه:

أوّلاً. "الكذب والتزوير موجود في لفظ "ابن الانسان" (الذي يستعمله في غير مكانه. وهو يعنى عادةً النبيَّ محمّد. ولا شأن لعيسى به).

ثانياً. كذلك الكـذب والتزوير موجود في زعم الكاتب "وأمّا الـتجديف على روح القـدس فلن يُغفـر للناس"... لماذا يوجـد كـذب وتزوير هنا" لأنّ في ذهن الكاتب طبخةً يريد أن يمررها علينا، وهي أن الروح القدس إله.. لماذا؟

١. حتّى الآن، قطعنا معك أحد عـشر إصحاحاً، لم يَذكرْ فيهـا المسيحُ حرفاً واحـداً عن روح القـدس، لا في مـوعظة الجـبـل، ولا في صـلاته لربّه، ولا في الصلاة التي علّمها للـتلاميذ، ولا في الجموع التي كانت تحـيط به، ولا للتلاميذ الذين أرسلهم للتبشير في المدن، ولا حتّى للفرّيسيّين.

٢. لا المسيح ولا تلاميذه عرفـوا، طيلةَ حياتهم، بأنّ روحَ القدس إله... ولو جدّف واحدٌ منهم بذلك أمام الكهنة والفرّيسيّين الذين كانوا يؤمنون بالله الواحد، لهبّوا عليه هبّةَ رجلٍ واحد، وقتلوه.

٣. حاشا للمسيح أن يُشركَ إلهاً آخَرَ مع الله. وها هي أقواله بتنزيه الخالق وتوحيده تملأ الأناجيل..

٤. كون الكاتب اختصَّ روحَ القدس بعدم مغـفرة مَن يقول عليه كلمةً ، فإنَّه قد فـضحَ نفسَه، وكـشفَ عن حشره روحَ الـقدس فيَ الألوهيّة حـشراً. إذ، لماذا اختصَّ الأقنومَ الثـالث، ولم يختصَّ الأقنوم الثاني الذي هو قـبله، أو حتّى الأب الذي هو الأقنوم الأوّل. إذ أنَّ التجديفَ على الأب كان أولى من روح القدس بأن لا يغفر، لا في هذا العالم ولا في الآتي.

٥. وممّا يُثـبتُ قـولنا هذا "أنَّ قـسـاوسـة الشـاؤوليّين الكنسـيّين ذوي المؤهلات الرفـيـعة لم يعـتـرفوا بـروح القدس كـإله إلاّ سنة ٣٨١، في المجـمع القسـطنطيني الأوّل الذي عُقـد خصـيصاً لتـأليه روح القـدس.. والطريف في هؤلاء القساوسة.. أنّهم خـرجوا على ما كان غيرهـم من قسـاوسة قد قرّروه في مجمع نيقية السابق سنة ٣٢٥ م بالزيادة التي أضافوها هنا.." (٥٢٢-٥٢٤).

***

نقول

بعد هذه الجولة مع السيّد أحمد زكي حول الرّوح القدس، وطعنه بأنْ يكونَ هناك مَن يُسمّى بهذا الإسم؛ ونظراً إلى أنَّ هذا الرّوح لا يُـدركه أيُّ إنسان عادي، ولا يشعـر به، ولا يعرف أنَّ كلَّ مـا في الكون هو من هذا الرّوح، على مـا يعتـقد المسيحيّون؛ ونظراً إلى دقّة مـا جاء في القرآن عنه؛ بالإضـافة إلى أنْ لا شيء ممّا يُسمّى في الإنسان نفس له كيان إلاّ بما يسـتمدّه من هذا الرّوح؛ واعتباراً من أنْ لا قداسـة، ولا خلاص، أو حياة أبديّة، أو قـيامة، أو سعـادة إلاّ بهذه الرّوح.. نودّ التوقّف قليلاً مع ما قاله القرآن نفسُه عن هذا الرّوح. نقول:

ليس تعبـير "الروح القدس" غريبـاً عن القرآن، ولا مجهـولاً في الإسلام.

ويجدر بنا أن نستعرضَ الآيات، حيث يرد تعبير "الروح القدس"، أو "الروح"، أو "روح اللّه"، لنعرفَ مقصودَ القرآن فيها، وعمّا إذا كانت تفاسير المسلمين موافقةً لهذا المقصود.

* يرد إسم "الرّوح" في القرآن في صيغٍ متعددّة، وفي أكثرمن عشرين مرّة، كما يلي:

١و٢. "وآتَينا عيسى ابنَ مريم البيّنات. **وأيّدناه بروح القدس**" (سورة البقرة ٢/ ٨٧ و٢٥٣، والآيتان متشابهتان. لا فرقَ بينهما).
٣. "أذكر نعمتي عليكَ وعلى والدتكَ إذ **أيّدتُّكَ بروح القدس**" (سورة المائدة ٥/ ١١٠).
٤. "قل **نزّله روح القدس** من ربّك بالحقّ، ليُثبّتَ الذين آمنوا" (سورة النحل ١٦/ ١٠٢).

في التفاسير، "روح القدس"، أي "الروح المقدّسة"، هو "جبريل"، الذي جاء عيسى ليقوّيه، و"يسير معه حيث سار"، ويؤيّده في رسالته العتيدة، وفي حياته، ونضاله ضدّ بني إسرائيل..

ولكن، ما يُلفتُ نظرَنا:

أوّلاً- إستعمال القرآن لتعبير "روح القدس" استعمالاً مألوفاً،

وثانياً- استعماله له في المناسبات نفسِها التي استعملتْه فيها المصادر المسيحيّة..

ممّا يعني أنّ للتعبير بعداً مسيحيّاً في ذاكرة محمّد، ولو هو، في استعماله له، غير مدرك لأهمّيّته.

٥و٦. قول يعقوب لأبنائه: "يا بَنيَّ!.. لا تيأسوا من **روح الله**. إنّه لا ييأس من **روح الله** إلاّ القوم الكافرون" (يوسف ١٢/ ٨٧)...

في تفسير المسلمين: "روح الله" أي "رحمته"..

ولكن، في تفسير آخَر، قد يكون روحُ الله، روحاً من الله نفسه، أوحَى ليعقوب لينصحَ أبناءه بأن يتّكلوا عليه ولا ييأسوا. ولو كان روحُ الله "رحمتَه" فحسب، لما كان اليائسون بها كفّاراً. إنّما الكفّار هم الذين لا يؤمنون بروح الله، أي بالله نفسه.

٧. "يا أهلَ الكتاب (المسيحيّين)! لا تَغلُوا في دينكُم. ولا تقولوا على اللهِ إلاّ الحقَّ: إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ، رسولُ اللهِ، وكَلمتُه ألقاها إلى مريمَ، **وروحٌ منهُ**. فآمنوا باللهِ ورسلِه. ولا تقولوا ثلاثةٌ. انتهوا خيراً لكم. إنّما اللهُ إلهٌ واحدٌ" (٤/ ١٧١).

المقصودُ بالروح هنا هو المسيح، وليس شخصاً آخر، لا جبريل، كما يقول المسلمون، ولا الأقنوم الثالث من الثالوث، كما يقول المسيحيّون... ولكن، هذا يكفي لنعلمَ أنّ القرآن يستعملُ تعبيراً نصرانيّاً مألوفاً في بيئته.

٨و٩. "ويسألونكَ عن **الرّوح**. قل: **الروحُ من أمر ربّي**. وما أوتيتم من العلمِ إلاّ قليلاً" (الإسراء ١٧/ ٨٥).

تفسير المسلمين: يسألُ اليهودُ عن الرُّوح الذي يحيا به البدن. فقل لهم، يا محمّد، هذا علم لا تعلمونه..

ولكن، في تفسير آخر، قد يكون "الرّوحُ" "روحَ الله" الذي يجهله اليهود وغير اليهود. ولكنّ للنصارى به علماً ولو قليلاً. ويُرجِّحُ هذا التفسيرَ قولُه بأنّ هذا "الروح هو من أمر الله"، أي من الله، أو هو "روح الله"، كما يقول

المسيحيّون عن روح القدس تماماً.

١٠. "يُنَزِّلُ الملائكةُ (أي جبريل) **بالرُّوح** (أي بالوحي) من أمره (أي بإرادته) على مَن يشاءُ من عباده (أي الأنبياء) (١٦/٢).

تفسيرُ المسلمين: إنّ اللّهَ يأمر جبريلَ لكي يُنزلَ بالوحي على الأنبياء...

تفسير آخرَ: يرجّحُ أن يكون هذا الروح هو أيضا، كالآية السابقة، من أمر اللّه، أي هو روح من اللّه، أو "روح اللّه"، كما يقول المسيحيّون عن روح القدس تماماً.

١١. "وإنّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ العالَمين. نَزَلَ به **الرُّوحُ الامين**، على قلبكَ، لتكونَ من المنذرين، بلسانٍ عَربيٍّ مُبين" (الشعراء ٢٦/١٩٢-١٩٤).

تفسير المسلمين: "ألروحُ الأمين" هو جبريل.

تفسير آخَر: إذا كان القرآن تنزيلٌ من اللّهِ نفسِه، ربِّ العالَمين، فكيف يصيرُ جبريل هو الذي نزلَ بهِ! فالأولى أن يكون "الروحُ الأمين"، بدلاً عن "ربِّ العالِمين"، أو شخصاً آخَرَ، يساوي "ربَّ العالِمين". قد يكون هو الرّوح القدس، الذي يناط الوحي به مباشرةً، كما هو معتقد المسيحيّين.

١٢. "رفيعُ الدّرَجات (أي اللّهُ عظيمُ الصفات، أو رافعُ درجات المؤمنين في الجَنّة)، ذو العرْشِ، **يُلْقِي الرّوحَ مِنْ أمْرِهِ** على مَن يشاء من عباده، لِيُنْذِرَ يومَ التّلاقِ(ي)" (غافر ٤٠/١٥).

تفسيرُ المسلمين: إنّ اللّهَ يُنزلُ "الرّوحَ من أمره"، أي "الوحيَ" على مَن يشاء من عباده الأنبياء ليخوِّفَ به الناسَ يوم تلاقي أهل السماء بأهل الأرض، أي يوم القيامة...

تفـسـير آخـر: مـرّة أخرى "الروح مـن أمر اللّه"، لا هو "جـبـريل"، ولا "الوحي"، لأنّ المناسبـة هي يوم القيامة، حـيث خُتمتِ النبـوّة، بحسب المسلمين، بمحمّد؛ وانتـهى الوحيُ، عند المسيحيّين، بالعهد الجـديد.. ففي آخر الأزمنة، لا بدّ من اللّه نفسه، أو "روح من عند اللّه" ليقوم بمهمّـة القضاء يوم التلاقي الأخير. وبذلك يكون هذا "الـروح" أقـرب إلى أن يكونَ شـخـصـاً إلهـيّـاً من أن يكون "الوحيَ"، أو "ملاك الوحي"، أي "جبريل".

١٣. "لا تجدُ قوماً يؤمنونَ باللّهِ واليـومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ (أي يصادِقون) مَن حادَّ (أي خالف) اللّهَ ورسولَه، ولو كـانوا (أي المخالفون) آباءهم، أو أبناءَهم، أو إخوانَهم، أو عَشيرَتَهم. أولئكَ (أي الذين لا يخالفون) كَتَبَ (أي أثبتَ) في قلوبهم الإيمانَ، **وأيَّدَهم بروحٍ منهُ** (أي بنور منه تعالى)، ويُدخِـلُهم جنّاتٍ تَجري من تحتِها الأنهارُ، خالدينَ فيها" (المجادلة ٥٨/٢٢).

تفسير المسلمين: إنّ اللّه يثبّتُ المؤمنين ويقوّيهم بـ"نورٍ" من عنده، ليعرفوا مَن يصادقون، وعمّن يبتعدون، فتكون لهم الجنّة خالدين فيها. فروحُ اللّه، عندهم، هو ذاك "النور" الذي يدلّهم على سعادتهم في جنّات اللّه...

تفسيرٌ آخر: من المرجّح أن يكون الروح الذي **مِنَ اللّه**، اللّهَ نفسَه، أو روحاً من عند اللّه، أو شخصاً إلهيّاً، هو الذي يتولّى، في اليوم الأخير، خلاصَ المؤمنين الصـادقين، وهلاكَ المخالفين. ولا يُعـقلُ أن يسـتـمـرَّ، في تلك اللحظة، أيُّ نورٍ أو هدايةٍ من عند اللّه. فيوم الحساب هو يوم حساب. لا وحي فيه ولا هدى.

١٤. "تَعْرُجُ **الملائكةُ والرّوحُ** (أي جـبريل) إليـهِ في يومٍ كـان مِقـدارُه خمسينَ ألفَ سَنَة" (المعارج ٧٠/٤).

المقصـود بهذا، في التـفاسيـر الإسلامـيّة، أنّ الملائكة، وجبـريل، تنزلُ من

السماء في يوم القيامة لتدين الكافرين. ويومُ القيامة هذا، بالنسبة إلى الكافرين، يُقدَّرُ، لشدَّتِه، بخمسين ألف سنة...

تفسيرٌ آخـر: لماذا يُسمّى جبريل مستقـلاً عن سائر الملائكة! فلو كان دورُه هنا تنزيل الوحي، لقُبلتْ تسـميتُه مسـتقلّة عنهم. غير أنّه: إمّـا سيكون دورُه مثل دورهم، وبالتالي، لا يُسمّى مـستقلاً عنهم، وإمّا يكون المقصـود بـ "الرّوح" غير جـبريل. والمـرجّح أن يكون كذلك، لأنَّ لـلّه وحدَه، أو لشـخص إلهيّ آخـر، دور القضاء المبرم. وليس للملائكة. فهو الدّيّان وحدَه، ولا ملائكة تدين معه.

١٥. "يومَ يقومُ **الرُّوحُ** (جبريل) **والملائكةُ** صَفّاً، لا يتكلّمون (أي الخَلق) إلاّ مَن أذِنَ له الرحمَن، وقالَ صوَاباً. ذلكَ اليومُ الحقُّ.." (ألنّبأ ٧٨/٣٨-٣٩)..

في التفـسير الإسلامي، "الّروح" هنا هو جـبريل، الذي يأتي، مع الملائكة، في اليوم الأخير، ليشفعوا لدى اللّه بالخَلق...

وفي تفسيـرٍ آخَر، نتسـاءل دائماً: لماذا يُفـصَل جبريل عن الملائكة، ومهـمّتُه، هنا، لا تختلف عن مهمّتهم! أيكونُ "الرّوح" من جنسٍ آخَر غير جنس الملائكة!

١٦. "تَنزَّلُ **الملائكةُ والرُّوحُ** (جـبـريل) فيـهـا بإذنِ ربِّهم مِن كلِّ أمـرٍ" (ألقدر ٩٧/٤)..

تفسيرُ المسلمين: إنّ اللّه أنزل القرآن، في ليلة القدْر، من اللّوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.. فيها، ولشرفهـا، تتنزّلُ الملائكةُ وجبريلُ، بأمرِ قضاه اللّه.. تفسير المسلمين، فيه تمييزٌ دائم بين جبريل والملائكة..

وفي التفسير الآخر، سؤالٌ دائم: لِمَ هذا التمييزُ؟ وما شأنُ الملائكة الآخرين بالوحي حـتّى يكونوا حـاضـريـن! أيكونون من جنسٍ غـيــر جنس "الرّوح"! أو "الرّوح" من جنسٍ يختلفُ عن جنسِهم! يبدو ذلك.

١٧. "وما كان لبَشَرٍ أنْ يُكلِّمَه اللّهُ إلاّ وحْياً، أو مِن وراءِ حجاب، أو يُرسلَ رسولاً (ملاكاً كجبريل)، فيُوحيَ بإذنه ما يشاءُ. إنّه عليٌّ حكيم. وكذلك أوحينا إليكَ (يا محمّد) **رُوحاً** (هو القرآن) **مِن أمرِنا.** ما كنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمان. ولكنْ جعلناهُ نوراً نَهدي به مَن نشاء من عِبادِنا.." (الشُّورى ٤٢/٥١-٥٢)...

تفسير المسلمين: كلّ مَن أوحى اللّهُ إليهم، من الأنبياء، كلّمَهم إمّا في المنام، أو بإلهام، أو بالسماع دون رؤية، أو "يُرسلُ رسولاً" إليه هو جبريل.. أمّا بالنسبة إلى محمّد فقد أوحى اللّه إليه "روحاً من أمرنا"، أي القرآن الذي هو نور هداية للبشر...

التفسيرُ الآخر: لا يمكن أن يعني تعبيرُ "روحاً من أمرنا" القرآن، كما يقول المفسّرون المسلمون. إنّما هو روحٌ من عند اللّه، يختلفُ عن جبريل، كما يختلفُ عن القرآن. إنّه من جنس الإلهام الإلهي والصوت والرؤية والحلم الأكيد.. أي لا هو ملاك، ولا هو كتاب. إنّه من جنس إلهي. ولذلك تميّز عن سواه من وسائل الوحي.

١٨. "واذكُرْ في الكتابِ (القرآن) مريمَ، إذ انتبذتْ من أهلها مكاناً شرقيّاً (أي اعتزلت في مكان نحو الشرق). فاتّخَذَتْ من دونِهم حجاباً. **فأرسَلنا إليها رُوحَنا** (جبريل)، فتمثّلَ لها بَشَراً سويّاً. قالتْ: إنّي أعوذُ بالرّحمن منكَ إنْ كنتَ تقيّاً. قال: إنّما أنا رسولُ ربِّكِ لأهَبَ لكِ غلاماً زكيّاً" (مريم ١٩/١٦-١٨)...

نقول: يحذو المسلمون هنا حذو التقليد المسيحيّ الذي يعتبرُ الملاكَ الذي بشّرَ مريم هو جبرائيل.. ولكن، لماذا لم يسمِّ القرآنُ جبريلَ باسمه، كما في (٢/٩٧ و ٩٨، ٦٦/٤)، فسمّاه "الروح"! هل في مقصوده، كما هو في الأناجيل، "الرّوح القدس"، أي شخصاً إلهيّاً!!! يُرَجَّحُ ذلك.

١٩. "والتّي أحصنتْ فرجَها، **فنفَخْنا فيها من روحنا**. وجعلناها وابنَها آيةً للعالَمِين" (الأنبياء ٢١/ ٩١)...

في تفسير المسلمين: إنّ اللّهَ أرسلَ إلى مريمَ الملاكَ جبريلَ، الذي نفخَ في جَيْبِ درْعِها، فحملتْ بعيسى، الذي، هو وأمُّه آية من آيات اللّه، حيث ولدتْه أمّه من غير فحل...

في تفسيرنا: لا يستقيم المعنى في اعتبار الرّوح هنا هو جبريل. بل هو روح من اللّه، أو هو روح اللّه. والمصدرُ المأخوذةُ منه هذه الصورة هو الإنجيل. والإنجيل يقول بأنّ "المولود منها هو من الرّوح القدس". فهل هو في القرآن كذلك!

٢٠. "ومريمَ ابنةَ عِمرانَ التّي أحصنتْ فرجَها، **فنفخنا فيه من روحنا**. وصدَّقتْ بكلماتِ ربِّها وكُتُبِه. وكانتْ من القانتين" (التحريم ٦٦/ ١٢)...

يفسّرُ المسلمون بأنّ مريمَ، مثال الذين آمنوا، حفظتْ نفسَها فنفخ اللّهُ فيها جبريلَ حيث نفخ في جيبِ درعها، فحملت بعيسى، وصدّقت بما قال الربُّ لها، وأصبحت من الطائعين...

في تفسيرنا: إن المصدرَ المأخوذة منه هذه الرواية يتكلّم على الروح القدس. فلمَ يخالفُ التفسيرُ المصدرَ، والقرآن نفسُه يتكلّمُ على الرّوح، فيخالفُ بالتالي بكلامه هذا التفسيرَ!!!

٢١. "ثمّ سوّاهُ (أي خلقَ آدمَ)، **ونَفَخَ فيه من روحِه**، وجعلَ لكم السّمْعَ والأبصارَ والأفئدَةَ" (السجدة ٣٢/ ٩)..

تفسير المسلمين: إنّ اللّهَ خلق آدمَ و"نفخ فيه من روحه"، أي جعله حيّاً حسّاساً بعد أن كان جماداً. وذلك بأن جعله يسمع ويبصر ويحبّ ويعقل...

أمّا في التـفسـير الآخر فـالمصدر الذي عنه أخـذ القرآن يشـير إلى "روح الرّبّ" الذي جـعل من آدم على صـورة اللّه ومثـاله. وهو لا يخـتلفُ عن الرّوح الذي **نفخه** في مريم لتلدَ عيسى.

٢٢و٢٣. "وإذْ قالَ ربُّـكَ للملائكةِ: إنّي خـالقٌ بشَراً من صَلصـالٍ من حـمأٍ مَسنون. فـإذا سَوّيتُهُ **ونفَخْتُ فـيه من روحي** فَقَـعوا له ساجـدين. فسـجد الملائكةُ كلُّهم أجمعون" (الحجر ١٥/٢٨-٢٩؛ ص ٣٨/٧١-٧٣)...

في تفسـير المسلمين: إنَّ اللّهَ الذي أتَمَّ خلقَ آدمَ، وأجرى فيـه من روحِه، أي صار حيّاً، أمرَ الملائكةَ بأن يسجدوا له...

في تفسيـر آخر، دلالة ساطعة على أنّ "الروح" هذا هو أكـثر من أن يعني الحيـاةَ فحسب. بل هو روحٌ من اللّـه أسكنَه اللّهُ في آدم، ولذلك طلب من الملائكة أن يسجدوا، لا لآدم، بل لهذا الروح الحالّ في آدم.

***

هذا كلّ ما في القرآن من كلمة "روح". يلفت النظرفيها أمور:

١. "نفخ اللّه في مـريمَ روحَه" خمـس مرّات. و"نفخَ في الصـور" إحدى عشرة مرّة، وأربع مرّات: "نفخ فـيه"... فاعلُ النّفخ هو اللّه دائماً. وهو يعني أنّ اللّهَ أفـرغ روحَه أو نفـسَه في الشـيء الذي يقـصدُ ولوجَـه .. والنافخُ ليس هو جبريل أبداً، إلاّ في تفاسيـر المسلمين الذين قصدوا به إبعادَ كلِّ ظنٍّ في أن يكونَ المنفوخُ روحاً من اللّه..

٢. "ألروحُ والملائكة" ثلاث مرّات. ليس الـروحُ من جنس الملائكة، وإلاّ لَما

اضطرّ أن يميّزه عنهم. فهو من غير جنسهم. إنّه خاصّ باللّه. ولذلك جاء، كما في الملاحظة التالية:

٣. "روح اللّه" (مرّتان)، "روحي" (مرّتان)، "روحنا" (٣ مرّات)، "روحه" (مرّة)، و "روح منه" (مرّتان)، أي هو الرّوح خاصّ باللّه نفسه. والروح ينتسبُ إليه. هو روحه الذي يرسلُه إلى الأنبياء.. لكأنّه شخص إلهي مستقلّ عن ذات اللّه.

٤. "الروح من أمره" (مرّتان)، "الروح من أمر ربّي" (مرّة)، و"روحاً من أمرنا" (مرّة)، و"الروح.. من كلّ أمر" (مرّة).. هذا الأمرُ لا يعني أنّ الروحَ خاضعٌ لأمر اللّه، بل يعني أنّه "مِن" عند اللّه، من اللّه. لا يعمل مستقلاً عنه؛ بل يعمل معه، بسلطانه، وتأييده، وموافقته، وبالمساواة معه.

٥. "روح القدس" (٣ مرّات) هو الروح الذي أيّد به اللّهُ عيسى، و(مرّة واحدة) يقصد به ذاك الروح الذي يؤيّد محمّداً في تنزيل القرآن. إنّه غير جبريل بالتأكيد.

٦. "الروح الأمين" (مرّة واحدة) ذاك الذي أنزلَ القرآن. قد لا يكون المقصود فيه جبريل، الذي أشير إليه مرّة واحدة بأنّه هو الذي تولّى هذه المهمّة: "قل: مَن كان عدوّاً لجبريل، فإنّه نزّله على قلبك بإذن اللّه" (البقرة ٢/٩٧). أمّا في المرّتين الأخرَيين التي يرد فيها إسم جبريل فلا نجد له علاقة بالوحي أو بالقرآن:

* "مَن كان عدوّا للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال، فإنّ اللّه عدوّ للكافرين" (٢/٩٨).

* "وإن تظاهرا عليه، فإنّ اللّه هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين" (التحريم ٦٦/٤).

***

فالمقصـود من كلّ هذا البحث أن نلفت نظر القارئ بأنّ مـفهومَ "الروح"، كما ورد في القرآن، ليس بالتأكيد كمـا قال به المسلمون. وهل نلومُ السيّد أحمد زكي بكلامٍ من القرآن نفسه، فنقول له: "ويسألونك عن الرّوح!.. وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً" (١٧/ ٨٥)... واللومُ في محلّه.

ولنقل أخيـراً، ولو مردّدين القول: لا يقـول بالرّوح القدس إلا المؤمنون به. والذين لا يؤمنون به يجـدون فيـه الحلّ لكلّ مسـتعـصـى. والإيمانُ به هو أهون المستعصيات العقليّة. وفي عدم الإيمان به مستعصى أعظم.

عـملُ الرّوح القـدس في الإنسان عـملٌ خـفيٌّ، يطالُ عـمقَ أعمـاق الكيـان الإنساني. ويجب أن يعلم السـيّد أحمد زكي أنّه لو قام بأعظم الأعـمال. وضـحّى. وامتنع عن الموبقات والمحرّمات. ولم يأتِ إلاّ بالحلال والكمال. ولم يُخلَّ بواجبٍ. ولم يترك صـلاةً، ولا حسنَةً إلاّ وتمّمها. ولو صـام الدهرَ كلّه. ووزّع أمواله على المعوزين.. ولم يكن الرّوح القدس هو الـذي يقدّسُ هذه الأعمال، ويدفعهـا بنعمةٍ منه.. لا تُفيده أعمالُه هذه شيئاً.

ولا يجب أن يفهم السيّـد زكي بأنّ هذه الأعمال الصـالحة ليست شـيئاً. بل ليفهم بـأنّها، بدون هذا الرّوح الذي يقدّسهـا، لا تُقدّسُ صـاحبَهـا. ونحن لا نجدُ مقولةً إيمانيّةً تساوي، بأهمّيتهـا وضـروريّتها، مقولةَ الروح القدس. إنّنا، به، في صميم الإيمان المسيـحي. ولولاه لما كانت مسيحيّة، ولا كنيـسة، ولا قداسة، ولا خلاص.

الفصل العاشر

مريم العذراء وأحمد زكي

يجلّ القرآنُ مريمَ العـذراء إجلالاً كبيراً. والكلامُ عليـها، في سُوره وآياته المتفـرّقة، آيةٌ في التعظيم والتكريم. مـريمُ وابنُها هما "آية للعـالَمِين". أخذها اللّه بعنايته، منذ قـبل ولادتها. لقد كـانتْ مباركَةً، وهي فـي حشا أمّهـا. لقد أنعم اللّه عليها، ورزقها القوتَ من عنده، وكلّف شيوخَ بني إسرائيل بحمايتها... ولمّا شبّتْ، ظهر عـليها جـبريلُ يبـشّرها بمولودٍ مـن غير رجل. فـولدت عيـسى، الذي، منذ ولادته، تكلّم وأعلنَ طهـارةَ أمّه وبتوليّـتَها. وقـد استمـرّت على بتوليّتـها طوال حياتها.

إلاّ أنّ السيّـد أحمـد زكي، في معـالجة مـوضوع مريم الـعذراء، يرى أنّ الكنيسةَ قـد عظّمت مريم، وكرّمتهـا، حتّى رفعتْها، فـي أحد مجامعهـا، إلى مرتبة الألوهة. وقرّرتْ لها، في مجمع أفسس، سنة ٤٣١، عندما لم تجد لها في الثالوث مكاناً، أن تكون "أمّ اللّه".

* عن هذا يقول:

"مريم العذراء! أين يضعوها في معتقدهم الثالوثي العجيب الذي فبركوه بأيديهم؟.. فكونها أنثى لم يستـطيعوا أن يضعوها مع الأقانيم الثـلاثة، ليجعلوها رابعة، وإلاّ ضحكَ الناسُ مـنهم. لذلك، كعادتهم، كلّما حـزبهم أمرٌ، عقدوا مجـمعاً

آخَرَ في أفسس، سنة ٤٣١، ونادوا إلـيه القساوسة، من كلّ حـدب وصوب. وبعد أن اجتمـعوا، وأغلقوا البابَ خلفهم، وتناولوا مـا طاب لهم من خمر ولحم خنزير، بحثـوا الأمرَ بينهم.. ولمّا أعيـتهم الحِيَل، ارتأوا أن يجـعلوها أمَّ اللّه.. ماذا!!؟؟ إيْ واللّهِ! ارتأوا هـم. فـقـرّروا هم. أنّهـا أمّ اللّه... وفـاتهم أن الأمَّ يـجبُ أن تكونَ مـوجـودةً قـبل الابن. كـما فـاتهم أنّ أمّ الـلّه يجب أن تكون إلَهـةً أيضـاً.. فكان المفروض أن يوسعوا لها أقنوماً آخرَ!!" (١٠٥).

ويرفض السـيِّد زكـي كلَّ كلامٍ على اعـتـبار مـريم أمَّ اللّه. ويعـمل فكرَه الفلسفي، وجهدَه كلّه، ليُبطلَ هذه المقولة الكفر. ويريد، للمحبّة التي تعمرُ قلبَه، أن يساعـدَ الذين لا يستطيعون نزعَ "الخـشبة التي غرسـتْها المجامع الكنسـيّة في أعـينهم، ولا زالوا يقولون إنّ مـريمَ أمُّ اللّه.. حـتّى يُبصـروا جـيّداً، فننقـذ بذلك أرواحَهم من النار الأبديّة".

* ويسأل:

السـؤال الأوّل: "هل يَسَعُ رحِمُ مريم الشـمسَ، التي هي ليست اللّهَ، إنّـما إحدى مـخلوقاته!؟ فإنْ قالوا: لا -وهذا حـتما ما سـيقولون- قلنا: كـيف جعلتم رحمَـها يسَعُ اللّهَ خـالقَ الشمسِ وخـالق الأرض والقمـر والكواكب وهذا الكونِ الفسيح ومـلايين الشموس الأخرى الأعظم من شـمسنا هذه. واللّه أعظم من كلّ شيء خلقه!!؟

"والسؤال الثاني: أين كان الشيطان خلال حَـمْلها به؟ وكيف يفوّتُ فرصةً كهذه؟! وإلهُهُ حـبيسٌ في رحم مريم!؟ أليست هذه فرصته لـيستوليَ على الحكم، ويفرضَ إرادتَه على هذا الكون والبشريّة جمعاء!؟

"أليسَ بينهم رجلٌ رشـيـدٌ يستـعمل أثمنَ مـا وهبـه اللّهُ، وميّـزه به عن الحيوان، ألا وهو عـقله؟! أنظرْ، باللّهِ، عزيزي القارئ هذه المتـاهة، وهذا الضـلال

الذي أضلّ فيه شاؤول وشياطين اليهود المندسّين(كذا) في المجامع الكنسيّة أمّةَ النّصارى، بل وجعلوا كنائسَهم تتبنّاه، ويصبحوا المدافعين عنه، بل وبشراسة.. وهل هناك مسبّةٌ على اللّه الخالق أكثر من حشْره في رحم أنثى هو خالقُها، ثم جعلِه يخرجُ من فرْجها!!!

" وهكذا حوّل شياطين اليهود القدامى والوثنيّون المندسّون في المجامع إلهَ النّصارى من إلهٍ سماويٍّ إلى إلهٍ أرضيّ، كما حوّلوا لهم دينَهم من دينٍ سماويٍّ إلى دينٍ وضعيٍّ من صنع أيديهم، تماما كما يفعل الوثنيّون. ونسَوا مرّةً أخرى أنّه، إذا كان هناك أمّاً (كذا) للّه، يكون ذلك الإله قد انتهى كإله، وأصبح إلهاً أسطوريّا..

" ... تلك التسمية (أمّ اللّه) غلط من أساسها. وتحمل في طيّاتها عواملَ هدْمها، إذ فات القساوسة العباقرة المجتمعون ذوو (كذا) المؤهلات العلميّة والدرجات اللاّهوتيّة العالية، أن المخلوقَ لا يلدُ الخالق، وأنّ العبد لا يلد المعبود، وأنّ الناقص لا يلد الكامل، والمحدودَ لا يلد اللاّمحدود، والمحدَثَ لا يلد الأزلي، والفاني لا يلد الأبدي...

" كما أنّهم، بدعواهم تلك، قد ناقضوا أنفسَهم بأنفسهم، إذ، بزعمهم أنّ للّه أمّاً، يترتّبُ عليه أن تكونَ أمُّه موجودةً قبلَه.. لأنّه، لا يُعقل أبداً أن يأتي الابنُ قبلَ الأمّ، ولا في المنام. لذلك حسمَ القرآن، كعادته، هذا الجدل، فقال: "كفرَ الذين قالوا إنّ اللّهَ هو المسيح ابن مريم. قل فمن يملك من اللّه شيئاً إن أراد أن يُهلكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّه ومَن في الأرض جميعاً" (٥/١٧) (ص ١٠٥-١٠٦).

***

* على ما جاء في متّى عن خطبة مريم ليوسف (١/١٨)، يعلّق السيّد زكي، ويقول: "غريب قول المؤلّف (متّى المزيّف) "أنّ مريم كانت مخطوبة

ليوسف هذا! لأنّ اللّهَ، جلّتْ قدرتُه، عندما اصطفى مريمَ على نساء العالمين لتكون الوعاء لهـذا الحمل المعجـز، إنّما أراد بذلك أن يظهرَ قدرتَـه في الخلق بالكلمة أو المشيئة، ليوقظَ الروحَ والضميرَ اللذين كانا قد ماتا وتحجّرا عند اليهود...

"لكن كاتب هذا الإنجيل.. إرضـاءً لقومه الذين رموا مـريمَ بالزنا، اخترع لها خطّيباً سمّاه يوسف، ودسَّه في قائمة الأجداد السابقة.. وهنا جاء ليصوّرَ لنا مريمَ وكأنّها ارتكبت فضيحةً، جاعلاً من يوسف هذا رجلاً يتستّر عليها!.. وبهذه الطريقـة يُرضي قومَـه اليهـود في اتّهام مـريم بالزنى، ويتركُ المجـالَ أمامـهم مفتوحاً لاتّهام يوسف بأنّه قطف الثمرة قبل الأوان" (٢٤٦-٢٤٧).

* وعلى قول الملاك بأنّ مريم وُجدت "حبلى من الروح القدس" (١/ ٢٠)، يعلّق السـيّـد زكي قائلاً: هذا الـكلام "هو أكبـركلمـة كفـر وتجـديف على إله النّصارى، لأنّ روحَ القـدس لا يحبّل أحداً".. وهـذا الكلام المبهم وضعـه كاتب الإنجيل المزيّف "ليـحملَ جهَلَـتُهم الأمرَ على وجـهٍ آخر، تقشـعرُّ له الأبدان، ولا يتـصـوّرُه عـقل، إذ أراد أن يـنسبَ إلى إلهـهم عـمـلاً لا يـقـوم به إلاّ البـشـر والحيوانات.." (٢٤٩).

وإذا كان متّى المزيّف لم يخجل من مثل هذا القول، والسيّد زكي يأخذ عليه كفرَه ووقاحتَه، فالسيّد زكي نفسُه لم يخجل من إعطائنا روايةً طريفة، لن نخجلَ نحن بدورنا من ذكـرها، أمانَةً لإظهـار مستـوى النقد. يقـول: "في محـاضرةٍ للمنصّرِ الأمـريكي، بللي غراهام، وهو يشرح جـملةَ "الذي حُبل فيـها من الروح القدس"، أمام ٤٠,٠٠٠ مـستمع في جنوب أفـريقيا، "أخرجَ سبـابتَه، وهزَّ يدَه التّي مدَّها إلى آخـرِها، من اليمين إلى اليـسار، قائلاً: وجـاء روحُ القدس ولقّحَ مريمَ هكذا" (٢٥٠).

***

* وعلى ما جاء في متّى (١/٢٣): "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً"، يعلّق السيّد زكي ويقول: ليس لدينا ما يثبتُ بأنّ المولود من العذراء هو اللّه:

"هذه نصوص مدسوسة، ليس لها أى علاقة بالمسيح، لا من قريب ولا من بعيد". ثمّ "كلُّ مَن يلد يلد من جنسِه، أكان إنساناً أو حيواناً أو طيراً أو سمكةً أو حشرةً.. لذا يكون عند كلّ ذي عقل سليم أنّ مريم الإنسان ولدت عيسى الإنسان. ولا يمكن أن تكون ولدت اللّه، كما يجدّفون". ثمّ "إن مريم الإنسان محدودة، واللّه غير محدود. وعليه، لا يمكن للمحدود أن يلد غير المحدود".. إلخ. وقد مرّ معنا مثل هذا القول..

* وبالنتيجة، "مريم لا يمكن أن تكون والدةَ اللّه. وهو كفر. وقد اعترفت بنفسها أنّها أمَةُ اللّه (لوقا ١/٤٦)، لا أمّ اللّه.. فمن الذي خوّلهم (أي المسيحيّين) بالخروج من نصوص أناجيلهم!؟ وبأيّ حقّ يزعم القساوسةُ ويدجّلون على طوائفهم بأنّها أمّ اللّه، وأنّها ولدت اللّه؟! هل سمع أحدٌ بأنّ العبد يلد ربّه؟!" (٢٥٤-٢٥٦).

* وعلى جواب مريم على الملاك: "كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلا؟" (لوقا ١/٣٤)، يعلّق السيّد زكي، ويقول: "معنى ذلك أنّها لم تكن مخطوبة ليوسف هذا، وإلاّ لَمَا استغربت.. إذ، ليس بعد الخطوبة إلاّ الزواج والحمل والولادة! فهل لوقا هو الصادق في أنّ مريمَ كانت مخطوبة؟ أم أنّ مريمَ هي الصادقة في أنّها لم تكن تعرف رجلاً؟..

"مريم هي الصادقة:

١. "شخصيّة يوسف هذه لم يرد لها أي ذكر، لا في إنجيل مرقص، وهو أوّل الأناجيل، ولا في إنجيل يوحنا، وهو آخر الأناجيل.

٢. "لا أحد يعرف عن يوسف النّجار هذا شيئاً، ولا حتّى الموسوعة البريطانيّة تعرف عنه أكثر ممّا ورد في الأناجيل. فهناك ظلال كثيفة من الشكّ تحوم حول حقيقة وجوده..

٣. "إنّ هذه الشخصيّة أتوا بها من المجهول، وبعد أن قضوا غرضَهم منها غيّبوها في المجهول. والذي اخترع هذه الشخصيّة هو كاتب أجداد المسيح.. ليرتّبَ روايتَه.

٤. "ممّا يؤكّد أنّ مريمَ لم تكن تعرف يوسف هذا، ولا غيرَه من الرجال، هو كونها كانت متعبّدةً في الهيكل، ومكرّسةً نفسها لخدمته منذ نعومة أظافرها..

٥. "والنّصارى الشاؤوليّين (كذا) أنفسهم يردّدون اسمها، ويقولون: مريم العذراء البتول.. فكيفَ يزوّجها الكاتبان (متّى ولوقا) ليوسف هذا، وبعدها يقولان عنها: العذراء البتول!؟..

٦. "هذا بالإضافة إلى أنّه، في العادة، تلحقُ المرأةُ بزوجها، لتسكن معه في مدينته، وليس الزوجُ هو الذي يلحق بزوجته ليسكن في مدينتها! فالأناجيل عجزتْ عن إعطائنا سبباً واحداً معقولاً يقنعنا لماذا ترك هذا النّجّار المزعوم مدينةَ بيتَ لحم وسكن الناصرة..

٧. ثم، إذا كانت أليصابات، خالةُ مريم، من بنات هارون، وكذلك زوجها زكريّا، وكذلك أيضاً والدا مريم..تكون مريم، إذاً، هارونيّة لا داوديّة.. "فإذا كانت مريم هارونيّةً، فكيف يزوّجوها (كذا) من يوسف النّجّار الذي كان داوديّاً!!.. هذا ولقد جاء القرآن ليؤكّد أنّ مريم من أحفاد هارون: "يا أختَ هارون.. "(مريم ١٩/٢٨)..." (٢٦٢-٢٦٥).

* وعلى قول المسيح: "مَن هي أمّي؟" (متّى ١٢/٤٦-٥٠)، يعلّق السيّد زكي قائلاً: "لا يمكن للمرء إلاّ أن يتعجّبَ من تخبّط هذا الكاتب الذي ذكر لنا

بعد إصحاحَين (١٥/ ٤) أنّ المسيح قال: "أكرمْ أباك وأمّك. ومَن يشتم أباً أو أمّاً فليمتْ موتاً". فهل يُعقل للمسيح أن يحتقرَ أمّه أمام الناس بهذا الشكل الذي فيه يتنكّر لها ويُنزل من قيمتها!؟" (٥٣٨).

***

نقول:

لا يسعنا إلاّ أن نثبتَ هنا ما جاء به القرآن عن مريمَ. فهي نذير الربِّ قبل أن تولد. وهي قدّيسة. طاهرة. "معصومــة" وهي في حشا أمّها. جاء في سورة آل عمران (٣/ ٣٥-٣٨، ٤٢-٤٣,٤٥-٤٨):

"إذ قالتِ امــرأةُ عِمــرانَ: ربِّ. إنّي نَذَرتُ لكَ ما في بطني، مُحَــرَّراً. فتــقبّلْ منّي. إنّكَ أنتَ السميع العليم.

"فلمّا وضعتْها (أمّها)، قالت: ربِّ! إنّي وضعتُها أنثى.

"واللّه أعلمُ بما وضعتْ. وليسَ الذَّكَرُ كالأنثى.

"وإنّي سمّيتُها مريمَ. وإنّي أعيذُها بكَ وذُرِّيَّتَها من الشيطان الرّجيم.

"فتقبّلها ربُّها بقَبولٍ حَسَنٍ. وأنبَتَها نباتاً حَسَناً".

"وكَفَلَها زكريّا.

"كلّما دخلَ عليها زكريّا المحرابَ، وجدَ عندَها رزقاً.

"قالَ: يا مريمُ! أنّى لكِ هذا!؟

"قالتْ: هوَ من عندِ اللّهِ. إنّ اللّهَ يَرزِقُ مَن يشاءُ بغيرِ حساب.

"هنالكَ دعا زكريّا ربَّه..(ليهبَه ذرّيّةً. فبشّرَه اللّهُ بيحيى..).

"وإذْ قالـتِ الملائكةُ: يا مريمُ! إنّ اللّهَ اصطفــاكِ. وطهّركِ. واصطفــاكِ على نساء العالَمين.

" يا مريمُ! اقْنُتِي لِربِّكِ. واسجُدي. واركَعي مع الراكعين " .

" إذْ قالتِ الملائكةُ: يا مريمُ! إنّ اللّهَ يبشّرُكِ بكلمةٍ منه اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ، وجيهاً في الدّنيا والآخرة. ومن المقرَّبين.

" ويكلِّمُ الناسَ في المهدِ، وكهلاً، ومن الصّالحين.

" قالت: ربِّ! أنّى يكونُ لي ولَدٌ! ولمْ يَمْسَسْني بشَرٌ!؟

" قال: كذلك اللّهُ يَخلُقُ ما يشاءُ. إذا قضى أمراً، فإنّما يقولُ له كُنْ فيكونُ " .

وجاء في سورة المائدة (٥/ ١٧، ٧٥، ١١٠، ١١٦):

" قل: فمَن يَملِكُ من اللّهِ شيئاً، إنْ أرادَ (اللّهُ) أن يُهلكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّه ومَن في الأرض جميعاً " .

" ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاّ رسولٌ قد خلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وأُمُّهُ صِدّيقةٌ، كانا يأكلانِ الطّعامَ " .

" إذ قالَ اللّهُ: يا عيسى ابنَ مريمَ! اذكُرْ نعمتي عليكَ وعلى والدتكَ، إذ أيَّدْتُكَ بروحِ القُدُسِ. تُكَلِّمُ الناسَ في المَهدِ، وكهلاً " .

" وإذ قال اللّهُ: يا عيسى ابنَ مريمَ! أأنْتَ قلتَ للناسِ اتّخِذوني وأُمّي إلَهَين مِن دونِ اللّهِ؟!

" قال: سُبحانَكَ! ما يكونُ لي أن أقولَ ما ليسَ لي بحقٍّ.. " .

وجاء في سورة مريم (١٩/ ١٦-٣٣):

" واذكُرْ في الكتابِ مريمَ إذِ انتبذَتْ من أهلها مكاناً شَرقيًا.

" فاتّخذَتْ من دونهمْ حِجاباً. فأرسَلْنا إليها روحَنا. فتمثّلَ لها بشَراً سويّاً.

" قالت: إنّي أعوذُ بالرَّحمانِ منكَ إنْ كنتَ تَقيّاً.

" قال: إنّما أنا رسولُ ربِّكِ لأَهَبَ لكِ غلاماً زكيّاً.

" قالت: أنّى يكونُ لي غلامٌ، ولم يَمسَسْني بَشَرٌ. ولم أكُ بغيّاً.

" قال: كذلك قال ربُّكِ. هو عليَّ هَيِّنٌ. ولِنَجعَلَه آيةً للناس، ورحمةً منّا. وكانَ أمراً مقضيّاً.

" فحملَتْهُ فانتَبَذَتْ بهِ مكاناً قَصيّاً.

" فاجَـاءها المخاضُ إلى جِـذعِ النخلة. قـالت: يا ليتَني مِتُّ قَـبلَ هذا. وكنتُ نسْياً مَنسيّاً.

" فناداها من تحتِها: ألاّ تحزَني. قد جعلَ ربُّكِ تحتَكِ سَرِيّاً.

" وهُزّي إليكِ بجذعِ النّخلةِ تُساقِطُ عليكِ رُطْباً جَنيّاً.

" فكُلي واشرَبي وقَرّي عَيناً. فإمّا تَـرَيِنَّ مِنَ البشَرِ أحداً. فقولي: إني نذَرتُ للرّحمانِ صوماً. فلن أكلِّمَ اليومَ إنْسِيّاً.

" فأتتْ به قومَها تحمِلُه. قالوا: يا مريمُ! لقد جِئتِ شيئاً فريّاً.

" يا أُختَ هارونَ! ما كان أبوكِ امرأَ سَوْءٍ. وما كانت أمُّكِ بَغيّاً.

" فأشارتْ إليهِ. قالوا: كيفَ نكَلِّمُ مَن كانَ في المهدِ صبيّاً؟!.

" قال: إنّي عبدُ اللّهِ آتاني الكتابَ، وجعلَني نبيّاً.

" وجعلَني مبارَكاً أينَ ما كنتُ. وأوصاني بالصلوة والزّكوة ما دُمتُ حيّاً.

" وبَرّاً بوالدَتي. ولم يجعلْني جبّاراً شقيّاً.

" والسلامُ عليَّ يومَ وُلدتُ، ويومَ أموتُ، ويومَ أُبعَثُ حيّاً ".

وجاء في سورة الأنبياء (٢١/ ٩١):

" والتي أحـصَنَتْ فَرْجَهـا، فنَفَخنا فـيهـا من روحِنا، وجعلناها وابنَـها آيةً للعالَمين ".

وجاء في سورة المؤمنون (٢٣/ ٥٠):

" وجعلْنا ابنَ مريمَ وأمَّه آيةً، وآويناهُما إلى رَبوةٍ ذاتِ قَرَارٍ ومَعين ".

وجاء في سورة التحريم (٦٦/ ١٢):
" ومريمَ ابنتَ عِمرانَ التّي أحصَنَتْ فَرْجَها، فنَفَخنا فيه من روحِنا، وصَدَّقَتْ بكلماتِ ربِّها وكُتُبِه. وكانت من القانِتين ".

هذا كلُّ ما في القرآن عن مريم. مصادره نصرانيّة. كلامه رائع. كاد يقول بعصمة مريم من الخطيئة. هي آية للعالَمين. نذرتْها أمُّها لتكون مكرّسة للّه. لمّا كبرتْ، تركتْ كلَّ شيء، والتحقت بالهيكل، في الصوم والصلاة والعبادة. نذرتْ نفسها لتنصرف كلّيّاً إلى اللّه. فابتعدت عن العالم وشهواته. وتركت الرجالَ والمجتمع. أوجدَ لها اللّه شيخاً من بني قومها ليحرسَها ويحميها ويساعدها في ما قصدتْ. ورزقها اللّهُ، لكي لا تحتاج إلى أحد، طعاماً من عنده. ولما حان زمان اللّه، ظهر لها جبريل (أو بالأحرى روحُ اللّه) يبشّرها بعيسى. فتساءلتْ وخضعتْ. فحملت من روح اللّه، بطريقة معجزة. وكانت خاضعةً لمشيئته، حتّى فاجأها المخاض. فولدت ابنَها تحت نخلة...

لا يقولُ المسيحيون بغير هذه الأقوال، سوى أنّهم، لاعتقادهم بأنّ المولودَ منها هو ابن اللّه، قالوا بأنّها، إذاً، هي "أمّ اللّه". وهذا الكلام ليسَ انتقاصاً من أزليّة اللّه، وكماله، ولامحدوديّته.. بل هو واقع حال، لأنّ يسوع النّاصري هو إنسان وإله. ولن تكون مريمُ أمَّ جزء من يسوع الناصري.. كما لا يضيرُ اللّهَ أن يتجسّد، فيولَد من امرأة، كما هو حال كلّ إنسان.. وإلاّ كان التجسّدُ حيلةً إلهيّة.

وفي مطلق الأحوال، بقي المسيحيّون يتباحثون، ويتجادلون، ويتعمّقون في كلّ ما يخصّ مريم العذراء، طوال قرون وقرون. ولا يزالون يرون فيها وسيطةً بين اللّه والبشر، تشفع فيهم لمحبّتها لهم، وتضرع إلى اللّه لقربها منه.

وليس على السيّد أحمد زكي إلاّ أن يدخلَ في سرّ مريم العذراء التي كانت الواسطة لتجسّد اللّه، والوسيلة الفعّالة لخلاصهم. وهي تكمّل مسيرتهم الخلاصيّة هذه. فليكمّل السيّد زكي أيضاً محبّته لمن تستحقّ ذلك، أضعاف أضعاف ما يستحقّ أعظمُ نبيٍّ وأكبر وليّ.

***

تكاد تنحصرُ مآخذ السيّد أحمد زكي على المسيحيّين في ما يتعلّق بمريم العذراء في واحدة. وهي أنّ المسيحيّين يعتقدون بأنّ مريم العذراء هي "أمّ اللّه"، فيما السيّد زكي يأبى ذلك ويرفض رفضاً مبرماً، لسببٍ بسيطٍ واضحٍ، يقولُه أيّ إنسانٍ غير مسيحيّ، ألا وهو: كيفَ تكونُ امرأةٌ أمّاً لخالقِها!!!

لا بدّ من أن نُحيلَ السيّد زكي إلى أجيالٍ كاملةٍ من الخلاف بين المسيحيّين في شأن أمومة مريم الإلهيّة.. وقد استقرّ الرأي، في النتيجة، على اعتبارها كذلك، لسببٍ بسيطٍ واضحٍ، هو أنّ مريمَ العذراءَ هي أمُّ يسوعَ النّاصري الذي هو، في إيمان المسيحيّين، إله. فتكون مريمُ إذاً، وبكلّ بساطةٍ ووضوح، أمَّ اللّه.

وما يُسيء إلى هذه المقولة، في نظر السيّد زكي، هو ما يتخيّلُه السيّد زكي، ويتصوّره في ولادة الإنسان الطبيعيّة، مع ما يرافقها من شهواتٍ، وحالاتِ نجاسةٍ وقذارةٍ وبولٍ وغائطٍ وما أشبه.. نقول للسيّد زكي: فليطمئنّ أيضاً إلى أنّ الحياةَ كلّها، وليس في بدايتها فقط، هي هكذا، إذا شاء. وإذا لم يشأ فهي حياةٌ طاهرةٌ، مقدّسةٌ، مستعدّةٌ لأنْ تتعاملَ مع اللّهِ وجميع المقدّسات والمقدّسين والقدّيسين.. بل، مع قذارتها، -على ما يشاء السيّد زكي- قد يُصبحُ الإنسانُ

هذا، المولودُ بالنجاسة، نبيّاً، ووليّـاً، وقدّيساً، ينزلُ عليه الوحيُ، ويصلّي عليه اللّهُ والملائكةُ. وقد يقابلُ اللّهَ مراراً، ويرحلُ إليه في إسراء أو معراج..

ومع هذا، فالمسيحـيّون، في اعتبارهم لمريم، لا يزيدون شيئاً مـهمّاً عمّا هي عليه في قرآن المسلمين. وعلى السيّد أحمد زكي أن يتدبّر هذا القرآن الذي رفعها فوق العالمين.

تبقى الإشـارةُ إلى "يوسف". نقول: هناك تقليدان: واحد نصـرانيّ يقول بأنّ الذي كفلهـا وحماها هو زكريّا، كمـا في القرآن. وقصّة القـرعة التي وقعت عليه مـعروفة في هذا التـقليد النصراني وفـي القرآن الذي أخذ عنه. والتـقليد الثاني مـسيحي يقول بأنّ الذي كـفلها وحماها هو يوسف الذي خطبـها ليكون معها بطريقة مقبولة في ناموس موسى واليهود.

ونقول للسـيد زكي، في هذا الموضوع، بأنّ شـخصاً كـيوسف لا يُطعنُ به لسببِ أنّ القرآن لم يذكرْه. وبأنّ شخصاً كزكريّا لا يؤخذ به لسببِ أنّ القرآنَ قد ذكره.. ونقـول: إنّ المصدرَ الأقربَ للقـبول، في هذه الحال، هو المصـدر الأقرب لوقوع الحدث. ويبدو لـكلّ صاحب بصيرة أنّ الأقربَ إلى الحقـيقة والحدث هو المصدر المسيحي. علماً بأنّ مصادرَ نصرانيّةً عديدة تؤيّد المصدرَ المسيحيّ.

وما على السـيّد زكي، في مثل هذا الاخـتلاف، إلاّ أن يستكمل البـحثَ، فلا يقطع، أو يقف عند ما توصّل إليه. وقد نتّفقُ معه، إذا ما استمرّ في أبحاثه.

الفصل الحادي عشر

الخطيئة الأصليّة والكفّارة عنها

من أين جاء شاؤولُ والمجمّعات الكنسيّة بهذه الخطيئة! الفيروس الذي يلحقُ كلَّ إنسان من حين تكوينه!.. هذه الخطيئة التي ارتكبها آدم وحوّاء في الفردوس، تبدو، بحسب زعم المسيحيّين، سبباً لتجسّد اللّه، وآلامه، وصلبه، وموته، وقيامته.. لولاها، لما كان اللّهُ تجسّد.. ولكأنّها هي أساسُ البناء كلّه. لو لم تكن لما كانت الأديان، ولا الأنبياء، ولا الرسل، ولا الكتب المنزلة، ولا الوحي... لا اليهوديّة، ولا المسيحيّة، ولا الإسلام... ولا العمارة الدينيّة الأخلاقيّة، ولا الرجاء بقيامة البشر، ولا حتّى مقولة النعيم والجحيم...

هذا هو معتقد المسيحيّين، بحسب السيّد أحمد زكي. وهو، برأيه، خطأ وضلال وتضليل. قد يبقى كلُّ شيء، ولا تكون خطيئة أصليّة. هذه الخطيئة لا توجد، لا في التوراة ولا في الأنجيل ولا في القرآن. لم يقلْ بها أحدٌ من الأنبياء، لا إبراهيم، ولا موسى، ولا عيسى، ولا محمّد، ولا الأسباط، لا قبلهم، ولا بعدهم.. لم يُشرْ إليها أيُّ كتاب منزل، أو دين سماويّ، أو وحيٌّ إلهيّ..

وبأيٍّ منطق مقبولٍ تنسحبُ خطيئةُ الآباء على الأبناء!! وما هي المسؤوليّة الشخصيّة في هذه الحال؟ ومَن كان أوّلَ القائلين بها؟ وما كلامُ المسيح فيها؟..

على هذه الخطيئة ألف ألف سـؤال. وليس عليها، في الحقيـقة، أيُّ جواب.. إلاّ أن للسيّد زكي جواباً. فهو يسأل وهو يجيب.

* يقول السيّـد زكي: "أبسبب خطيئة آدم المتسلسلة، التي زعـمها شاؤول، ليضلَّ بها المسيحيّين الحقيقيّين المؤمنين بالله وبالمسيح!؟ وهي التي لم يسمعْ بها المسيحُ ولا إبراهيم ولا موسى!!.. فهلاّ أشار علينا أصحابُ هذا المعتقد الشاؤولي في أيِّ كتاب سماويّ نزلت خطيئة آدم المتسلسلة في البشريّة كلّها؟

"ثمّ لماذا يُرسلُ اللّهُ للبـشر المخـطئين خلاصـاً وفداءً، ولا يرسلُ للمـلائكةِ المخطئين مثلَ ذلك؟!

" هذا الاكـتشـاف، اكتـشفـه لهم شاؤول اليـهودي ليـزيد من خطاياهم، ويحرمهم من الجنّة ليبقيها لليهود بني قومه، ويبقيهم هم محرومين منها، وعبيداً خاضعين للكنيـسة التي تفتخـرُ أنّه بيدها وحدَها رفْعُ خطيئةِ آدم عـنهم بالعماد، على يد قسّيس، أو متقسّس من قساوستها الأبرار، وهي لا تملك لهم دليلاً واحداً على ذلك، ولا تبيّن لهم العلاقة بين العماد والخطيئة المزعومة " (١١٤-١١٥).

* ويقـول أيضـاً: ".. ويجـب على كلّ ذي عقلٍ سـليم أن يرفض هذا الزعمَ المشين للأنبيـاء. إذ كيف يُدخل اللّهُ إبراهيمَ في جهنّم، وهو الذي اختـبره اللّه في محبّته له، أو لابنه الوحيد إسماعيل.. فاختار إبراهيمُ اللّه، وأخذ ابنَه الوحيدَ البكرَ فلذةَ كبده، الذي لم يكد يفرح به بعد سنين عجاف (٨٦ سنة)، ليذبحه حسب أمر اللّه، وهمَّ بأن يُجري السكّينَ على رقبته، لولا أن افتداه اللّهُ بكَبشٍ عظيم!!

"كما نرفض أن يُدخلَ اللّهُ مـوسى في جهنّم، وهو النّبي الذي أرسله لإنقاذ بني إسرائيل مـن نير فرعـون، فامتـثل لأمر اللّه، ونجح في مـهمّتـه، وأي نجاح! فكيف يكافئه اللّهُ على عمله الممتاز هذا بنار جهنّم!! هل من عقلٍ سليمٍ يَقبل بهذا!!

" ثمّ، باللّه، فليُخبرنا أصحابُ هذا المعتقد المستحيل، كيف دخل هؤلاء الأنبياء وغيرُهم جهنَّمَ في الوقت الذي لا يتمّ دخولُها (من قِبل الكفّار) إلاّ يومَ الدينونة، بعد أن يبعثَ اللّهُ مَن في القبور، ليحكم بينهم، ويفصل أهلَ النار للنار، وأهلَ الجنّة للجنّة!! والدينونة لم تقمْ حتّى يومنا هذا، إذ أجساد إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما زالتْ مسجّاةً في مدينة "الخليل"، وأجسادُ الأنبياء الآخرين ما زالت في قبورها! أم تراهم توهّموا أنّ مَن يموت وهو يحمل خطيئة آدم المزعومة، يذهب من الآن إلى جهنّم!!.

" ثمّ، باللّه، فليخبرونا أيضاً مَن قال لهم إنّ مَن يدخلَ جهنّمَ يخرجُ منها! لا يا سادة!! صحّحوا معلوماتكم. إنّكم لا شكّ واهمون! إنّه مَن يدخل جهنّمَ يؤبّدُ فيها، ولا يخرج منها، كما أنّ مَن يدخل الجنّةَ يؤبّد فيها، ولا يخرج منها...

" وهناك شيء طريف غاب ذهنُ القوم (عنه)، نودّ أن نذكّرَهم به: لقد نسيَ الذين زعموا لنا هذه الرواية، أن يخبرونا كيف دخل المسيح جهنّمَ بدون أن يأخذَ مفاتيحَ السموات من بطرس، بعد أن أعطاها له، وهو على الأرض، لا سيّما وأنّ أناجيلهم لم تخبرنا أنّ المسيح وجدها مغلقةً، فقفلَ راجعاً واستعادها من بطرس.

" باختصار.. إنّ خطيئة آدم، في زعم المسيحيّين، خطيئة متوارثة، لا يفلت منها أحد. حتّى الأنبياء أنفسهم توارثوها، وبسببها دخلوا جهنّمَ، لولا أن تداركهم عيسى. أمّا البشر الآخرون فلا يزيلها عنهم إلاّ العماد، داخلَ جدران الكنيسة، على يد قسّيس من قساوستها الأبرار، الذين بيدهم مفاتيح السماء، والذي كلّ ما يربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكلّ ما يحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السموات، ليحيطوا أنفسهم بهالة من القداسة الزائفة، ومن

ناحيـة أخرى ليبقـوا الناسَ أسارى الكنيسة، حـتّى يؤمنوا أن لا خلاصَ لهم إلاّ على أيدي قساوستها الأبرار.

" هذا ما أرادوا أن يصلوا إليه باختصار. لـهذا السبب، زعموا لطوائفهم أنّ كلّ البشريّة مصابة بفيروس خطير إسمه خطيئة آدم، وأنّه كان لا بدّ من دمٍ زكيٍّ، دم المسيح، غـير مصـاب بهذا الفـيروس العجيب، ليـفديهم، أو قسّيس يـعمّدهم. هكذا، واللّهِ، خلقوا الأوهامَ لأنفـسهم ولطوائفهم وعاشوهـا. ومن كثرة تكرارهم لها، مع مرور الزمن، صدّقوها تماما...

ثم، "إذا كان عيســى دمُه زكيّ (كذا)، كما يزعمون، فـهو لا زال مولوداً من امرأةٍ من سلالةِ آدم، وأنّه، وهو في رحـمها، تغذّى على دمـائها.. وكذلك، لمّا وُلدَ، رضع لبنَهـا، وتغذّى عليـه في طفولتـه أيضاً. لذا، فـإنّ دمَه الزكيّ تشـرّبَ ذلك الفيروس اللعين –خطيئة آدم– على الأقلّ بنسبة ٥٠٪ من أمّه.

"أمّا إذا قالوا إنّ مريمَ لم تكن تحـمل ذلك الفيروس اللّعين، قلنا لهم: كيف؟ أليستْ هي ابنة حَنّة ويواكيم عنـدكم؟! وأليستْ حنّة ويواكيم من أولاد آدم الذين يحملون هذا الفيروس، حسب زعمكم. فكيف توقّف الفيروس فيهما، ولم يتسلسل إلى مريم؟!..

"إنّ تلك الخطيئـة –خطيئة آدم– لم تكن إلاّ سلوكاً فـرديّاً، انحصر في آدم وانتهى معه. والسلوك، يا سادة، لا يتوارث.. فتلك الخطيـئة كانت مقصورة عليه، ولم تتسرّبْ مـنه إلى نسله. والإنسان، عند ولادته، يكون خالياً من الخـطيئة. ثمّ، عندما يكبر، يخطئ، أو لا يخطئ. أمّـا أنّ يولد، ومعه صحيفة سـوابق، فهذا ما لا يقرّه عقل، ولا منطق، ولا شرع، ولا دين

"... تلك الخطيئة المزعومة.. فرضوها على العامّة بالقوّة والإكراه. لا تُظهرها سمّاعة الطبيب، ولا أشعّة إكْس، ولا تحليلات المختبر، ولا يستأصلها مبضع الجرّاح، إذ لم نسمع أحداً دخل المستشفى لإجراء عمليّة إزالة خطيئة آدم. لماذا!! لأنّها، لا تُستأصل هناك، إنّما يستأصلها القسّيس بعماده وبيده المباركة!!

لقد "فات هؤلاء الذين صلبوا عيسى من أجل خطيئة آدم في أبنائه، أنّه ستأتي، بعدهم، خطيئةٌ أكبر وأفظع، بل لا تقاس بخطيئة آدم، وهي إنكار وجود اللّه من قِبَل أبناء آدم، ومعها ملايين الخطايا الأخرى التي لا تُعدّ ولا تُحصى. فلماذا حكاية التجسّد لخطيئةٍ واحدةٍ تتركُ باقي خطايا البشريّة التي تُرتَكبُ يوميّاً!! ألا يرون أنّ أبناء آدم اليوم في حاجة إلى عيسى آخر، بل لمليون عيسى آخَر، يكون دمُهم زكيّاً، ليُصلبوا فداءً عنهم من أجل محو خطاياهم!!

"ومن ناحيةٍ أخرى، لو فرضنا أنّ العالم كلَّه اليومَ مصابٌ بمرضٍ ظاهرٍ، كالإيدْز، أو خفيٍّ، كالاكتئاب؛ وأتينا بعيسى آخر، أو مليون عيسى آخر، وصلبناهم، فهل يُشفى العالمُ من أيٍّ من هذَين المرضين!! إنّ العقلَ لا يرى أيَّ علاقة بين المليون عيسى المصلوبين ذوي الدم الزكيّ وبين البشريّة المصابة بأيٍّ من هذَين المرضَين...(١١٥-١١٨).

* وبالنتيجة، "ألعقلُ يرفض، والنقّادُ المسيحيّون يرفضون، والقرآن، الذي يتمشّى مع كلّ عقلٍ سليمٍ، ولا يتمشّى مع البدع أو الأوهام والتهيّؤات، يرفض أن تنسحبَ خطيئةُ آدم على ذرّيته من البشر كما زعم شاؤول والمجمّعات الكنسيّة:

١- لأنّ ما قام به آدم انحصر فيه وتوقّف عنده،

٢- ولأنّه كان سلوكاً فرديّاً من آدم، والسلوك لا يتوارث.

٣- ولأنّ ما جاء في العهد القديم يكذّب ما جاءت به الكنيسة: الأبناء لا يحملون ذنبَ الآباء: "لا يُقتلُ الآباء عن الأولاد، ولا يُقتلُ الأولاد عن الآباء. وكلُّ إنسان بخطيئته يُقتل" (تثنية ٢٤/١٦). وجاء أيضاً: "ألنفسُ التي تخطئ هي تموت. ألإبن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. برُّ البارّ يكون عليه، وشرّ الشرّير يكون عليه" (حزقيال ١٨/١٩). وجاء أيضا: "في تلك الأيّام، لا يقولون بعدُ: ألآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرستْ. بل كلُّ واحد يموتُ بذنبِه" (إرميا ٣١/٢٩-٣٠).

٤- ولأنّ ما جاء في القرآن أيضاً ينقضُ ذلك: "مَن يكسبُ إثما فإنّما يكسبُه على نفسه" (سورة النساء ٤/١١١). وأيضاً: "مَن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه. ومَن ضلَّ فإنّما يضلّ عليها. ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى" (ألإسراء ١٧/١٥). وأيضاً: "لا يُجزى والدٌ عن ولده. ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً" (لقمان ٣٣). وأيضاً: "وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى" (ألنجم ٣٩).

٥- ولأنّ آدم قد نالَ عقابَه، عندما أخرجه الله من الجنّة، بسبب هذه الخطيئة، فانتهت خطيئتُه بهذا العقاب. وهذا عقابٌ كافٍ، ويتناسبُ تماماً مع الذنب الذي اقترفه.

٦- ولأنّ قتْلَ المسيح -بزعمهم- في حدّ ذاته، خطيئة. ونحن لم نسمع أبداً أنّ الخطيئة تمحو الخطيئة. إلاّ في هذا المذهب المعكوس الذي جعلوا فيه اللّهَ قاتلاً ومقتولاً.

٧- ولأنّ "هذا السرّ اللاّهوتي -خطيئة آدم- وغضب الله على الجنس البشري بسببها، ظلّ مكتوماً عن كلّ الأنبياء السابقين. ولم تكشفْه إلاّ الكنيسة بعد حادثة الصلب" (١٢٤-١٢٥).

* يضاف إلى ذلك كلّه تعليم الشاؤوليّة بأنّ المسيح صُلب من أجل خطايا

العالم، كفّـارةً عنها، وغفراناً لها... مـثل هذا مدعاة للسخريّـة. إنّه برنامج عجيب يردّده الشاؤوليّون باستـمرار، ويقولون: "إنّ المسيحَ جاء خصـيصاً ليُصلب من أجل أن يحمل آثامَنا". يقـول السيّد زكي: "أسطوانة برْمَجَـتْهم عليها الكـنيسة. ويردّدونها كـالببغـوات. وتجدهم يدافعـون عن هذا المعتقـد المزعوم... ولا يكلّف الواحد منهم نفسَه جهداً ليتعمّق في البحث" (١١٠).

* وثمّـة قول للمـسـيح: "لا تدينوا لكي لا تُدانوا" (مـتّى ٧/١)، "ينسفُ قضيّةَ موتِه المزعوم على الصليب في أنّه كان كفّارةً عن جميع الذنوب. أي بالرغم من الموت على الصليب، الذي زعمـتْه الكنيسـةُ، فها هي خطايا أتباعـه لم تسقط حسب قول المسيح نفسه، إذ هناكَ مَن سيدينُهم، وهو اللّه" (٤٢٩).

* وأيضـاً هناك قول آخر للمسيح: "وحينئذٍ يجازي كلٌّ واحدٍ حسبَ عملِه" (٢٧/١٦)، "ينسفُ (أيضـاً) العقيـدةَ الشاؤوليّـة الكنسيّـة من أساسـها التي زعمت للناس بأنّ دم المسيح فيه غفران للخطايا" (٥٩٧).

* وعلى قول المـسيح للأشلّ: "مغـفورة لكَ خطاياك" (مـتى ٩/٢)، يعلّق السيّـد زكي: "إعلم عزيزي القـارئ، أنّه لا عيسى، ولا مـوسى، ولا إبراهيم، ولا أحد يستطـيع أن يغفرَ لك خطاياك... "مغـفورة خطاياك"، مبنيّةٌ للمـجهول. مَن الذي غفرها؟ لا شكّ أنّه اللّه".

* وعلى قـول عيـسى: "لكي تعلمـوا أنّ لابن الإنسان سلطان (كـذا) على الأرض أن يغفرَ الخطايا"، يعلّق السيّد زكي: "سلطانُ المسيحِ في غفران الخطايا على الأرض.. يدلُّ دلالةً قـاطعـة أنّه ليـس للمـسيـح سلطان غـفـران خطايا في

السماء.. (أي من قبل اللّه). ثم كيف يستقيم هذا مع قول الشاؤوليّين الكنسيّين إنّ صلبَه كان غفراناً للخطايا" (٤٥٥-٤٥٦).

* ويتبع الكلام على الصلب، كوسيلة للتكفير عن خطيئة آدم، الكلامُ على سرَّي المعمودية والتوبة. فهما أيضا وسيلاتان للتكفير ولمغفرة الخطايا... على هذا، لا بدّ من السؤال: إذا كان المسيح كفّر عن خطيئة آدم، وعن خطايا البشر جميعها، فلِمَ العماد والتوبةُ إذاً!! وبنوع خاصّ، لِمَ عمادُ الأطفال الذين أحبّهم المسيحُ، وقرّبهم منه لبراءتهم، واعتبر ملكوت السموات لمثلهم، وملائكتَهم يعاينون اللّهَ دائماً!!! من أين جاءتهم الخطيئة؟ وكيف؟ يقول السيّد زكي:

"إنّ المسيحَ رسول. ويحبّ الأطفال، لأنّهم أبرياء. فها هو يحتضنهم ويضمّهم إلى صدره. ولا يهتمّ. ولا يسأل ما إذا كانوا قد تعمّدوا أم لا. ممّا يُسقطُ قولَ الكنيسة بضرورة تعميد الأطفال لخلاصهم من الخطيئة المزعومة. ذلك العماد الذي ابتدعوه ليسيطروا به على حياة الناس، ويضعوا أنفسَهم بين اللّه والأمم تماماً كما فعل كهنةُ اليهود" (٤٩١).

* وعن سرِّ التوبة والاعتراف إلى القسّيس، كوسيلة أخرى لغفران الخطايا، يعود بنا السيّد زكي إلى نشأة هذا السّر، فيقول: "قسطنطين، الذي قتل زوجتَه في مرجلٍ يغلي، وقتلَ ابنَه، اعتنقَ المسيحيّة لتكونَ غطاءً له، وحمايةً له ولدولته من الانهيار، فطوى القساوسةَ تحتَ إبْطِه.. وأسبغَ على المسيحيّة غلظةً وقسوةً.. وأعطى القساوسةَ هيمنةً وصَولةً، وقتلَ مخالفي الدين المسيحي الجديد - أي الدين الشاؤولي الكنسي-. من هنا، تشرّب أكثرُ النصارى بالقسوة البربريّة التي، بمقتضاياها، أباحوا قتلَ مخالفيهم في الدين..

* "ومن قسوة الكنيسة، على حدّ قول السيّد زكي، أنّها راحت تبرّرُ تدخّلَها بين الناس، وتجعل الكَنَّـةَ تشي بحماتهـا، والابنَ يعترف عن أبيـه، والابنةَ تخون أمَّها، لا سيّمـا في تلك العصور المظلمة التي انتشرت فيها مـحاكم التفتيش، يوم كانت الكنيـسةُ تقـومُ بدور المباحث والاستـخبارات العـامّة، وتتـجسّس في كلّ مدينة وقـرية وبيت، يومَ ابتدعت فكرةَ الاعتـرافِ للقسّيس، لتـعرفَ كلَّ صغـيرةٍ وكبيـرة تدور في الخفاء من وراء ظهرها لكـلّ مَن يناقض معتقـداتها. يوم كان القسُّ أو الراهب هو الحاكم بأمره، يأمرُ وينهي ويعذّب للحصول على الاعترافات من الابن ضدَّ أبيه، ومن البنت ضـد أمّها، ومن الكَنَّةِ ضدّ حمـاتها.. ومن ثمّ يأمر بالتـعذيب أو بالإعـدام أو بالحرمـان أو الحرق على الخـازوق. ومن المفارقـات المضحكة أنّهم لا زالوا يعترفون للقسّيس بأفعالهم حتى اليوم" (٤٨٦).

* وبالنتيـجة، إنّ القـول بأنّ المسيحَ، بصلبه، يغـفرُ خطايا البـشر، من آدم حتى آخـر الدهر، وبإنّ المعموديّة، إيضاً، تمحـو الخطيئة الأصليّة، وجـميعَ الآثام والزلاّت الشخصـيّة، وبأنّ الاعتراف إلى القسّـيس يزيل كلَّ ما ارتكب من ذنوب فيـما بعد...أليس هذا ممّا يشـجّعُ البشرَ على الاسـتمرار في الشـرّ!!. بهذا المعنى يقول السيّد زكي: إنّ الكنيسةَ تزعم "أنّ عـيسى سيحمل خطايا العالم.. أليسَ في هذا الزعم تشجيعاً (كذا) لمزيد من الجـرائم والخطايا، طالما هناك مَن هو مستعدٌّ لأن يحملَها عن البشر!!؟؟ (٣٣٩).

***

نقول:

ينحصـر كلامُ السيّد أحمـد زكي، في هذا الفصل، في أربعة مـوضوعات:

خطيئة آدم، صلْب المسيح تكفيراً عنها، ألعماد أيضاً للتكفير عنها، وأخيراً الإقرار بالخطايا الشخصيّة للقسّيس.

عن هذه الموضوعات الشائكة نقول للسيّد زكي ما يلي:

أوّلاً- خطيئة آدم

قد يكون على رأس البشريّة إنسانٌ أوّل يسمّى آدم، وقد لا يكون. وبالتالي ليست خطيئةُ آدم هي التي انسحبتْ على البشريّة جميعها. بل هناك، في الجبلّة البشريّة المخلوقة، شرٌّ، أو فسادٌ ما، يلازمُ الإنسان، ويُبعده عن اللّهِ، الخيرِ المطلق. ولا يستطيعُ أحدٌ أن يعيده إلى اللّه والتقرّب منه غيراللّه نفسه..

ونأمل من السيّد زكي أن يعفينا، هنا، من الكلام على الشرّ، وأصله، وفصله، ومشكلة وجوده في الكون. فهو، أي الشرّ، لا يزال موضوعَ بحثٍ مستمرٍّ في الأديان والمعتقدات، كما في المذاهب الفكريّة والفلسفيّة المختلفة؛ عند المؤمنين باللّه، كما عند الجاحدين والملحدين.

فالشرّ موجودٌ. وموجودٌ في كلّ إنسان، منذ ولادته. والإنسانُ الفرد، على ما يبدو، بسبب انتمائه إلى البشريّة، يحملُ أعباءَ هذا الانتماء، بدون ذنب شخصيّ منه. إنّه، والحالةُ هذه، في وضعٍ بعيدٍ عن اللّه. لذا، لا يمكنه أن يستعيدَ إمكانيّةَ القرب من اللّه، وإمكانيّةَ التكفيرِ عن شرٍّ لم يقترفْه، إلاّ بوسيلةٍ خارجةٍ عن إرادته. أكانت هذه الوسيلةُ وحياً، أم نعمةً، أم تكفيراً من اللّهِ نفسه، أم كبشَ محرقة، أم غسلاً ووضوءاً، أم تعميداً، أم ظهوراً إلهيّاً، أم أيّ شيء آخر.

وبسبب عظمة الإنسان عند اللّه خالقه، من جهة؛ ولعدم مسؤوليّته الشخصيّة، من جهةٍ ثانية، وجدتِ البشريّةُ أنّ وحياً سماويّاً، أو ظهوراً إلهيّاً، أو مجيءَ اللّهِ نفسِه، بات أمراً محتوماً. ولكن، بالنسبة إلى المسيحيّة، لقد جاء اللّه نفسُه. جاء مخلِّصاً وفادياً. جاء يكشفُ للإنسان محبّتَه ورحمتَه. فأصبحَ للإنسانِ إمكانيّةُ الخلاص من هذا الشرّ، الشرّ الذي في جبلّته، بسبب انتمائه إلى البشريّة، والشرّ الذي صنعه هو بملء إرادته ووعيه.

نقول دائماً كلمة "إمكانيّة"، لأنّ الإنسانَ واقفٌ بين الخير والشرّ. يستطيع صنعَ الإثنين معاً، و"لأنّ اللّهَ الذي خلقكَ بدونك، على ما يقول أغوسطينوس، لا يخلّصك بدونك".. ففي القول بمقولة "الإمكانيّة" تسلم حرّيّةُ الإنسان إلى آخر ما يريد الإنسان لنفسه من حرّيّة.

والحقّ يُقال: لا شيء، يضاهي خلق اللّه للإنسان سوى خلاصه له. ولا شيءَ يضاهي الخلقَ والخلاصَ معاً سوى إبقاء الإنسان، أمام الخير والشرّ، كائناً حرّاً، بإمكانه الاختيار الحرّ لما يشاء.

***

بهذه الأفكار، نقول للسيّد زكي: في هذه النّظرة المسيحيّة للخطيئة الأصليّة -ولا نقول لخطيئة آدم- مقاربةٌ عقليّةٌ مقبولةٌ أكثر بكثير عمّا جاء به القرآن أو سائر الأديان والمذاهب. ونأمل من السيّد زكي أن لا يأخذ علينا أنّنا ننتقد بقدر ما نوضح له حقيقةَ الأمر. ولنستعرض ما جاء في القرآن. فهوأيضاً شيء خطير. يقول القرآن:

إنّ اللّهَ قال للمـلائكة: سأخلق آدمَ خليفةً لي في الأرض. فـاعترض الملائكةُ: أتجعلَ فيها مَن يُفـسد فيها ويَسفكُ الدماء! فيمـا نحن نسبّحك ونمدحك ونقدّس اسمك!؟ (٢/ ٣٠).

ومع ذلك، خلق اللّهُ آدمَ، وميّـزه على الملائكة، فعلّمه أسمـاء الكائنات كلّها.. ولم يعلّمها للملائكة (٢/ ٣١). فاغتاظ الملائكة من اللّه. وعَصَوا.. فأمرهم اللّهُ بأن يسجـدوا لآدم. فسجدوا إلا إبليس الذي أبى واسـتكبر وكفر (٢/ ٣٤). فـسأله اللّه: "يا إبليس! مَالَكَ لا تسـجد؟" (١٥/ ٣٢). فأجاب إبليس: "لا أسجـدُ لبَشَرٍ خلقتَـه من صلصال، من حَمَإٍ مـسنون (أي من طين يابس، أسود متغـيّر اللّون) (١٥/ ٣٣). وفي مكان آخر أجاب أيضاً: "لا أسـجد. أنا خيرٌ منه (أي من آدم). خلقتَني من نار، وخلقتَه من طين" (٧/ ١٢، ١٧/ ٦١، ٣٨/ ٧٦).

إلاّ أنّ اللّهَ غـضب على إبليـس. فأخـرجـه من الجنّة. ولعـنَه إلى يوم الدّين (٣٨/ ٧٧-٧٨). ونبّهَ اللّهُ آدمَ وحوّاء: إنّ إبليسَ هذا هو عدوّكـما. وقد يُخرجكما من الجنّة، حيث أنتما سـعيدان، لا تشعران بجوع، ولا تستـحيان من عري، ولا تحسّان بعطش، ولا تتعرّضـان إلى حرّ شمس (٢٠/ ١١٧-١٢٠).

وهدّد إبليسٌ اللّهَ بأنّه سيغوي آدمَ وزوجتَه (١٥/ ٤٢)، ويستأصل ذريّتَهما بالإغواء (١٧/ ٦٢، ٣٨/ ٨٢)..

وعزم اللّهُ عـلى اختبـار آدم: أيسمع لإبليس، أم لا!. فطلبَ مـنه أن لا يقربَ شجرةً في الجنّة، هي شجرة الخلد (٢/ ٣٥، ٢٠/ ١٢٠)..

إلاّ أنّ آدمَ سمع لوسوسات إبليس الذي أغواهما فأزلّهما، إذ طلب منهما أن يذوقا الشـجرة. فـذاقاها. فسـقطا من النعيم. ولمّا بدت لهـما سَوآتُهـما، طفـقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة (٧/ ٢٢، ٢٠/ ٢١).

وجاء في تجـاريب إبليس لهما بأنّ اللّهَ منعـهما الأكلَ من الشـجرة لكي لا يصبحـا مَلاكَين، أي لكي لا يكونا من الخالدين (٧/ ٢٠).

ولمّا علم اللّهُ بمعصـيتهمـا، غضـب عليهمـا، وأخرجهمـا من الجنّة حتّى يوم القيامة (٢/٣٦، ٧/٢٤-٢٥).

لكنّ آدمَ تابَ عن فـعلته. فـتاب اللّهُ عليـه (٢/٣٧). ومع هذا، وبالرّغم من توبة آدم، لم يكفّ اللّهُ عن عـقابـه، إذ أسقطه من الجنّة، هو، وزوجـتَه، وذرّيتَـه، حـتى يوم الدين. قـال لهـما: "أهبطـا منها جـمـيـعاً، بعـضُكم لبـعضٍ عـدوٌّ" (٢٠/١٢٣)، أي أنتما وذرّيتُكـما، ويصبحُ الواحدُ من ذرّيتكمـا عدواً للآخر إلى يوم القيامة (أنظر أيضاً: ٢/٣٦، ٧/ ٢٤).

ولكنّ اللّهَ الذي شـدّد العـقاب على آدم وذرّيتِـه، **وعدَهم بـالهدى،** أي بالقرآن (بالنسبة إلى المسلمين، وبالمسيح المخلّص بالنسبة إلى المسيحيّين). قال:

"أهبطوا منهـا جميـعاً (أي ذرّيّة آدم). فـإمّا **يأتيَنَّكم مِنّي هدى. فمَن تبعَ هدايَ فـلا خوفٌ علـيهم. ولا هم يحـزنون"** (٢/٣٨). أو أيضـا: "قال: اهبطا منهـا جميـعاً، بعضكم لبـعضٍ عدوٌّ. **فإمّـا يأتيَنَّكم مِنّي هدىً. فمن اتّبع هُدايَ فلا يَضِلُّ ولا يَشقى"** (٢٠/١٢٣).

نقول:

مسيرة خطيئة آدم وتوبتِه ومـفاعيلِ هذه الخطيئة وهذه التّوبة على ذرّيته، ووعد اللّه له ولذرّيتـه بالهدى والخـلاص.. هي نفسـهـا مسيـرة المسيحـيّة. مع فارقَين جوهريّين هما:

الأوّل- إنّ الهدى والخـلاص، عند المسيحيّـين، تحقّقا في تجـسّد ابن اللّه. فيما هما، في الإسلام، تحقّقا في القرآن.

الثاني- إنّ المسلمين حطّوا رحالَهـم عند آدم، ونسبوا إليه خطيئةً اسـتمرّت تتفـاعل في ذرّيته. فيمـا المسيحيّـون لا يزالون يتساءلون حول رأس البـشريّة؛ ولكنّهم يعترفرن ببشرّية فيها "إمكانيّة" الشرّ، كما فيها "إمكانيّة" الخير. وذلك

تَبعاً للحرِّية التي تتمتّع فيها. فالمسيحيّون والمسلمون يعترفون بهذا الواقع. فما بالُ السيِّد أحمد زكي، إذاً، يتنكَّرُ لإيمانه!!

ثانياً- تكفير المسيح:

بعد الذي رأينا، بات سهلاً على السيِّد أحمد زكي استيعابُ موضوع الخطيئة الأصليّة، وموضوع التكفير عنها. فالشرّ الحاصلُ في العالم، مَن المسؤولُ عنه!؟ لا أحد. مَن يغسلُه ويقضي على نتائجه على البشريّة؟! لا أحد أيضاً. فلا بدّ، إذاً، من أن يتدبّرَ اللّهُ أمرَه. وذلك، إمّا بطريقة الوحي، وإمّا بتشريعٍ سماويّ، وإمّا بإرسال رسل وأنبياء، وإمّا بظهورات منه وتقويم ما اعوجّ، وإمّا بتجسّد اللّه نفسه، وما يتبع ذلك من تعاليم وأعمال خلاصيّة..

والحقّ يقال: إمّا يكون المؤمن مؤمناً بالتزام اللّه للتكفير عن هذا الشرّ الشامل للبشريّة، وإمّا لا يكون الإنسان مؤمناً بذلك، فتستمرّ البشريّة نفسُها، وبطرقها التعيسة، تعالجُ شرَّها بذاتها. والإسلام يقدّم الحلّ الثاني، فيما المسيحيّة تقدّم الحلّ الأوّل.

ثالثاً- العماد للتكفير:

العماد، في المعتقد المسيحي، هو هذا الالتزام الشامل للإنسان مع الإنسانيّة كلّها، لمحاربة الشرّ الشامل، وإمكانيّة التحرّر منه، بإعادة اللّحمة بين اللّه والإنسان، غيرِ المسؤولِ عن هذا الشرّ، أو أيضاً الإنسان المسؤول عن شرّه

الشـخصي. هذه اللُحـمة قـام بها الـلّهُ أوّلاً، والإنسانُ يُجـيب. أمّا في المعـتقـد الإسلامي فالإنسانُ هو نفسُه مكلّفٌ بالتكفير، وبإعادة اللُحمة بين اللّه والبشريّة. وهذا هو الفرقُ كلُّه بين المعتقدَين.

بالعماد، فـي المعتقد المسيـحي، يغفرُ اللّهُ الخطايا كلَّها، ويـعود الإنسانُ إلى برارتِه واستحقاقه الوقـوفَ بين يدي اللّه.. وهذا ما لا يفوتُ السيّدَ زكي، لأنّ ما في الإسـلام من غسلٍ ووضـوءٍ ومـراسيم تـطهيـرٍ عـديدة، لحالات الإنسـان العديدة، هو كـالمعموديّة الدائمة التي أخـذها الإسلامُ عن شِيَعٍ نصرانيّـة قديمة، كـ"المعمدانيّـين" الأقدمين، أو "المغتسلة"، أو أيضاً "ألصـابئة".. الذين وطّدوا منازلَ سكناهم على ضفاف الأنهر، طلباً للماء للتطهير.

في كلّ حال، ألمعـموديّة في إيمان المسيـحيّين، هي التزام المسـيحيّ لإيمانه، وعيشه الدائم مع المسيح، وحالة تبـرير من جميع الخطايا التي ارتكبها الإنسان بسببِ أعمالٍ شرّيرة ارتكبها شخصياً، أو بسببِ انتمائه إلى بشريّةٍ يخضخضها الشرّ منذ وجودها حـرّة. وهذا الانتماء هو ما يبرّر تعميـد الأطفال الذين لا شرٌّ فـيـهم يُسـألون عنه. وقـد يُعلنُ إيمانَهم هذا عـرّابان ينوبان عـنهمـا يقـومـان بمساعدتهم في معراجهم الرّوحي هذا.

رابعاً- التوبة والإقرار:

توبةُ الإنسان عن شرّوره وعن خطاياه التي ارتكبها بوعـيه هي أمرٌ مقبولٌ في مختلف الأديان. ألإنسـانُ يخطأ. وعليه أن يتوب عن خطيئتـه. هذا شأنٌ عامٌ

شاملٌ حتّى للإنسان غير المؤمن بإلهٍ أو بدين.

يضافُ إلى هذه التوبة الواجبة، قولُ المسيحيّة بالإقرار والاعتراف بالخطايا الشخصيّة المرتكبة بوعي الإنسان وإرادته. هذا الإقرار تفرضه الكنيسة في أن يكون أمام أحد ممثّليها الموكول إليه ذلك، والمتحصّن بهذا السلطان.

ولكن، لمَ وجوب الإقرار بالخطيئة أمام الكنيسة؟ نقول: حجّة المسيحيّين في ذلك واضحة، وهي أنّ خطيئة الإنسان تتخطّى في مفاعيلها الشرّيرة مرتكبيها. فكما أنّ شرَّ الخطيئة ينالُ من قداسة مرتكبيها، فهو أيضاً، وبطريقة أشدّ، ينالُ من قداسة الكنيسة التي تمثّلُ اللّه بين البشر. ولهذا السبب تضعُ الكنيسةُ يدَها على الخطيئة، وتفرضُ التكفيرَ عنها، وكيفيّة التوبة والمصالحة بين مرتكبيها وبين اللّه.

وإذا كان السيّد زكي يأخذ على هذا الاعتراف فيعتبره تشجيعاً لمرتكب الخطيئة على أن يرتكب خطايا أكثر.. فنقول له أيضاً بأنّ عدم الاعتراف بها يعرّض الإنسان إلى ارتكاب المزيد. والإيمان الحيُّ، عند المسيحيّين الملتزمين، كفيلٌ بأنْ يقدّمَ للسيّد زكي دليلاً ساطعاً، وحسّاً روحيّاً مرهفاً على ضمائرَ لا تزال حيّة في مجتمعاتٍ مدنيّة يشملها الشرّ والفساد من كلّ جانب. هذا الشعورُ الروحي المرهف لا يستطيعُ السيّد أحمد زكي معرفتَه إنْ فاتَه الإيمان المسيحيّ.

الفصل الثاني عشر

"وما قتلوه. وما صلبوه. ولكن شُبِّهَ لهم"

(سورة النساء ٤/١٥٧)

جاء في سورة النساء:

١٥٧- "وقولِهم (أي اليهود): إنّا قَتَلنا المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ، رسولَ اللّهِ. (وقول اللّه): وَما قَتلوه. وَمَا صلبوه. ولكنْ شُبِّهَ لَهُم (أي ألقى اللّهُ على عيسى شبهَه فظنّوه إيّاه). وَإنَّ الّذِيْنَ اخْتَلَفوا فيه (أى في عيسى) لَفِي شَكٍّ منه (أي من قتله). مَا لَهُمْ بِهِ (أي بقتله) مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّبَاعَ الظّنِّ (أي اتّباع ما يتخيلون). ومَا قَتَلوهُ يَقِيْناً (حال مؤكّدة لنفي القتل).

١٥٨- "بل رَفَعَهُ اللّهُ إليهِ. وكان اللّهُ عزيزاً حكيماً.

١٥٩- "وإنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلاّ لَيؤمِنَنَّ به(بعيسى)، قَبْلَ مَوتِه (أي قبل موت عيسى عند قرب الساعة) ويومَ القيامَةِ يكونُ (عيسى) عليهم شهيداً".

يقولُ المسلمون: روايةُ الإنجيل عن قتلِ المسيحِ وصلبه وموته مرفوضة، علميّاً وتاريخيّاً. المسيح، في معتقدهم، لم يُقتل. ولم يُصلب. بل شُبِّه لليهود ذلك. غير أنّ القتلَ والصلبَ وقعا على غير عيسى، أي على شخصٍ يشبهه. وحاشا

للمسيح أن يُقتل، أو يُصلب على أيدى اليهود والرومان، بهذا الشكل المهين واللّعين، كما تروي الأناجيل.

على هذه المقولة، هناك كتبٌ عديدة، وضعها مسلمون، تبرهن، وتؤكّد، إستناداً إلى إثباتات القرآن، وروايات الأناجيل المختلفة، بأنّ عيسى لم يُقتل ولم يُصلب. بل وقع القتل والصلب على الشَّبَه... وممّا يستدعي السخريّةَ إتّهامُ الشاؤوليّين اللّهَ الأب بقتلِ ابنِه، حبّاً بالبشر. إنّهـا، حقّاً، جريمةٌ يعجزُ الشيطانُ نفسُه أن يأتي بمثلها.

* قال السيّد أحمد زكي:

" زعموا للنّاس: أنّ اللّه قتلَ ابنَه الحبيب ليُرضي نفسَه.. أي أنّ اللّهَ قتلَ اللّهَ إرضاءً للّهِ. أي أنّ القاتلَ هو عين القتيل. ونسَوا أنّ.. قاتلَ ابنِه يُسمّى مجرماً.. والإلَهَ الذي يُقتَل فيموت ليس بإله..

" فهل سمعتَ، عزيزي القارئ، أنّ القتلَ يُسمّى حبّاً؟! في أيّ عرْفٍ هذا؟! ولا يملك المرء إلاّ أن يتساءل، في هذا الخلط الغريب العجيب، كيف أدخلوا اللّهَ في هذه المتاهة، وجعلوه قاتلاً، بينما القاتل هو بيلاطس، ويشاركه في الجرم قيافا، رئيس كهنة اليهود.. فما شأن اللّهِ الذي زجّوا باسمِه في هذه الجريمة المزعومة النكراء؟ فقيافا هو الذي خطّط، وبيلاطس البنطي الذي نفّذ. ثم من أين جاؤوا بغفران الخطايا؟! حقّاً لقد بذّوا الشيطان!!! لأنّه، لو أراد الشيطانُ أن يأتي بأكاذيب أفظع من هذه ليُفسِدَ دينَ المسيح، لما استطاع " (١١١).

* ويحقّ للمرء أن يتساءل: إذا كان المسيحُ هو اللّه. وإذا كان اللّهُ قد صُلب وقُتل ومات. فمَن هو ذاك الذي كان، في موته، يهتمّ بالكون وما فيه!!! " مَن كان

ممسكاً السماءَ والأرضَ ساعةَ صلبِه، وبعد موتِه ودفنه، بل وطيلة حياته على الأرض؟" (١١٢).

* ويتساءل المرء أيضاً: أيُعقل أن يقتلَ المخلوقُ خالقَه!! بأي منطق يقال مثل هذا الكلام؟! وهل يُعقل أن يبصقَ المخلوقُ في وجه خالقه؟ ويجلده؟ ويكلّله بالشوك؟ ويُسقيه خلاً ومرّاً؟ ويطعنه بالرّمح؟ ويعرّيه من ثيابه حتى تبان عورتُه؟ ويرفعه على خشبة العار؟ ويحكم عليه شرَّ ميتة؟ كيف ذلك؟ ثم كيف؟

* يقول السيّد زكي:

"اليهود يطاردون الإلهَ الذي ابتدعتْه لهم تلك المجامعُ، في كلّ مكان، حتّى ألقوا القبضَ عليه، وأوسعوه ضرباً وبصقاً وجلداً. ثمّ ألبسوه تاجاً من الشّوك زيادةً في الاستهزاء.. وأخيراً، حكَمَ عليه رئيسُ كهنتهم بالموت!!

"ماذا!؟ المخلوقُ يحكمُ على الخالق بالموت؟! إيْ واللّهِ. حكموا على إلههم بالموت!! ألا يدلُّ هذا عند كلّ ذي عقل سليم، أنّ الدين الشاؤوليّ الكنسي من رابع المستحيلات!!!" (١٠٩).

أما ما يقولُه القرآن في آية النساء: "ما قتلوه وما صلبوه. لكن شُبِّهَ لَهُمْ". ويردّده المسلمون حتّى آخر الدهر، فهو أكثرُ ما في الإسلام عداوةً للمسيحيّة... هذا الموقف، نجمعُ براهينَ السيّد زكي عليه، من خلال صفحات كتابه المتفرّقة. براهين يسمّيها السيّد زكي "ذخائر". وهي عشرون وأكثر، يقدّمها للمسيحيّين ليعتبروا، ويرتدّوا عن قولهم المرفوض بأنّ المسيحَ قُتلَ، وصُلب، ومات، ودُفن، ثم قام... هذه مقولات كفر واضح بحقِّ اللّه وعيسى ودين المسيح الحقيقي. هنا نحن في صميم المشكلة، ومع الموضوع الأساسيّ من موضوعات الكتاب، ومع موقفٍ حاسمٍ من مواقف الإسلام من المسيحيّة. وفي بالنا عرْضُ كلٍّ ما جاء به

السيّد زكي في هذا الباب. فهو فيه يختصرُ نظريّة المسلمين كافّة، وببراعة كبيرة. وليعذرنا القارئ على نقل "ذخائر" السيّد زكي، مع ما فيها من تكرار.

* يقول السيّد زكي: "إنّ المسلمين، كالطوائف المسيحيّة الأولى، لا يؤمنون بصلْبِ المسيح، ولا بقيامته. لأنّه، في آخر اتّصالٍ للسماء بالأرض، كشفَ اللّهُ لهم وللعالم، في القرآن، حقيقةَ ما جرى، وهو أنّ اللّهَ كان قد رفعَهُ قبلَ أن تمتدَّ أيدي أعدائه إليه، وأنّ الذي صُلِبَ كانَ شَبيهاً له تَمامَ الشّبَه..

" والسؤال الآن: هل هناكَ صدى في الأناجيل لهذه الحقيقة التي جاءت في القرآن!!؟ أي: هل صُلِبَ المسيحُ أم لا!؟ قد يستغربُ المسيحيّون.. أنّ كَتَبَةَ الأناجيل، الذين ذكروا لنا صراحةً في أواخر أناجيلهم أنّ المسيحَ صُلب، هم أنفسُهم ذكروا لنا سطوراً أخرى قالوا فيها إنّ المسيحَ لم يُصلب. وبالتالي الذي صُلب كان غيرُه! كيف ذلك؟؟!!

" في الحقيقة.. أنّ الحقيقة عميتْ على أكثر من بليون من البشر لا زالوا حتّى اليوم مضلَّلين يعتقدون بصلب المسيح الذي أراد أن يُسوّقَه عليهم شاؤولُ وكَتَبَةُ الأناجيل، ذلك لأنّ عدم صلب المسيح مغطىً بقشّةٍ هنا وقشّةٍ هناك. فتعالوا، أعزائي القرّاء، نجمعُ هذا القشَّ وننزعه شيئاً فشيئاً عن وجه المسيح، ليطلَّ علينا المسيحُ الذي لم يُصلب" (٧٠٩-٧١٠)

الذخيرة الأولى: يقول السيّد زكي: "تعالوا ندقّقُ النظرَ في قوله "لا ترونَني من الآن، حتّى تقولوا مبارك الآتي باسم الرّب" (متّى ٢٣/ ٣٩). لقد كان المسيحُ يودّع سكّانَ أورشليمَ، لأنّه عَلِمَ أنّ اللّهَ سيرفعُه. لذا كان المسيحُ واثقاً أنّهم لن يروه بعدَ الآن. ولكن كتبَةُ الأناجيل يتحدّثون، بعد ذلك، عن "يسوع" الذي أُلقيَ عليه القبضُ، وأُعيدَ إلى أورشليم، وحوكمَ داخلَ أسوارها، ورآه

الجميعُ، وهتـفوا: اصلبْه اصلبْهُ.. فكيفَ ذلك؟! هل كان المسـيحُ يكذب عندما قال لن تروني من الآن!؟ لا. المسيح لم يكذب.. إذاً، كـيف نفسّرُ رؤيةَ الجمـيع لعيسى بعد أن قال مودّعاً سـكانَ أورشليم "لا ترونني من الآن"!؟ لا تفسير لذلك إلاّ أنّ كتبَةَ الأناجيل يتحدّثون عن شخص آخر غيره، ظنّوه عيسى.

"فاحـفظوا لنا، أعـزّائي القرّاء، هذا النّص ذخـراً عندكم تحت رقم (١) في إثباتنا أنّ المسيحَ لم يُصلب بنصوص الأناجيل، وأنّ الذي صُلب كان غيره شبيهاً له، فظنّوه المسيح. وقـد يتساءل البـعضُ: من أين أتى هذا الشبه البـديل، فنقول لهم: مهلاً ستعلمون بعد قليل" (٧١٠).

الذخيرة الثانية: تعليقـاً على قول المسيح لتلامـيذه: "كلّكم تشكّون فيَّ في هذه اللّيلة" (متّى ٢٦/ ٣١)، يقول السيّد زكي: "إنتبهْ جيّداً، عزيزي القارئ، ما مـعنى هذه الجملة!؟ ليس لها إلاّ مـعنى واحداً، وهو أنّ المسيح كـان عالماً بما سيحدث. لذا قـال لتلاميذه: "سيخـتلط عليكم الأمرُ، وتشكّون كلُّكم فيّ في هذه اللّيلة، معتقدين أنّي أنا الذي أُلقِيَ عليه القبضُ، وأنّي أنا الذي صُلِبتُ!". لماذا قال لهم المسـيح ذلك؟ لأنّه كان واثقـاً أنّ اللّهَ سينجّـيه، وأنّ إلقاءَ القـبضِ والصّلبِ سـيقـعان على شـخصٍ غيـره، يكون تمام الشـبه به، وأنّ الأمـرَ سيلتـبسُ على تلاميذه...

"وللذين يشكّون في قولنا، نقول لهم: تعالوا نعـود قليلاً إلى الوراء، لنتأكّدَ سويّاً من ذلك، حـسبِ قول المسيح نفـسِه للكهنة في إنجيل يوحنّا: "سـتطلبونني ولا تجدونني. وحيثُ أكونُ لا تقدرون أنتم أن تأتوا" (٧/ ٣٤). أليسَ هذا دليلاً على تحدّيه للكهنة، ووثوقه تمام الثقة في أنّ اللّهَ سيرفعه قبل أن ينالوه بسوء!؟.. وقـولُه: "سـتطلبـونني"، يعني: سـتطلبـونني للصّلب. لكن لن تجـدوني، إنّمـا ستجدون بديلاً عنّي يُشبهُني تمام الشبه. أمّـا أنا فسأكون قد رُفعتُ إلى السماء،

وحيث أكون في السماء لا تقدرون أن تأتوا..

ثمّ أيضا: "تعالَ لنؤكّدَ لكَ أنّ المسيحَ لم يُصلب. بل لم يكن أحدٌ يجرؤ على صلبه. وأنّ الذي وقع عليه الصلب هو غيره.. لقد قال المسيح: "والذي أرسلني هو معي. ولم يتركني اللّهُ وحدي" (يوحنّا ٨/٢). وقال أيضاً: "تتركونني وحدي. وأنا لستُ وحدي. لأنّ اللّه معي" (١٦/٣٢).. فيا عزيزي القارئ! يا مَن تبحث عن الخلاص الحقيقي! هل مَن كان اللّهُ معه.. هل يتمكّنُ منه اليهودُ ويصلبونه!؟.. اللّهُ الحقيقي، ربُّ السموات والأرض، القادر على نجاة المسيح بكلّ سهولة من أيدي حفنة من الكهنة اليهود.. إنّ إلهاً يفرّطُ في دم ابنه ووحيده، كما تزعم الأناجيل، لغير قادر، ولغير مؤتمن على حماية الآخرين الذين هم ليسوا أبناءه. فالأولى لك أن تعبد اليهودَ لأنّهم أقدرُ منه.

"نتركُ معكم ذخيرةً نأتمنكم عليها تحت رقم (٢) في إثبات عدم صلب المسيح من نصوص الأناجيل نفسها.. وفي أنّ الذي صلب كان شبيهاً له، أرسلَه اللّهُ ليفدي به عيسى ابن مريم تماماً كما فدى إسماعيل بكبشٍ كبير" (٧٨٢-٧٨٤).

الذخيرة الثالثة: تعليقاً على قول لوقا: "وظهر ملاكٌ من السماء يقوّيه" (٢٢/٤٣)، يقول السيِّد زكي: "نودّ أن نسألَ لوقا: كيف عرف أنّ ذلك ‹القادم من العالم الآخر› هو ملاك وليس البديل الشبيه الذي رسم اللّه صورةَ عيسى على وجهه ليُصلب مكانَه! وبذا يكون اللّهُ قد فدى عيسى كما فدى إسماعيل من الذبح بكبشٍ كبير!. إنّ ما يؤكد قولَنا هذا أشياء كثيرة. منها:

أوّلاً- إنّ الظلامَ كان قد أُسدِلَ ستارُه، وتتعذّرُ الرؤيا في الليل.

ثانياً- ذكَرَ لوقا مجيءَ هذا ‹القادم› ولم يذكرْ رحيلَه.

ثالثاً- إنّ المسيح، لمّا ظهر لمريمَ المجدليّة بعد الصلب الذي زعموه، قال لها:

"لم أصعدْ بعدُ إلى إلهي"، أي، بلغة اليـهود، لم أمتْ. ولم أُقتلْ لتصعدَ روحي إلى إلهي؛ مع أنّ الصلبَ كان قـد تمّ قبلَ ذلك بيومَـين؛ والمفروض، لو صُلب، أن تكون روحُه قد صعدتْ إلى بارئها.

رابعـاً- ثمّ، لو أضفنـا كلَّ ذلك إلى قول اللّه تعـالى في القـرآن: "وَمَكَرُوا. وَمَكَرَ اللّهُ. واللّهُ خيرُ المَاكِرِين" (٣/ ٥٤)؛ أي أنّ اليهودَ مكروا بعيـسى ليقتلوه؛ ولكنّ اللّهَ كـان أقدرَ منهم، ونجّـاه من مكرهم بطريقتـه الخاصّة التـي فاقت كلَّ تصوّراتهم بإرسال هذا الشّبَه في ظلمات الليل الذي ظنّه لوقا ملاكاً.

خامـساً- ثمّ، إذا تذكّـرنا قولَ المسـيح: "أنا لستُ وحدي، لأنّ اللّـه معي"، لتأكّدنا تمامـاً أنّ ذلك «القادم من العالم الآخر»، تحت جنح الظـلام لم يكن ملاكاً ليقوّي عيسى، كـما ذكر لوقا، إنّما كان البديلَ الشبـيهَ الذي أرسله اللّهُ ليفدي به عيسى.

لذلك، نرجو منك، عزيزي القارئ، أن تحفظ لنا ذلك ذخراً تحت رقم (٣) في إثباتنا أنّ المسيحَ لم يُصلب، من نصوص الأناجيل، إنّما الذي صُلب هو شبيهٌ له" (٧٩٣-٧٩٤).

الذخيرة الرّابعة: تعليقاً على صلاة يسوع في بستان الزّيتون، قبل آلامه (يوحنّا ١٣-١٧)، يقول السيّد زكي: "أعزّائي القـرّاء! نسألكم سؤالاً محدّداً، ولا نطلب منكم سوى اسـتعمال عقـولكم: لو حقّاً صلّى المسيحُ تـلك الصلاة الحارّة، فهل استجاب اللّهُ لطلبه! وهل عـبرَ عنه ذلك الكأس المرير كما طلب منه! ألمفروض أن يكون قد اسـتجاب. لماذا؟ لأنّ كتَـبَةَ الأناجيل أخبـرونا بذلك. أين؟ في موعظة الجبل، على لسان المسيح نفسه: "إسألوا تُعطَوا. أُطلبوا تَجدوا. إقرعوا يُفتح لكم. أم أي إنسان مـنكم، إذا سأله ابنُه خـبزاً يُعطيـه حجراً، وإن سـأله سمكةً يعـطيه حيّة" (متّى ٧/ ٧).

" فيا أعزائي القرّاء! إن كنتم تؤمنون أنّ المسيح قال: إسألوا تُعطوا، أطلبوا تجدوا، إقرعوا يُفتح لكم؛ فها هو المسيح أمامكم يسأل ويطلب ويقرع. فهل يُعقل أن يطلبَ المسيحُ من ربّه نجاةً فيعطيه ربُّه صلباً وطعناً برمح!؟

" لذا، رجاءً! إحفظوا لنا هذا الزخرَ عندكم تحت رقم (٤) في إثبات عدم صلب المسيح بنصوص الأناجيل، إذ لا يقول بصلبه بعد هذا إلاّ مضلّل، أو مَن في عينه قذىً، أو على عقله غشاوة" (٧٩٧).

الذخيرة الخامسة: تعليقاً على قول متّى، عند محاكمة يسوع، بأنّ "يسوع كان ساكتاً" (٢٦/٦٣)، يقول السيّد زكي: "هنا أطلب منك عزيزي القارئ أن تتنبّه جيّداً. لقد عرفنا عيسى بنَ مريم شجاعاً بطلاً في قول الحق. لا يخاف لومة لائم في الدفاع عن الدين وحقوق الغير. فهو الذي كان لديه الجرأة ليقول للكهنة والفرّيسيّين في عقر دارهم "أيّها العميان! يا أولاد الأفاعي!". وهو الذي لم يخشاهم أبداً، وقال لتلاميذه: "فلا تخافوهم، لأنْ ليس مكتومٌ لن يُستعلن...لا تخافوهم. بل خافوا بالحري مَن الذي يقدر أن يهلك النفسَ والجسَد كليهما في جهنّم" (متّى ١٠/٢٧-٢٨). وهو الذي هزّ كراسيهم يومَ أعلنَ أنّ المسيّا القادم سيكون من نسل إسماعيل.. ويوم قال لهم إنّ ملكوت اللّه يُنزعُ منكم، ويُعطى لأمّة تعمل أثمارَه (أنظر متّى ٢٢/٤١-٤٦، ٢١/٤٣)، إلخ.. إنّ مواقف المسيح الشجاعة أمام الكهنة لأكثر من أن تُحصى. فلماذا سكت هنا يا...

" هل يُعقل أن يدافع سابقا عن الحقّ، ويجابه الكهنة في عقر دارهم بكلّ ذلك الحماس، ويسكت هنا في الدفاع عن حقّه!!؟ هل يُعقل أن يسكت هنا، وهو يعلم تمام العلم أنّ التهم الموجهة إليه كلّها زورٌ، وشهاداتهم باطلة من أساسها جملةً وتفصيلاً!!؟؟

" ماذا طرأ على المسيح! هل كان خائفاً! هل جَبُنَ! هل أصيب بالذهول! لا.

ليس هذا من عادة المسـيح، ولا من شيَمـه. هذا السكوتُ المريبُ وراءه شيء! إذاً لماذا سكت هنا!؟ الجواب بسيط جـداً: إنّ المتّهمَ الماثلَ أمامهم لا يعرفُ شـيئاً عن هذه التّهم، لأنّه ليس المسـيح. إنّه ذلك الشبيه البـديل الذي أرسله اللّهُ من العالَمِ الآخر، ليفدي به عـيسى. وعمليّةُ الاستبدال تمّت في الجسـمانيّة ليلاً بالذي ظنّه لوقا ملاكـاً جاء يقوّي المسيح. أمّا المسيـح نفسه فقد امتـدّت ذراعُ الربِّ وحملتْه بعيـداً عن الأنظار. لهذا السبب، بقي الماثلُ أمـامهم طولَ الوقت ساكتـاً، لا يجيب على شيء. وصدق اللّه العظيم القائل: "ومَكَرُوا. ومكَرَ اللّهُ. واللّهُ خيرُ الماكرين" (٣/ ٥٤)، وقوله: "والذينَ اختلَفُوا فيه لَفِي شكٍّ منه" (٤/ ١٥٧).

" فاحفـظ لنا عزيزي القارئ هذا السكوت ذخيـرة تحت رقم (٥) في إثبات عدم صلب المسيح" (٨٠٧-٨٠٨).

الذخيرة السادسة: تعليقاً على ما جاء في لوقا: ".. إنْ كنتَ أنتَ المسيح، فـقلْ لنا. فـقال لهم: إنْ قلـتُ لكم لا تصدّقـون. وإنْ سـألتُ لا تجـيبـونني، ولا تطلقونني. منذ الآن، يكون **ابن الإنسان** جالساً عن يمين القوّة. فـقال الجميع: أفأنتَ ابنُ اللّه؟ فـقال لهم: أنتم تقـولون إنّي أنا هو. فقالـوا: ما حاجـتُنا بعدُ إلى شهادة، لأنّنا نحن سمعنا من فمه" (٢٢/ ٦٦-٧١)، يقول السيّد زكي:

" إنْ قال لهم مـاذا؟ لا يصدّقون؟! إذا كـان الماثل أمامهم هو عـيسى وليس الشبـيه البديل الذي جـاء ليُصلبَ بدلاً عن المسـيح، فإنّه يستطيـع أن يجيب على سؤالهـم بقوله: نعم. أنا المسـيح القادم، أو أنا لستُ القـادم. وينتهي الأمـر. لكنّ الماثلَ أمامهم قال لهم: "لو قلتُ لكـم لا تصدّقون"، أي: لو قلتُ لكم إنّي قادمٌ من عالَمٍ آخر، وأنا غريبٌ عنكم، لا أعرفُكم، وهذه أوّل مـرّة أراكم فيها، فلن تصدّقون. وإنْ سـألتُ أن تطلقـوا سراحي بناء على ذلك.. فلن تجيبـوني، ولن تُطلقوني. لكنّ المسيحَ الذي تسـألون عنه، الذي لقّبـه دانيال بابن الإنسـان، فإنّه الآن على يمين

القوّة، أي يجلس على يمين اللّه، وسيأتي سريعاً، ويقضي على ملككم، وينسخ شريعتَكم، ويؤسّس مملكتَه هو. فقالوا: ما حاجتنا بعدُ إلى شهادة لأنّنا سمعنا من فمه.

" فاحفظ لنا عزيزي القارئ نصَّ لوقا أعلاه كذخيرة تحت الرقم (٦) في أنّ المصلوبَ لم يكن المسيح بنصِّ الأناجيل.. " (٨١٠).

الذخيرة السابعة: تعليقاً على قول بيلاطس ليسوع: "أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فَلَمْ يُجِبْهُ ولا عن كلمة واحدة، حتّى تعجّب الوالي جداً" (متّى ٢٧/ ١٤)، يقول السيّد زكي: " مرّةً أخرى نسألُ الذين ما زال عندهم شكٌّ: هل هذا الواقف أمام الوالي هو المسيح، أم البديل!؟ أين المسيح الذي كان يقول بصوت عالٍ: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد.."؟ أين المسيح الذي كان يقول: " فمتى أسلموكم فلا تهتمّوا كيف أو بما تتكلّمون.. "

" إذا كان هذا الماثل أمام بيلاطس هو المسيح، فماذا دهاه؟! ولماذا سكت ولم ينطق بكلمة؟! ولماذا لم يعطِهِ إلهُه ما يتكلّم به!؟ هل كان يكذب عندما قال لتلاميذه: لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد!؟ حاشاه. المسيح لم يكذب، لأنّه معصوم عن الكذب. إذاً ماذا دهاه!؟

" الجواب ببساطة. هذا ليس المسيح! إنّما هو البديل الشبيه الذي أرسله اللّه ليفدي به عيسى، والذي كان الشبه بينه وبين المسيح فائق الحدّ الذي لم يلحظه أحد. ولكنْ ما الإثبات على ذلك!؟ الإثبات هو: أوّلاً- هذا السكوت المطبق هنا. وثانياً- قول المسيح السابق: "كلّكم تشكّون فيّ في هذه الليلة". وثالثاً- لا ننسى أنّ لوقا ذكر لنا أنّ شخصاً ظنّه ملاكاً جاء ليقوّي المسيح، ولم يذكر لنا رحيلَ ذلك الشخص. ورابعاً- إنّه في آخر اتّصال للسماء بالأرض كشف اللّهُ الحقيقةَ للناس، إذ قال: "ومَا قَتَلُوه. ومَا صَلَبُوه. ولكن شُبِّهَ لهم.." (٤/ ١٥٧).

" فاحفظ لنا عزيزي القارئ هذا السكوتَ المطبق كذخيرة عندك تحت الرقم (٧) في أنّ المصلوبَ لم يكن المسيح بشهادة الأناجيل نفسها" (٨٢٢-٨٢٣).

الذخيرة الثامنة: تعليقاً على ما جاء على لسان المسيح في يوحنّا: "مملكتي ليستْ من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدّامي يجاهدون لكي لا أُسلَّمَ إلى اليهود.. لهذا قد وُلدتُ أنا، ولهذا قد أتيتُ إلى العالم لأشهدَ للحقّ. كلّ مَن هو من الحقّ يسمع صوتي. قال له بيلاطس: ما هو الحقّ؟ ولمّا قال هذا خرجَ أيضاً إلى اليهود، وقال لهم: أنا لستُ أجد فيه علّةً واحدة" (١٨/٣٦-٣٨)، يقول السيّد زكي:

" هنا عزيزي القارئ يجب أن نتوقّف وقفةً طويلة، ونتمعّنَ في قول المتَّهَم، إذ لا شكّ أنّ قولَه مأخوذ من الإنجيل الحقيقي.

أوّلاً- مملكتي ليست من هذا العالم. عندما تكون غريباً في بلدٍ ما تقول: "أنا لستُ من هذا البلد"، أي لا أنتمي إليه، إنّما أنتمي إلى بلد آخر. فهذه الجملة أكبرُ دليل على أنّ الواقفَ أمامَ بيلاطس لا ينتمي إلى هذا العالم، إنّما قادمٌ من عالمٍ آخر، كما قلنا، لذا قال: "مملكتي ليست من هذا العالم". ما هي ممالك هذا العالم؟ إنّها مملكة الإنسان والحيوان والنبات والجماد. أي أنّ هذا الماثل أمام بيلاطس لا ينتمي لأيٍّ من ممالك الإرض التي نعرفها. لذا قد تكون مملكته مملكةَ الجِنّ مثلاً، أو أيٍّ من الممالك الأخرى التي عند الله ولا نعلمها...

ثانياً- ممّا يؤكّد أنّ الماثل أمام بيلاطس هو القادمُ من العالَمِ الآخر تكملةُ كلامه الذي قال فيه: "لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدّامي يجاهدون لكي لا أسلَّمَ إلى اليهود". فلو كان هذا الماثل أمام بيلاطس هو عيسى لما قال: "خدّامي"، لأنّ عيسى ليس له خدّام، بل ليس له أين يُسند رأسَه. ثمّ لو كان هو عيسى لما قال: "أسلَّم إلى اليهود"، لأنّه يهودي مثلهم، بل منهم. فلا يقول هذا إلاّ

مَن كان غير يهـودي، أو ليس من هذا العالم. ولا يمكن أن يكون إلاّ الذي جاء من خارج اليهود ومن خارج هذا العالم.

ثالثاً- والدليل الثالث الذي لا يترك مـجالاً للشكّ هو قوله: "لهذا قد وُلدتُ. ولهذا قد أتيتُ إلى العالم، لأشهدَ للحقّ. كلُّ مَن هو من الحقِّ يسمع صوتي". أي لهذه اللحظات العـصيبـة قد وُلدتُ. ولهذا أتيتُ إلى عـالمكم هذا. وإنّ اللّهَ منذ أن خلقني قد ادّخرني لـهذا اليوم لأفدي به عيـسى. وكلُّ مَن يعرفني من بني جنسي يعلم أنّي أقول الحـقّ وهم الآن يسمعـون صوتي. فهـذا القادم من العـالم الآخر يقول: لهذا قد وُلدتُ. وأتيتُ إلى عالمكم هذا"، بينما عيسى كان يقول: "ينبغي لي أن أبشّرَ المدنَ الأخرى بملكوت اللّه، لأنّي لهذا قد أرسلت". فعـيسى جاء للتبشير بملكوت اللّه، ولهذا قد أُرسِلَ. أمّا هذا الماثل أمامنا فيقول: "لهذا الموقف العصيب قد وُلدتُ". فشتّـان بين الذي أُرسِلَ للتبشير وبين هذا البديـل الشبيه الذي وُلد خصيصاً لفداء عيسى...

"وعليه، نطلبُ منك عـزيزي القارئ أن تحتفظ لنا بهـذه الذخيرة تحت رقم (٨) في أنّ المسيحَ لم يُصـلب، وأنّ الذي صُلب كان غيـره قادماً من عـالم آخر" (٨٢٤-٨٢٦).

الذخيرة التاسعة: تعليقاً على مَن هو حامل الصليب، سمعانُ القيروانيّ، كما في مرقص (١٥/ ٢١) ومتّى (٢٧/ ٣٢) ولـوقا (٢٣/ ٢٦)، أم المسيح نفسه، كمـا في يوحنّا (١٩/ ٧)!! يقـول السيّد زكي: "السـؤال الذي يطرح نفـسَه: لماذا ناقضَ يوحنّا زمـلاءه الثـلاثة؟ هل تحبّ أن تعـرف السـببَ عـزيزي القـارئ!؟ إستمع: في الوقت الذي كُتِبَ فيه الإنجـيل الرابع كان الادّعاء بأنّ سمعان قد حلّ محلَّ يـسوع، وصُلبَ بدلاً منه، لا يزال سـارياً في الدوائر الغنوسطيّـة.. وهذا ما يُثبت أنّه، منذ تلك الأيّام، كـان الناسُ يشكّون في حقيقـة المصلوب، ويقولون بأنّه

ليس عيسى؛ بينما اليوم أكثر من بليـون إنسان لا يزال مضلّلاً، ويعتقد أنّ عيسى هو الذي صُلب.

" فـاحفظ عـزيزي القارئ هذه ذخـراً عندك في أنّ المسـيح لم يُصلب، وأنّ الذي صُلب كان غيره تحت رقم (٩) " (٨٣٥-٨٣٦).

الذخيرة الـعاشرة: تعليقـاً على قول متّى بأنّهم "أعطوه خـلاً ممزوجاً بمرارة" (٢٧/ ٣٤)، يقـول السيّـد زكي: "عزيزي القـارئ.. أعطِني عقلَـكَ مرّةً أخرى! هل كان اليـهودُ يحتفظون بالخمر أو الخلِّ في مـقابرهم!!؟ هل هناك أمّةٌ في العالم تحتفظ ببراميل الخلّ أو الخـمر في مقابرها!!؟ الجوابُ طبعا لا. إذاً مِن أين أتى كَتَبَةُ الأناجيل بهذه الخمرة والخلّ!؟

" .. ومن جهة أخرى، لقد مـرّ معك أنّ المسيحَ صام أربعين يوما ، ونحنُ قلنا ثلاثين، دون أن يتناولَ فـيها أيَّ طعـام أو شراب. كمـا أنّه كان قد صـرّح أيضاً بقـوله: "إنّ لي طعـاماً لآكل لسـتم تعـرفـونه أنتم" (يو ٤/ ٣٢). فـيا عـزيزي القارئ.. هل مَن يصـبر على الجوع ٣٠-٤٠ يومـاً، يُذِلُّ نفسَه لأعـدائه، ويقول: "أنا عطشان"، بسبب سـاعةٍ واحدةٍ، علماً بأنّ الأناجيل ذكـرتْ أنّه قبلَ يومٍ واحدٍ كان قد أكلَ الفصـحَ وشرب؟؟ إذاً يكون الذي قال أنا عطشان ليس المسيح.

" فـاحفظ لنا هذه ذخـراً عندك تحت رقم (١٠) في إثبـات أنّ المصلوب لم يكن المسيح بنصّ الأناجيل" (٨٣٧-٨٣٨).

الذخيرة الحـادية عشرة: تعليقـاً على النساء الواقفـات عند الصليب، والاختـلاف بين الإنجيليّين على عددهنّ، وهويّتـهن، وهل أمّه كانت مـعهنّ، أم لا، يقول السيّد زكي: "نـحن نسـأل إذا كان جميع معارفه، وهؤلاء النسوة، موجودين ساعةَ الصّلب، فأين كانوا ساعةَ المحاكمة؟ ولماذا لم يَصـحْنَ جميعهنّ: "لا تصلبْه.

لا تصلبْه"، لا سيّمـا وأنّ بيلاطس كان يكافح ليجد صوتـاً واحداً يدافع معه عن المتَّهَم. والسـؤال الملفت للنظر: أين كانت أمُّه ساعـةَ المحاكمة، وسـاعةَ الصّلب!!؟ ولماذا ليس لهـا ذكر هنا!؟ السـبب بسيط: أمُّـه لا شأنَ لهـا بالمصلوب، لأنّه ليس ابنها...

ثمّ هل يُعقل أن يُعـذّبها الله بهذا المشـهد، وهي التي قال القرآنُ أنّه فـضّلها على نساء العالمين.. ويبدو أنّ يوحنّا دسّ مسـألةَ أمّه.. فقط ليؤكد لنا أنّ المصلوب كان عيسى. إذ كانت الأقوال بأنّ المصلوب لـم يكن عيسى قد انتشرت وذاعت بين أوائل الطوائف النّصرانيّة..

"فـاحفظ لنا، عـزيزي القـارئ، هذه عندك ذخـراً تحت الرقم (١١) في أنّ المصلوب لم يكن عيسى" (٨٤١-٨٤٢).

الذخيرة الثـانية عشرة: تعليقاً على قـول المسيح في لوقا (٢٣/ ٣٤): "يا أبتاه! أغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفـعلون"، يقول السيّد زكي: لقد زعمت الأناجيل أنّ للمـسيح سلطاناً على الأرض لغفران الخطايا (مـتّى ٩/ ٦). فلو كان المصلوب هو المسيح لغفرَ لهم بنفسه، ولما طلبَ من أباه (كذا) أن يغفرَ لهم. وعليه يكون المصلوب غير المسيح.

"فـاحـفظ لنا، عـزيزي القـارئ، هذا الذخـر عندك تحت رقم (١٢) في أنّ المسيح لم يصلب بنصّ الأناجيل، إنّما الذي صلب كان غيره" (٨٤٣).

الذخيرة الثالثة عشرة: تعليقا على كلام المصلوب لأحد اللّصّين اللّذين صلبـا مـعـه: "الحقّ أقول لك إنّـك اليومَ سـتكون مـعي في الفـردوس: (لوقـا ٢٣/ ٤٣)، يقول السيّد زكي:

".. استعدّوا، أعزّائي القرّاء، لأنّكم على وشك أن تنقذوا المسيح، أنتم وليس

أنا. وتُخلّصوه من براثن شاؤول والمجمّعات الوثنيّة التي كمّمت المسيحَ التاريخي، المؤمن بالله الواحد، ودفنتْه هو ودينَه في ظلمات سحيقة طوال عشرين قرناً من الزمان، وأطلقتْ لنا بدلاً منه المسيحَ الأسطوري، إله الكنيسة، وأحد أطراف الثالوث.. يُبصق في وجهه ويُضرب ويُجلد ويَقدر عليه حفنةٌ من حثالة البشر وهو خالقهم فيصلبونه!.

"فهل أنتم مستعدّون الآن! ركّزوا معي أعزّائي القرّاء.. إنّكم يا أعزّائي على وشك أن تُنقذوا أنفسكم من جميع الخزعبلات والطلاسم التي طلسموكم وكبّلوكم بها طيلة عشرين قرناً.

"ركّزوا معي أعزّائي القرّاء في قول لوقا: "اليومَ ستكون معي"..

"فإذا كانت كلمة "اليوم" تعني اليوم، وليس لها معنى آخر، كأن تكون غداً أو بعدَ غد، فهذه الجملة قيلت يوم الجمعة يومَ الصلب. أي أنّ المصلوب واللّصّ المؤمن سيكونان في الفردوس يومَ الجمعة بعد أن يموت وتصعد روحُهما إلى بارئها.

"الآن، قارنوا لي، أعزّائي القرّاء، هذه الجملة، التي قيلت من قبل المصلوب يومَ الجمعة، مع ما جاء على لسان المسيح يومَ الأحد، لمريم المجدليّة: "لا تلمسيني لأنّي لم أصعد بعدُ إلى إلهي" (يو ٢٠/١٧).

"السؤال الآن: كيف يقول المسيحُ، يومَ الجمعة للّصِّ المؤمن: إنّك اليوم ستكون معي الفردوس؛ بينما بعدها بيومَين، أي يوم الأحد، يقول: لم أصعدْ بعدُ إلى إلهي!!؟ أي، حسب تعبير اليهود، لم أمتْ لتصعدَ روحي إلى إلهي. هل كذب المسيح على اللّصِّ المؤمن!؟ لا. وحاشاه أن يكذب. فكلّ الأنبياء معصومون. إذاً، كيف نفسّر ذلك!؟

"كلّ مَن في عينَيه خشبةٌ فلينزعْها الآن ليرى جيّداً، لأنّ هذا وقتها.. فقد تكون فرصته الأخيرة لاسترداد مقعده في الجنّة والحياة الأبديّة:

"إنّ قـائلَ الجـملة الأولى في لوقـا يوم الجـمـعـة: "الليلةَ تكون مـعي في الفردوس"، هو الشـبيـه البديل القادم من العـالَمِ الآخر، الذي ظنّه الجـميع أنّه المسيح، لتطـابق الشبه بينهـما، وبموته تكون روحُـه قد صعـدت إلى بارئها يوم الجمعـة. وقائل الجملة الثانية يوم الأحـد، هو المسيح الحقيقي، عـيسى ابن مريم الذي لم يُصلب، وبالتـالي لم تصعـد روحُه إلى بارئهـا، والذي قلنا، وقتَـها، إنّ ذراعَ الرّبِّ امتـدّتْ في الظلام وأخـفتْه عن الأنظـار في الجسمـانيّة. فـهل آمنتم أعزّائي القرّاء، أم تريدون إثباتاً آخر!؟

"رجـاءً، إحفظوا لنا هذا الذخـر تحت رقم (١٣) في أنّ المسـيح لم يُصلب بنصٍّ الأناجيل" (٨٤٤-٨٤٥).

الذخيرة الرابعة عشرة: تعليقاً على قول يسوع بعد القـيامة لتلاميذه: "ما بـالكم مضطربين! ولماذا تخطر أفكـار في قلوبكم! أنظروا يديَّ ورجلَيّ، -أي ليس فيهم (كذا) أثرٌ لأيِّ مسمار أو جرح-. إنّي أنا هو. ألم أقل لكم: كلّكم تشكّون فيَّ في هذه اللّيلة؟ جسّوني. فإنّ الروحَ ليس له لحمٌ وعظامٌ كما ترون لي" (لوقا ٢٤/٣٨-٤٠)، يقول السيّد زكي ويُثبت:

"أنّ الذي يموت يومَ الجمـعة وتصعد روحُه.. إذا ظهـر للناس بعد ذلك، لا يظهر إلاّ شبحاً. لذلك، عندما فاجأ عيسـى التلاميذ، فيما بعد، جزعوا، وظنّوا أنّهم رأوا روحاً، لأنّـهم كانوا مـختبـئين بعد أن تـركوه وحيـداً، وهربوا.. وقد علـموا **سماعاً** أنّ معلّمَهم مات على الصليب. كـما كانوا قد علموا **سماعاً** أنّه دُفن يوم الجمعة. وكونهم **سمعوا** ذلك، توقّعوا أن يكون جسدُه الآن قد بدأ يتملل في قبره، ذلك لأنّ كلَّ معرفتهم كانتْ مبنيّةً على **السماع** حيث أنّهم كانوا مختبئين، وأنّ أيّاً منهم لم يكن شاهد عيان.

"لكن، أعزّائي القرّاء، ألذي كان واقفاً أمامـهم لم يكن روحاً ولا شبحاً؛ إنّما

كان المسيح عيسى ابن مريم، بلحمه ودمه! لقد فهم المسيح الذي كان قد قال لهم سابقاً: كلّكم تشكّون في هذه اللّيلة، وفهم هو ما يدور بخلدهم من جزع وخوف، فماذا قال؟ قال لهم: "جسّوني"..، وقول المسيح جسّوني أقوى من المسوني. أي تحسّسوني لكي تتأكّدوا بأنفسكم أنني لم أصلب.

"ثمّ لمّا رآهم ما زالوا مشدوهين، قال لهم مداعباً: "أعندكم هاهنا طعام؟ فناولوه جزء من سمك مشويّ، وشيئاً من شهد عسل، فأخذ وأكلَ قدّامهم" (لو ٢٤/٤٢-٤٣). لماذا؟.. ليؤكّدَ لهم أنّه ليس شبحاً ولا روحاً قائماً من الأموات، لأنّ الأشباحَ والأرواحَ لا تأكل. أي بعبارة أخرى، ليؤكّدَ لهم أنّه لم يُصلب، وأنّ الذي صُلب كان غيره!

ولما قال المسيحُ لتوما: هاتِ اصبعك.. هاتِ يدك وضعْها في جنبي" (يو ٢٠/٢٥)، فهو ليؤكّدَ مرّةً أخرى بأنّ توما، إذا ما جسّه يتأكّد بأنّ جنبَه سليمٌ، ولا أثر فيه لا لحربة ولا لطعنة.. والذي كان قد طُعن جنبُه هو الشبيه البديل..

"فاحفظ لنا، عزيزي القارئ، كلّ هذا لديكَ ذخراً تحت رقم (١٤) في أنّ المسيح لم يُصلب بنصٍّ الأناجيل، وأنّ الذي صُلب كان غيره" (٨٤٥-٨٤٦).

الذخيرة الخامسة عشرة: تعليقاً على صرخة اليأس قبل الموت، وآخر كلمات المصلوب، بحسب ما جاء في مرقص (١٥/٤٣): "ألوي ألوي لمّا شبقتني"، وما جاء في متّى (٢٧/٤٦): "إيلي إيلي لمّا شبقتني"، يقولُ السيّد زكي:

"هذه الصرخة.. تكذّبُ مزاعمَ الكنيسة الشاؤوليّة في أنّ المصلوبَ هو اللّه. إذ كيف ينادي اللّهُ على اللّهِ! أو أنّه كان هناك اتّفاق سماوي بين اللّه وابنه! ذلك لأنّ المصلوب نفسَه يصرخُ على اللّهِ ويعتب عليه كيف تركه، ممّا ينسف ما ألصقوه به من قول أشعيا: "ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح"، وها هو

يملأ الدنيـا صراخـاً! كيف يؤمنـون أنّه صرخ، حـسب قول الإنجـيل، وفي نفس الوقت لم يفتح فاه!؟ هل صرخ وهو مغلق الفم!؟ وإن كـان كذلك، فكيف سمعوه! ألم نقل إنّهم يؤمنون بالمستحيلات!.. هذا يؤكّد أنّ اقتباسَهم من سفر أشعيا كذبٌ ولا علاقة له بالمصلوب.. وإذا كان المسيح هو صاحب هذا الصراخ فكيف يقولون إنّه ضحّى بنفسه طواعيّة!؟...

" ثمّ، إذا كان عيسى يعلم سَلَفاً أنّه سيُصلب، وفي اليوم الثالث يقوم، فعلامَ الصراخُ إذاً!؟ والقول الذي نسبـوه للمصلوب: "لماذا تركتَني" يكون ليس له أي معنًى. وعليه يكون المصلوب غيره.

ثمّ إنّه لمن المستحيل أن يكون عيسى هو الذي صرخ هذه الصرخة، لأنّه هو القائل: "إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فليُنكرْ نفسَه ويحمل صليبَه ويتبعني" (متّى ١٦ / ٢٤)؛ أي إنّ عيسى كان بطلاً شجاعاً، مستعداً للموت في كلّ لحظة.

" فـاحـفظ لنـا عـزيزي القـارئ هذه الذخـيـرة عـندك تحت الرقم (١٥) (٨٤٨-٨٤٩).

الذخيـرة السادسة عـشرة: يقول السيّد زكي: مـسألة قـتْل اللّه، أي "مسألة صلب عيسى، والقول بأنّه بذل نفـسَه عن الجميع منطق معكوس، يتنافى كلّيّاً مع العقل والمنطق. لأنّه لا يُعقل أن يقدّمَ عيسى نفسَه ليقتله مَن يريد الغفران لهم، لأنّ قتلهم له إنّما يزيد في خطاياهم..

" وقـوله الذي لا مـراء فيـه: "أنا غلبتُ العـالم" (يو ١٦/ ٣٣)، أي العـالم اليهودي الذي تآمر على قتله، والعالم الروماني الذي وافق على قتله...!؟ فهل مَن يُصلب ويُقتل يكون قد غلب العالم!

" فاحـفظ لنا عزيزي القارئ هذه (الأقـوال) ذخراً لديك في أنّ المصلوب لم يكن المسيح تحت رقم (١٦)" (٨٤٩-٨٥٠).

الذخيـرة السابعة عـشرة: كان المسيح، فـي حياته، يختـفي عن أعين الناس. وهي قدرة عجائبيّة استعملها أيضاً وقت صلبه. علّق السيّد زكي على هذه القدرة فقال:

" سبق أن لَمحتْ لنا الأناجيل أكثر من مرّة أنّ المسيح كان يمسك أعينَ الذين حوله، ويختـفي عنهم دون أن يشعروا، مثل: "وجاؤوا به إلى حافّـة الجبل.. حتّى يطرحـوه أسفل. أمّـا هو فـجاز في وسطهم ومـضى" (لو ٤/ ٣٠)، "فـرفعـوا حجـارةً ليرجمـوه. أمّا يسوع فـاختفى وخـرج من الهيكل مجـتازاً في وسطهم ومضى هكذا" (يو ٨/ ٥٩).

" فإذا كان لدى المسيح مثل هذه القدرة الخارقة، فإنّه يستطيع أن يستعملها وقتَ الشدّة، ويفلت من أعدائه، وبذا يكون المصلوب غيره.

" فاحفظ لنا هذه تحت رقم (١٧)" (ص٨٥١).

الذخيرة الثامنة عشرة: على ما جاء في سفر تثنية الاشتراع: "ملعون كلُّ مَن عُلِّقَ على خـشبة" (٢١/ ٢٢)، يعلّق السـيّد زكي ويقـول: "إذا كان المعلّق على الصليب هو عـيسى.. يكون عيـسى ملعوناً ونجـساً. وبالتالـي كلّ ما أتى به ملعون ونجس مثله. ونحن نقول حاشاه وهو النبيّ الكريم الطاهر، وأمّه الصدّيقة أشرف نساء العالمين في زمانها.

" كما أننا لم نـسمع بأمّة سمّت نبيّـها ملعونا ونجسـاً، وأنّ دمَه كان بدلَ دمِ التيـوس والعجول إلاّ هؤلاء. فهل يرضى مَـن يعتقدون أنّهم نصـارى اليوم هذه التسمية للمسيح!؟ وعليـه، فإمّا أنّه صُلب، وبالتالي هو ملعون ونجس؛ وإمّا أنّه لم يُصلب، وبالتالي ليس ملعوناً ولا نجساً. فليختاروا لهم واحدة.

" أمّا أنتَ عـزيزي القارئ فاحفظ هـذه لنا عندك ذخراً تحت رقم (١٨) في إثبات عدم صلب المسيح" (٨٦٥-٨٦٦).

الذخيرة التاسعة عشرة: ثمّ إنّ هناك "كثيراً من طوائف النصارى، كانت ترفض حصولَ الصلب كلّيّاً، لأنّ البعضَ منهم كان يعدُّه إهانةً لشرف المسيح، ونقصاً يلحق به، والبعض الآخر كان يرفضُه إستناداً على الأدلّة التاريخيّة. وهؤلاء المنكِرون للصّلب طوائف كثيرة، لا يسلّمون بأنّ المسيح سُمِّرَ وماتَ على الصليب. ومن هذه الطوائف: ألساطرينوسيّون، والمركيرينيّون، والتّانيانسيّون، والبارسكاليونيّون، والدّوسينيّة، والغلنطانيائيّة، والكربوكراتيّون، والبارديسانيّون، والمانيسيّون، والبوليبيسيّون، والمرسيونيّة.

" فاحفظ لنا عندك عزيزي القارئ هذه الطوائف ذخراً في إثبات عدم صلب المسيح تحت رقم (١٩)" (٨٦٦).

الذخيرة العشرون: على زائرات القبر، اختلف الإنجيليّون في هوّيتهنّ، وعددهنّ، ووقت زيارتهنّ. "يقول مرقص: إنّ زائرات القبر كنّ ثلاثة (١٦/١)؛ لكنّ متّى يقول إنّهنّ اثنتين (كذا) فقط (٢٨/١)؛.. بينما ذكر لوقا أنّهنّ كنّ أكثرَ من أربعة (٢٤/ ١٠). أمّا يوحنّا فذكر أنّها كانت واحدة، مريم المجدليّة (٢٠/١)... والزّائرة الوحيدة التي اتّفق عليها جميع كتبة الأناجيل كانت مريم المجدليّة.

" فهل هناك مَن يدلّنا على اليقين!؟ ولماذا يترك الفاتيكان هذه التناقضات تنهشُ في الأناجيل، طالما يقول إنّه يملك المخطوطات الأصليّة لهذا الدين الذي يرتكز، في أهمّ عقائده، أي الصلب والقيام، على خاطئة تائبة؛ بمعنى آخر، كانت عاهرة، تعتاشُ من كَدِّ فَرْجِها؛ وكانت تتلبّسُها سبعةُ شياطين، باعتراف الأناجيل نفسها! هل بعد هذا مسخ لهذا الدين الذي سمّوه دين المسيح؟..

" ومن الناحية العقليّة والمنطقيّة، هل يُعقل أن تكون الزّائرات للقبر كلّ هذه

المريمات، بينما مريم الوحيدة المطلوب زيارتها لقبر ابنها -حسب اعتقادهم- مفقودة بين الزّائرات؛ ممّا يدلّ على أنّ الذين دسّوها في إنجيل يوحنّا، بين الواقفات عند الصلب، مجرّد هراء. إذ فطنوا أن يدسّوها هناك، ونسَوا أن يدسّوها هنا، في الوقت الذي هي أولَى الناس بزيارة قبر ابنها، لو كان المدفون حقيقةً هو ابنُها!؟ ألا يدلُّ غيابُها على أنّ المصلوبَ المدفون لم يكن ابنَها، لذا بقيت جالسةً في بلدتها مطمئنّةً، ولم تكلّفْ نفسَها عناء الحضور إلى القدس!

"إحفظ لنا هذه عندك ذخراً عزيزي القارئ تحت رقم (٢٠) في إثبات عدم صلب المسيح بنصوص الأناجيل" (٨٦٨).

وهناك "**ذخيرة**" أخرى، لم يُدرجْها السيّد زكي بين ذخائره، ولكنّه عالجها، واعتبرها من جملة الأدلّة على عدم صلب المسيح. هذه الذخيرة أخذها من يوحنّا الذي يخبرنا عن قيامة يسوع بما يلي: "فظنّت تلك (أي مريم المجدليّة) أنّه البستاني. فقال لها يسوع: يا مريم. فالتفتتْ. وقالتْ: رَبُّونِي، الذي تفسيرُه يا معلّم. قال لها يسوع: لا تلمسيني، لأنّي لم أصعد بعدُ إلى إلهي" (١٠/١٧).

يعلّق السيّد زكي: "لماذا ظنّتْه مريمُ المجدليّة أنّه البستاني؟ لأنّه كان متنكّراً كبستاني! ولماذا كان متنكّراً كبستاني؟ حتى يُبعد أنظارَ اليهود عنه! ولماذا يُبعد أنظارَ اليهود عنه؟ لأنّه لم يمت، ولم يُبعث من موت. فلو كان قد مات وبُعث من بعد موت لما كان من الضروري أن يتنكّرَ كبستاني، لكنّه ضروري في حالة واحدة فقط، عندما يكون لا يزال حيّاً. ولماذا لا يكون قد بُعث من موت؟ لأنّ الجسد لا يموت مرّتين...

ويعلّق السيّد زكي أيضاً على "لا تلمسيني. لأنّي لم أصعد بعدُ إلى إلهي"، أي لم أُبعثْ من موت. بلغة اليهود، أي: ما زلتُ أنا عيسى الإنسان، اللحم والدم، الذي يتأثّر بالمشاعر والحبّ والعاطفة؛ وليس عيسى الذي ظنّ الجميعُ أنّه صُلب

ودُفن. فكأنّما المسيحُ، عندمـا رأى تأثّرَها، قال لها: لا تحرّكي مشـاعري، لأنّي ما زلتُ عيـسى الإنسانَ المعلّمَ الذي تعـرفيـه؛ ولم أتحوّلْ إلى روح، لأنّي لم أصـعدْ -أي لم أمتْ وتصعد روحي- إلى إلهي بعد.

" وهذا أكبـرُ إثبات في أنّ المسـيحَ لم يكن قـد صُلب ومات؛ أي لم تصـعدْ روحُه بعدُ إلى إلهه؛ وإنّ الذي صُلب ودُفن وصعدتْ روحُه إلى إلهه، يومَ الجمعة، كان غيـره، أي الشبيه البـديل الذي تحدّث عنه لوقا قـائلاً للّص: " اللّيلةَ ستكون معي في الفردوس" (٨٧٧-٨٧٨).

***

تعليقاً على قـول المسيح لتلاميذه في مـتّى (٢٦/ ١-٢): " تعلمون أنّه، بعدَ يومَين، يكون الفصحُ، وابنُ الإنسـان يُصلَب"، يقول السيّد زكي:

" لا تنسى (كذا) عزيزي القارئ أنّ متّى المزعوم هذا قد غسل أدمغتَنا بهذه الأقوال.. عندمـا ذكرَ الصّلبَ صراحـةً.. والتلاميـذُ لا يبدو عليهم أيُّ انفـعال أو استـغراب، ويسـتقـبلون ذلك بصمتٍ وغـباءٍ، ممّا هو غيـر معـقول ومـرفوض إطلاقـاً!.. لكن، يجب أن لا يفوتك عـزيزي القـارئ أنّ مثلَ جـميعِ هذه الأقـوال تصبُّ في خانة الهراء...

" ولو أمعنّا النـظرَ قليلاً في القول الذي زعـموه على لسـان المسيح من أنّه قال: إنّه " سيُصلب وفي اليوم الثالث يـقوم"، لوجدنا أنّ هذا القول هراء، وبعيد عن التصـديق جملةً وتفصيـلاً. لماذا؟ لأنّه من نعم اللّهِ علينا.. نعمة إخـفاء المكان واليوم والـساعة التي نموت فـيهـا. وأكثـر من ذلك نعمـة إخفاء الطريقـة التي سنموت بها. فهل من المعقول أن يرحم اللّه جميعَ خَلقه، من آدمَ حتى اليوم، بهذه النعمة فيخفيها عنهم ويستثني منهـا نبيَّه وحبيبَه عيسى بن مريم!!؟ إنْ وُجدَ أحدٌ يؤمن بهـذا فعـلى عقله الســلام. إنّ الأطبّـاء، الذين بحكم مـهنتـهم وأجهـزتهم

الحديثة، يعرفون أحياناً أنّ المريض سيموت، نراهم يُخفون عنه ذلك. فهل الأطباء أكثر رحمةً من اللّه!!؟ حاشا.

"إنّ معرفةَ اليوم والطريقة التي سيموت فيها الإنسان شيء مؤلم، ومكرب، ومنغّص للحياة. فهل كان اللّه قاسيا وظالما إلى هذا الحدّ مع نبيّه عيسى الذي اصطفاه ورعاه وهو في بطن أمّه دون بلايين البشر الذين خلقهم ويخلقهم كلّ يوم!؟ لماذا يعذّبه بهذا طيلة حياته، وينغّص عليه العيش!!؟ ولكن، مَن يصدّقهم! لا شكّ أنّ هؤلاء الكتبة يهذون.. وكلّ غرضهم هو استدراجنا إلى فخّ الصلب الذي نصبوه سلفاً..

".. فحذارِ أن تقع في فخّ الصلب هذا! وإلاّ فليُظهروا لنا الأناجيل الأخرى التي أحرقوها لنرى صدق هذه الأقوال من كذبها. وها هو إنجيل برنابا الذي فلتَ من أيديهم يكذّبهم، ولا يذكرُ حرفاً واحداً من أراجيفهم.

ثمّ، ما هي ردّة فعل التلاميذ على نبأ الصلب!؟: "متّى لم يذكر شيئاً. ومرقص أورد عذراً أقبح من ذنب، إذ قال: "وخافوا أن يسألوه".. أمّا عبارة لوقا فهي مدعاة للسخريّة والإسفاف، إذ قال: "وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً. وكان الأمر مخفيّ (كذا) عنهم ولم يعلموا ما قيل".

يعلّق السيّد زكي: "فإذا لم يفهموا ما قيل، لماذا لم يسألوا!؟ إنّ الذي لا يفهم هو الذي دائما يسأل. ثم كيف يأخذ النصارى دينَهم عن تلاميذ لا يفهمون ما يُقال لهم!! "لم يفهموا.."، هذا يجعلنا نسألُ كيف ذلك!!؟؟ هل كانوا سكارى، أم نعاساً، أم منوّمين مغناطيسياً!! ولكنّ العتبَ، ليس على كتبة الأناجيل، إنّما على مَن يصدّقهم.

"كلّ هذا تدليس ليمرّروا علينا عمليّة الصلب والقيام بعد ثلاثة أيّام التي كانت في ذهنهم قبل كتابة أناجيلهم.." (٧٣٧-٧٤١).

***

وهناك أيضــاً كذب فــادح في حدث الصلب والموت والقـيامــة، هو في آية يونان، في متّى (١٢/ ٣٨)، حــيث قال المسيحُ وتنبّأ عن صلــبه وموته وقيــامته، فقال: "حينئـذٍ، أجاب قومٌ من الكَتَبة والفرّيســيّين قائلين: يا معلّم! نريدُ أن نرى منكَ آيةً. فأجاب، وقال لهم" جيلٌ شرّيرٌ فاسقٌ، يطلبُ آية، ولا تعطى له آية إلاّ آية يونان النّبي، لأنّه، كـمــا كان (يونان) في بطن الحــوت ثلاثة أيّام وثلاث ليــالي، هكذا يكون ابــنُ الإنســان في قلب الأرض ثلاثة أيّام وثلاث لــيــالي". على هذه الآية، يعلّق السيّد زكي، فيقول:

"آية تقطرُ بالكذب واللاّمعـقوليّة.. أستأذنُك في أن تعـيرني كلَّ عقلك وكلّ ذكائك وكلّ قلبك:

١. مَن يُصدّق أن الكتبــة أو الفرّيسيّين طلبوا آيةً، أي معــجزةً، من المسيح، في الوقت الذي هم يتابعونه كظلّه.. فــلا تفوتهم معجزة واحدة مــن معجزاته!!" (٥٢٩–٥٣٠).

٢. إنّ مسألة الثلاثــة أيّام والثلاث ليالي مدسوسة. إنّهــا كذبٌ ممّن دسّها في الإنجــيل. والأصحّ أنّ المسيحَ بقي في الــقبــر يوماً وليلتَين.. فــهي إذاً رواية منقوضة.." (٥٣٣).

***

ويتعلّــق بحادثة الصلب المزعــوم قولٌ مزعــومٌ آخر، هو نزول عــيسى إلى الجحــيم ليُخرجَ منهــا الأبرارَ والأنبياء الســابقين.. فيا له من "تخــريف". قال السيّد زكي:

"وعن تخرّصــهم بأنّ إبراهيم وإسحق ويعــقوب وموسى وبــقيّةَ الأنبــياء كانوا فــي جهنّم، وأنّ الإلهَ المصلوبَ القــائم من الأموات، بزعــمهم، أخرجــهم من هناك. فهذا أيضاً تخريفٌ ليس بعدَه تخريف" (١١٣).

والأناجيلُ نفسُـها تكذّبُ ذلك، وتثبت "أنّ إبراهيم، مـثلاً، كان طولَ الوقت في الجنّة. وأنّه لا أساس من الصحّة لهذيانـهم الذي يزعمون منه أنّ عيسى الإله القـائم من الأموات قـد ذهب إلى الجحـيم ليُـخرجَ إبراهيم وإسـحق ويعقـوب وموسى.. والأنبياء!! أفلا يُعدُّ هذا تخريفاً!؟" (١١٤).

"ثمّ، باللّهِ، كـيف يُنقـذُ المسيحُ إبراهيمَ والأنبـيـاءَ الآخرين، ويتـركُ بقيّـةَ المؤمنين الذين آمنـوا بهؤلاء الأنبياء!!!" (١١٤).

"ثمّ، باللّهِ، فليُـخبرْنا أصـحابُ هذا المعـتقد المسـتحيـل: كيف دخلَ هؤلاء الأنبياء وغيرهم جهنّمَ في الوقت الذي لا يتمّ دخولُها إلاّ يومَ الدينونة!! والدينونة لم تقم!! إذ أجساد إبراهيم وإسحق ويعقوب ما زالت مسجّاةً في مدينة الخليل" (١١٥).

"ثمّ، باللّهِ، فليُـخـبـرونا أيضـاً: مَن قـال لهم إنّ مَن يدخلُ جـهنّمَ يخـرجُ منها!؟" (١١٥).

وهناك مأخذٌ أطرفُ من الذي رأينا، وهو سـؤال السيّد زكي: "كيف دخلَ المسيحُ جهنّمَ بدون أن يأخذَ مفـاتيحَ السموات مِن بطرسَ بعد أن أعطاها له وهو على الأرض. لا سـيّـمـا وأنّ أناجـيلَهم لـم تخـبـرْنا أنّ المسـيحَ وجـدها مغلقة.." (١١٦).

***

وأخيـراً، وتعليقـاً على قول المسيح: "ومَـن لا يأخذ صليبَـه ويتبـعني فلا يستـحقّني" (متّى ١٠/٣٨)، يقـول السيّـد زكي: إنّ قصدَ عـيسى هو أن يحثّ تلاميذَه "على أن ينضمّوا إليـه في الدعوة إلى دين اللّه الواحد، وإلى الجهاد في سبيل اللّه، غير هيّابين من أحد، حـاملين صليبَهم معهم. وهذا كناية عن الإقدام.. أي حاملين أكفانَهم معهم، وحاملين قلوبهم وأرواحهم على أكفِّ أيديهم..

" ولكنّ أفراد الشـاؤوليّين الكنسيّين حملوا المعنى على الظاهر. فـتفنّنوا في حمل الصليب. فنحـتوه من الذهب الخالص، أو من الفضّـة، أو من الخشب، أو من الماس.. ومِن كلّ المعادن، وعلّقوه على صدورهم، والقساوسةُ ملأوا جوانبَهم به، وعلّقوه عـلى أسطح كنائسهم. وإذا سـألتهم لماذا كلّ هذا! أجـابوك: "المسيح طلب منّا ذلك" . ولكن شتّان بين حقيقـة ما طلبه منهم المسيح وبين ما فعلوه هم. فهم فعلوه للزينة، والمسيح قصد منه الجهاد والفداء.. " (٤٨٩-٤٩٠).

***

نقول:

لقد تعمّدنا نقلَ صفحاتٍ من السيّد أحمد زكي للأسباب التالية:

أوّلاً- لما في حجـجه من طرافة وتحلـيل لم يعتدْها المسـيحيّـون في قراءة أناجيلهم، ولم يَعُـدْ يخطرُ في بالهم تلك المقولات القديمة التي يعرفـها المؤرّخون عند بعض الشيع، كالظاهريّين، والدّوسيتيّين، وبعض النّصارى الذين ما تحمّلوا عمليّةَ الصلب، فقالوا مقولةَ القرآن الذي نقلَ عنهم مباشرةً.

ثانياً- لأنّ ما جـاء به السيّد زكي يعبّر أحسنَ تعـبير وأعمقه وأشـمله عمّا يقول به المسلمون كـافّة. ونجد هذا القول يتردّد تحت أقلامهم، وتُـكتبُ فيه كتبٌ ومقالات كلّما نشط العداء بين المسلمين والمسيحيّين في أيٍّ مكان من العالم.

ثالثاً- لأنّ موضوع الصليب، بالنسبـة إلى المسيحيّين، هو من الموضوعات المحـوريّة في إيمانهم. فالـصليب هو عنوان إيمانهم، وعـلامة مـجدهم. وكـلام القديس بولس يعبّر عن ذلك تماماً، إذ قـال: "أمّا نحن فننادي بمسيحٍ مصلوب، هو عثارٌ لليهود وجهالةٌ للأمم" (١قور ١/ ٢٣).

***

لقد نطق السيّد أحمد زكي بكلمَة حقٍّ عندما قال: "فَإِذَا انْتَفَى الصّليبُ، مَاذَا يَبْـقَى مِن دِينِ شـاؤول؟ لا شيء" (ص ٨٤٦). هـذا كـلامٌ عظيم. يؤيِّدُه فـيـه شاؤولُ نفسُـه، الذي قال: "أمّا أنا فَمَـعَاذَ اللّهِ أنْ أفتَخِـرَ إلاّ بصليبِ ربِّنا يسوعَ المسيح" (غلاطية ٦/ ١٤).

الصليبُ، بالنسـبـة إلى المسـيحـيِّين، هو عنوان خـلاصـهم. ولكأنّ اللّهَ لم يتجسّد إلاّ والصليبُ نصبَ عينَيـه، وهدفُه الذي يسعى إليه.. ولكأنّه من أجل هذا أتى. والمسيحـيّة كلّها هي في ظلٍّ هذا الصليب. والهـالكون، على قول بولس، هم أعداء الصليب (فيلبّي ٣/١٨).

ولئن ركّـز المسلمون على إلغـاء الصليب فـلأنّهم يعرفـون بأنّهم يقضـون، بذلك، على المسيحيّة من أساسها. وأسباب هذا التركيز هي التالية:

أوّلاً– تفسيراً لما جاء في آية النـساء (٤/ ١٥٧). آية مهمّة. ترفض أن يكون المصلوب عيسى نفسَه. بل هو شبيه به، آتٍ من عالَمٍ آخر، أرسله اللّهُ لهذه الغاية. وقد يكون أيضاً عيسى نفسُه هو الذي صُلب، ولكنّه لم يمتْ، بل بقي حيّاً إلى أن رفعه اللّهُ إليه. أو أيضاً قد يكون أحد التـلاميذ هو الذي صُلب مكان عيسى، مثل أن يكون سـمعـان بطرس، أو سمـعان القـيرواني، أو يوسف الرّامي، أو يـهوذا الإسخريوطي.. والخلافُ لا يزال قائماً.

ثانيا– إنّه من غير المعقول عند المسلمين أن يتعرّض المسيح، وهو نبيٌّ عظيم، إلى هذا القـدر من الإهانة والذلّ على أيدي أعـدائه اليـهـود والرومان. وإلاّ مـا عسى يكون الهدف الذي جاء عيسى من أجله، إذا كان أعداؤه قد انتصروا عليه!!

ثالثاً– ثمّـة طوائف نصرانيّـة قديمة وعديدة قـالت بنظريّة "الرّفع". وفي

رأي بعضهم أنّ "المسيح" العنصرَ الإلهي دخل في يسوعَ الناصري عند عماده، ثم خرج منه عند صلبه. وفي رأي بعضهم الآخر: إذا كان المسيحُ عنصراً إلهيّاً، فلا يُعقل أن يصلَب، ويهان على أيدي أشرار. وآخرون، ممّا يرون المسيحَ نبيّاً عظيماً، يرفضون انكسارَه لأعدائه وأعداء اللّه.. الخ.

رابعاً- لأنّ القرآن قال ذلك. قال مترجم الداعية ديدات: "ونحن كمسلمين لا نقبل بشأن عيسى إلاّ ما يقوله لنا القرآن الكريم. **ولا نريد أن نعرفَ أكثر ممّا يُخبرنا به القرآنُ الكريم**" (أنظر كتاب "مسألة صلب المسيح. بين الحقيقة والافتراء. ص ١٩٤).

***

أمّا المسيحيّون فليسوا، في معتقدهم، في حاجة إلى إثباتِ الصلب التاريخي، أو إلى الردّ على المسلمين وسائر الشيع النّصرانيّة التي سبقت. فالكنيسة، في رأيهم، هي، منذ البدء، على هذه المسيرة، مسيرة الآلام، والصلب، والموت والقيامة.

والذين رفضوا، من المسيحيّين، هذه المسيرة، رفضوها لشدّة إيمانهم بأنّ اللّهَ، الذي هو المسيحُ، لا يُمكن أن يُصلب، أو أن يتألّم، أو يهان، أو يموت... وأمّا الذين يصرّون على الصلب فإنّهم يصرّون في الوقت نفسه على أنّ اللّهَ الذي هانَ عليه التجسّد لا بدّ من أن يكمّلَ مسيرةَ هذا التجسّد، أي مسيرة الألم والموت... وكلّ ذلك كان من أجل الإنسان وخلاصه.

ومن المسيحيّين من يقبلون عقليّاً هذا الصلب، لأنّ اللّهَ نفسَه، في رأيهم،

عندما خلق الإنسانَ حـراً، خلقَ لنفسِه، في الوقت نفسِـه، صليباً. لأنّه خلقَ بإزائه كائناً يستطيع أن يقولَ له: نعم ولا. يستطيع أن يرفـضَه أو أن يقبلَه، أن يطيـعَه وأن يعصاه.. إنّها الحرّيّـة، عنوان مجد الإنسان، وعنوان صليب اللّه، منذ الأزل. وكان على اللّه، بشخصِ المسيح، أن يكمّلَ دفاعَه عن هذه الحرّيّة نفسِها.

فما أروع ما قـال شاؤول في هذا الشأن: "ألصليب يحرّر" (غل ٦/ ١٤): يحرّر من الشـريعة (أف ٢/ ١٥)، يحرّر من الخطيئـة (قول ٢/ ١٤)، يحرّر من الشـيطان (قول ٢/ ١٥). ألصليبُ يـصالحُ ويوحّـد بين السمـاء والأرض (أف ٢/ ١٤-١٦، قول ١/ ٢٠)، ألصليب يفـدي ويخلّص: إنّ المسيح، بتسمـيره على الصليب مزّق ذلك الصكّ المكتوب علينا لهلاكنا (قول ٢/ ١٤).

وليس شاؤول وحدَه مَن قال بصلب يسوع وشدّد على أهمّـيته الخلاصيّة. فالأناجـيل كلّها، القـانونيّة والمنحـولة، تعترف بهـذا الحدث التـاريخي. وكذلك التقليـد الكنسي المتواتر عن الآباء والكتبـة والمؤرّخين. إنّه حدثٌ تاريخيٌ لا شكّ فيه. وهو أيضـاً حدثٌ خلاصيٌ لا شكّ فيه. لكأنّ الصليبَ كان الوسـيلةَ الوحيدة التي أتمّ اللّه بها خلاصَ العالم.

ويقتضي لـنا الكثير من الثقافـة اللاّهوتيّة حتّى نؤمنَ بمسـيرة يسوع في درب الصليب. كما أنّنا نعـجز أن نرى في مسيرة خـلاصنا درباً أخرى. والفرق الكبير من المسيحيّين وغير المسيحيّين هو أنّ المسيحيّين عرفوا أن يفتدوا حياتّهم، بكلّ ما فيها من آلام وأحزان وأمراض ومشـاكل ومتاعب ومصاعب، فأشركوها بحيـاة ربّهم ومخـلّصهم، و"طعّـموها" به، وحـملوا صليبَـهم معـه... أمّا غـير المسيحيّين فلا يزالون يبحثون عمّن يحملُ أعباءهم، ويساعدهم في حمل صليبهم.

ويبدو لنا أنّ الصليبَ، بما يعني من آلام وأحزان وأتعاب ومشاكل، هو من واقع الحياة البشريّة. فلكلّ إنسان صليبه. ولكأنّه أمرٌ محتّم. لا مهرب منه ولا خلاص... وإذا كان الأمرُ كذلك، يكون أمام الإنسان أحد احتمالَين: إمّا أن يكون كـ"سيزيف" يحملُ صخرتَه على كتفيه ويصعد بها إلى قمّة الجبل، وعند بلوغه القمّة، تهوي به إلى قعر الوادي، فيعود إليها، ليحملها مجدّدا. وهكذا إلى آخر الدهر. يعيشُ عبثيّةً قاتلة... وإمّا أن يتشبّه بيسوع فيحمل صليبَه على منكبَيه، ويسير معه، ويفتدي نفسَه، ويتخلّص من عبثيّة الوضع البشري الراهن. وهكذا يحظى بحلٍّ عظيم لما هو فيه من مآسي الحياة.

ويتّضح لنا عند الذين يرفضون عبثيّة "سيزيف" وصليب يسوع معاً، أنّهم لا يعرفون من واقع الحياة البشريّة إلاّ ما هان. فهم مطمئنّون جداً لما هم عليه. والبشريّة، في عقيدتهم، تسير على نمط محدّد مرسوم. والإنسان مسيّرٌ بحقائق جاهزة وبشريعة مُنزلة. والعالم يدور على نفسه، ولا يسير إلى الأمام خطوة... هؤلاء لا يفقهون عبثيّة "سيزيف"، ولا يقبلون صليب يسوع. من بينهم السيّد أحمد زكي ومَن يقول قولَه. وكم عليه أن يعمل ليصبح بمستوى آلام إخوته البشر الذين يضطهدهم ويعلن عليهم الحربَ المقدّسة!!!

ونودّ أن نقول أخيراً للسيّد زكي بأنّ عليه أن يُعيدَ النّظرَ في تلك "الذخائر" التي أتحفنا بها، لأنّ البشر، الذين رأوا ما رأوا وسمعوا ما سمعوا، لم يكونوا على هذا القدر من الغباء حتّى يُصدّقوا أوهاماً وأشباحاً. هذا وإنّ إيمانَهم بالمسيح المصلوب من أجل خلاص العالم قد نالهم منه قداسة وخلاص.

الفصل الثالث عشر

موسى وعيسى تنبّآ عن محمّد

ألتّوراةُ والإنجيلُ الحقيقيّان، في نظر السيّد أحمد زكي، تنبّآ عن النبيّ القادم، ألنبيّ المنتظر، الذي هو محمّد. موسى وعيسى، وما بينهما، من أنبياء، تنبّأوا عن مجيء محمّد. ولغايةٍ لا يجهلُها أحد، أخفى اليهود والمسيحيّون التوراةَ والإنجيلَ الحقيقيَّين، وبدّلوا آيات، وحرّفوا آيات، وألغوا آيات، وأخفوا آيات.. حتّى لا يظهر اسمُ محمّد.. ولكنَّ اللّهَ أعمى عيونهم عن آياتٍ عديدة، بقيت في كتبهم، تشهدُ على أنّ النبيَّ المنتظر، والمسيحَ الحقيقيَّ، هو محمّد. كما تشهدُ على فسادِ أخلاقهم، وسوء نيّتهم، وشرّهم الطامي في إلغاء إسم محمّد.

وكم قرأ المسلمون التوراةَ والإنجيل، بنيّة اقتناص ما تبقّى فيهما من إشارات إلى النبيّ محمّد!.. وكم فسّروا الآيات، واستلهموا منها الوحيَ، وفتّقوا ما فيها من معانٍ، ليجدوا فيها كلاماً على محمّد!! وكان منهم السيّد أحمد زكي، الذي لم يألُ جهداً في تتبّع الآيات، واقتناص معانيها، وكشف أسرارها، وحلِّ رموزها، وفكّ ألغازها، واستنباط طلاسمها، ليستخلص منها ضالّته المفقودة، ألا وهي معرفة ما تقوله عن النبيّ محمّد.

ويقدّمُ لنا السيّد زكي الأدلّةَ العديدة من آيات التوراة والإنجيل على مجيء

محمّد. هذه الأدلّة لم يكتشفها المسيحيّون الشاؤوليّون الكنسيّون، ولم يغوصوا في حقيقة مدلولها، ولم يفهموا مقصودَها، ولم يُدركوا بُعدَها.. لأنّ اللّه، لسوء نيّتهم، لم يَكشِفْ لهم.

ويسعنا القول بأنّ أكثر ما أبدع السيّد زكي في كتابه كان في هذا المجال. أي مجال اكتشاف ما تنبّأ به موسى وعيسى عن النبيّ القادم، ألذي هو محمّد. وكم يستلزم هذا الاكتشافُ من معاناة، ومن تحاليل لآيات التوراة والإنجيل، ليجد فيها ما يبحث عنه!.

وها نحن نقدّمُ اكتشافات السيّد زكي، كما هي في كتابه، دون أيِّ تدخّلٍ منّا. وطريقتنا في ذلك نقلُ ما قال، أو اختصار بعض ما قال، وذلك بتتبّع الكتاب من بدايته. وليعذرنا القارئ، هنا أيضاً، من التكرار المملّ.

* قال السيّد زكي في عموم قوله: "محمّد، حفيدُ إسماعيل، الذي ورد اسمُه في أعداد (أي آيات) كثيرة في التوراة والإنجيل المنزلَين. لكنّهم (أي اليهود والمسيحيّون) أخفوا إسمَه. فقال اللّهُ فيهم: "الذين آتيناهُمُ الكتابَ يعرفونَه كما يَعرفُونَ أبناءَهم، وإنّ فريقاً منهم لَيكتُمونَ الحقَّ وهم يَعلمُون" (سورة البقرة ٢/١٤٦)" (ص ٥٨).

* ويعلّق السيّد زكي على ما قاله المسيح في إنجيل متّى (٢١/٢٢-٢٤): "أما قرأتم قطّ في الكتب: ألحجرُ الذي رفضه البنّاؤون (أي إسماعيل الذي جاء من نسله محمّد) قد صار رأسَ الزاوية من قِبَل الربّ. لذا أقول لكم: إنّ ملكوتَ اللّهِ يُنزَعُ منكم (أي من اليهود والنّصارى)، ويُعطَى لأمّةٍ تَعملُ أثمارَه (أي

الإسلام). ومَن سقطَ على هذا الحجر (أي محمّد) يترضض، ومَن سقط عليه يسحقُه" (ص ٥٩).

* "محمّد.. النبيّ العربيّ الأمي، حفيد إسماعيل بن إبراهيم الذي بشّر اللّه به موسى في التوراة، وطالب الناسَ كافّةً أن يتبعوا رسالتَه الخاتمة..

"محمّد الذي قال: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة. فليس بيني وبينه نبيٌّ . والأنبياء إخوة لعائلات. أمّهاتهم شتّى ودينهم واحد".

"محمّد الذي تنبّأ به عيسى، وسمّاه ‹روح الحقّ› (يو ١٦/١٣)، وشهد له بأنّه ‹لا يتكلّم من نفسه› (أي يتلقّى الوحيَ من السماء)، وقال عنه ‹سيأتي بعدي› بالرسالة السماويّة الخاتمة التي يعلّم الناس فيها كلَّ شيء، ويرشدهم إلى ‹جميع الحقّ›، ثم يشهد لي (أي عيسى).. إذ قال:

"١. وأمّا المعزّي.. فهو يعلّمكم كلَّ شيء، ويذكّركم بكلّ ما قلتُه" (يو ١٤/٢٦). والمعزّي ترجمة خاطئة للكلمة اليونانيّة "بيريكليتوس".. ومعناها: الأكثر حمداً، أي "أحمَد"، وهو إسم آخر للنبيّ محمّد، تأكيداً لما جاء على لسان عيسى في القرآن: "ومبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي إسمُه أحمد" (سورة الصفّ ٤١/٦).

"٢. وأمّا متى جاء ذاك روحُ الحقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ، لأنّه لا يتكلّم من نفسه، بل كلّ ما يسمع به يتكلّم ويخبركم بأمور آتية" (يو ١٦/١٣):

- لقد جاء محمّد بالقرآن.. فيه جميع الحقّ..

- "ويخبركم بأمور آتية": والقرآن أخبر بكل ما هو آتٍ في هذه الدنيا حتى يوم القيامة. فهو الآية الخالدة إلى أن تقوم الساعة...

- "ومتى جاء المعزّي فهو يشهد لي" (يو ١٥/٢٧)، "ذاك يمجّدني" (يو ١٦/١٤): ولقد شهد محمّد لعيسى بأنّه نبيّ اللّه ورسوله، ومجّده ونزّهه عن

البصق والجلد والصلب، وردّ له اعتبارَه بعـد أن جعله شاؤولُ لعنةً.. كما نزّه أمّه عمّا رماها به اليهود، وجعلها أطهر نساء العالمين" (ص ٦٢-٦٣).

* لقد قـامت قيـامة اليهـود على المسيح لأنّه قـال لهم بأنّ ملكوت اللّه يُنزعُ منهم، ويُعطى لأمم غيرهم. لقد "جنّ جـنونهم، وتأجّج الحقد في صدورهم.. لأنّه يكشف أمام الناس.. ما أخفوه قروناً طويلةً، وهو أنّ النّبيَّ القادم (أي محمّد) لن يكون منهم" (ص ٧٠)..

".. وجنّ جنون قساوسة اليهـود المندسّين في الكنائس يوم ظهر محمّد نبيُّ العـالم، ينفض الغـبارَ عن دين أخـيـه عيـسى.. ويعلن: "لا إله إلاّ اللّه". ويكفـر بالثالوث. كما جاء ينزّه أخاه عيـسى عن الصلب. وينزّه أمّه عمّا حاوله اليهود من تلويث شرفها" (ص ١١٨).

* وهناك تنبّؤات عـديدة في أقوال الأنجـيل وأمثاله، "لو فطـنوا معانيـها والمقصودَ منهـا، ربّما ما كتبوها إطلاقـاً، لأنّها، في حقيقتهـا، ما هي إلاّ بشارات عن قرب حلول مملكة اللّه على الأرض التي أقامها النبيّ المنتظر الذي كان ينتظره اليـهود، والذي لم يكن سـوى مـحمّـد نبيّ الإسلام" (١٥٨). من هذه الأقـوال والأمثال:

١. "إنّ ملكوت اللّه يُنزع منكم ويُعطى لأمّة تعمل أثماره" (متّى ٢١/٤٣).

٢. "إنّ كـثيـرين سـيأتون من المـشارق والمغـارب، ويتّكئـون مع إبراهيم وإسحق ويعـقوب في ملكوت السمـوات. وأمّا بنو الملكوت فيُطرحـون إلى الظلمة الخارجـيّة" (٨/١٢). أبـناء الملكوت هم اليهـود، والذين سيـأتون من الشـمال والجنوب (لوقا ١٣/٢٨) ومن المشارق والمغارب (متّى) فهم كناية عن المسلمين، لا سيّما وقت الحجّ.

٣. "هوّذا آخـرون يكونون أوّلين، وأوّلـون يكونون آخـرين" (لو ١٣/ ٢٨). فالمسلمـون هم آخر مَن أتى حسب الـرسالات السماويّـة، ولكنّهم الأوّلون دخولاً إلى الجنّة، بشـهـادة المسيح. والمسـيحُ لا يمكن أن يكذب، لأنّه مـعـصـوم عن الكذب..." (١٢٣).

* ويعلّق السيّد زكي على سؤال يوحنّا المعمدان للمسيح: "أأنتَ هو الآتي أم ننتظرُ آخر؟" (متّى ١١/ ٣)، ويقول:

"نستنتج أنّ المعمـدان كان ينظر إلى عيسى كنـبيّ، وليس كإله.. ممّا ينسف زعمَ الكنيـسة في تألـيه عـيسى. ويؤكّـد أنّ هناك نبيّ (كـذا) آخر قـادم ينتظره الجمـيع هو الـ"مَسِـيًّا" (أي مـحمّـد). ثمّ ألمْ يزعمْ هذا الكاتب، في العـماد، أنّ المعمدان قال وقـتَها: "أنا محتاجٌ أنْ أعتـمدَ منك". والآن يسأله: "مَن أنت؟". هل التبسَ الأمرُ على يوحنّا؟ مـستحيل. لأنّ عيسى ويحيى كـلاهما إبنا خالة، وتربّيا مـعاً، وعـاشا سـويّاً في مـدارس الإسّينيّين".. هذا ممّـا يعنى أنّ المقصـودَ من السؤال كان: هل أنتَ الـ"مَسِيًّا"، أي محمّد؟" (٤٩٣).

* ثمّ "إنّ عيسى، في نظر السيّد زكي، لم يكن أبداً هو النّبي المنتظر، حسب ما جـاء في دانيال (٢و٧) عن **ابن الإنسان** الذي يحطّم الوحوشَ الأربع (أي الممالك الأربع: الرومان واليونان وفـارس وبابل)، إذ من المعروف أنّ عيسى كان مهادناً للرومان، وقال: "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما للّه للّه" (متّى ٢٢/ ٢١). إنّمـا الذي حطّـم الممـالك الأربع، وأخـذَ الجـزية منهـم ومن الرومـان هو محمّد" (٢٠٢). "والحجرُ الذي ضربَ التـمثالَ في دانيال (٢/ ٣١-٣٥) فصار جبـلاً كبيـراً، وملأ الأرضَ كلّهـا، فهو كناية عن مـحمّد والـدين الإسلامي الذي انتشر بسرعة مذهلة وملأ الإرضَ كلّها" (٢٠٣).

* ويخصّص السيّد زكي أربعين صفحة لتفسير ما جاء في **سفر تثنية الاشتراع** (١٨/١٨-٢٢): "أُقيمُ لهم نبيّاً من وسطِ إخوتهم مثلك. وأجعلُ كلامي في فمه، فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به. ويكون أنّ الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطالبه. وأمّا النبيّ الذي يطغى فيتكلّم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلّمَ به، أو الذي يتكلّم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبيّ. وإنْ قلتَ في قلبكَ كيف نعرف الكلامَ الذي يتكلّمُ به الرّب، فما تكلّم به النبيُّ باسم الرّبّ، ولم يحدثْ، ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلّم به الرّب، بل بطغيان تكلّم به النبيّ. فلا تخفْ منه".

* يقول السيّد زكي: "هذه بشارة من اللّه لنبيّه موسى في أنّه سيرسل نبيّاً **مثله** في مستقبل الأيّام، ويحمّله رسالة جديدة، أي **تنسخ التوراة، وأنّ على الجميع إطاعته.** والذي لا يطيعه سيكون مسؤولاً أمام اللّه...

* ويتوقّف، بنوع خاصّ، عند تعبير "**وسط إخوتهم**"، ويقول: هذا يعني: لا وسط اليهود أنفسهم. بل وسط إخوتهم الذين هم بنو إسماعيل. "ولولا ذلك، لما سكنوا (اليهود) يثرب في الجزيرة العربيّة، بلاد إخوتهم بني إسماعيل، منتظرين ظهورَه، حسب ما جاء في أشعيا: "وهي من جهة بلاد العرب".

* ثمّ إنّ هذه البشارة "**وسط إخوتهم**" لا تطبّقُ على عيسى، لأنّ:

١. "عيسى كان من بني إسرائيل، وليس من "إخوتهم"؛

٢. عيسى لم يأتِ بشريعة جديدة.. رسالة محمّد (القرآن) هي الرسالة الجديدة التي نسختْ توراة موسى وإنجيل عيسى وجميعَ الكتب السماويّة الأخرى. فقد جاء في القرآن: "وأَنْزَلْنَا عَلَيكَ الكتابَ بالحقّ، مصدّقاً لِما بينَ يدَيه

من الكتاب، **ومُهَيْـمِناً** عليه " (المائدة ٥/٤٨). وجاء إيضـاً: "ومَن يبتَغِ غـيرَ الإسلامِ دِيناً فلنْ يُقبلَ منه، وهو في الآخرةِ من الخاسرين" (٣/٨٥).

٣. عيسى لم يأتِ للعالم كلّه: "لـم أرسَلْ إلاّ لخرافِ بيت إسرائيل الضالّة" (متّى ١٥/٢٤). أمّا محمّد فهو الذي أتى للعالم: "ومَا أرسَلْنَاكَ إلاّ كافّةً للناس" (سبأ ٢٨)، "قل: يا أيُّها النّاس! إنّي رسولُ اللّهِ إليكم جميعاً" (٧/١٥٨).

٤. عيسى انتهرَ التلاميذَ عندما قالوا له: "أنتَ المسيح"، أي النبيّ القادم (مرقص ٨/٢٧-٣٠). أمّا الذي جاء لخلاص العالم من الأصنام والكفر هو محمّد.

٥. عيسى نفسُه بشّر بهذا النّبيّ (محمّد): "أقول لكم الحقّ: خيرٌ لي أن أنطلقَ، لأنّه، إنْ لم أنطلقْ، لا يأتيكم المعزّي"، أي "أحمد" (يوحنا ١٦/٧). وفي القرآن: "وإذ قال عيسى ابنُ مريمَ: يا بني إسرائيلَ! إنّي رسولُ اللّه إليكم مصدِّقاً لما بين يديَّ من التوراة، مبشّراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد" (الصفّ ٦/٤١).. وسيأتي بعدي النّبيُّ الخاتم الذي يقول لكم كلَّ شيء: "إنَّ لي أموراً كثيرة أيضا لأقول لكم. ولكن لا تستطيعوا أن تحتملوا الآنَ.. وأمّا متى جاء ذاك روحُ الحقّ فهو يُرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لا يتكلّم من نفسه" (يو ١٦/١٢-١٣).. ولم يأتِ بعد عيسى من الأنبياء إلاّ محمّد، ولم يمجّدْه ويدافع عنه إلاّ محمّد..

٦. عيسى نفسه أكّد أنّ النّبيَّ القادم لن يكون من اليهود: "ماذا تظنّون في المسيح؟ إبنُ مَن هو؟ (متّى ٢٢/٤١)"... ولو كان المقصود من السؤال عيسى نفسه، لما كان للسؤال من معنىً. إنّما المقصود شخص سواه، من غير إسرائيل، هو محمّد.

٧. يعطي عيسى في إنجيل يوحنّا بعضَ صفات النبيّ المنتظر، فيقول: "إنْ

كنتم تحبّوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من اللّه فـيعطيكم معزّياً آخر، ليمكثَ مـعكم إلى الأبد.. روح الحقّ" (يو ١٤//١٥-١٧).. والنّبيُّ الآخـر، أي من نوع آخر، ومن جنسـيّة أخرى، هو محـمّد. يمكثُ معكم إلى الأبد، بعـيداً عن التغيـير والتحـريف.. تصديقـاً لقوله تعـالى: "إنّا نحن نزّلنا الذِّكرَ. وإنّا لـه لحافظون" (الحجر ٩) (ص ٢٠٤، ٢١٢-٢١٦).

وبنتـيـجة هذه الأقـوال: "لا يحقّ للشـاؤوليّين الكنسـيّين، ولا بحـال، أن يزعموا أنّ عيسى هو النبيّ المنتظر. وذلك لسبب بسيط.. هو زعمهم أنّ عيسى هو اللّه" (٢٣٧).

" وللذين يرغبـون في المزيد من النبوءات عن مـحمّد وأمّـة محـمّد يمكنهم مراجعة النبوءات التالية في التـوراة والأناجيل.. لأنّ البشارة بمحمّد جاءت على لسان جميع الأنبياء" (يراجع ص ٢٤١-٢٤٢ من كتاب السيّد زكي)..

٨. "وجاء في رؤيا يوحنّا اللاّهوتي: "ثمّ رأيتُ السماء مفتوحةً، وإذا فرسٌ أبيض والجـالس عليه يُدعى أمـيناً وصـادقاً، وبالعـدل يحكم ويحارب. وعـيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيـجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحـدٌ يعرفه إلاّ هو. وهو متـسربل بثوب مـغمـوس بدم، ويُدعى اسمه كلمـة اللّه، والأجناد الذين في السماء كانوا يتـبعونه على خيل بيض، لابسين بزّاً أبيض ونقيّـاً. ومن فمه يخرج سيفٌ ماضٍ لكي يضـرب به الأمم، وهو سيـرعاهم بعصـيّ من حديد، وهو يدوس معصرةَ خمرٍ سـخط وغـضب اللّه القادر على كلّ شيء، وعلى فـخذه اسمٌ مكتوب ملك الملوك وربّ الأرباب" (١٩/١١-١٦).

يشرحُ السيّد زكي هذا الكلام فيقول:

" محمّد، منذ طفولته كان معروفا بـ"الصادق الأمين". أمّا قوله: "من فمه

يخرج سيفٌ ماضٍ" فهو كناية عن القرآن.. به يحارب، وبه يحكم ويبسط العدل بين الناس. وأمّا "الأجناد الذين يتبعونه على خيل بيض" فهم صحابته الذين قاتلوا معه" (٢٤٢)...

* "حتّى في الديانات القديمة، جاءت البشرى بمحمّد كنبيّ ومنقذ للعالم. فلقد ورد اسمُه وصفاتُه ومكانُ ظهوره في الكتب الهندوكيّة القديمة المعروفة باسم "بورانا" (ص ٢٤٢-٢٤٣).

* "وكلّ مَن يقرأ الأناجيل يرى فعلاً أنّ عيسى هو الذي أخذ الشعلةَ من يوحنّا، وبشّر بمقدم محمّد، كما بشّر بحلول مملكة الله على الأرض.. التي تحقّقت بعد أقلّ من ٦٠٠ سنة، على يد نبيّ الإسلام.. وعليه، يكون عيسى هو الذي هيّأ الطريق أمام محمّد. وهو الذي أمر تلاميذَه بقوله: "وأيّ مدينة دخلتموها قولوا لهم اقترب منكم ملكوت الله.. (أي محمّد) (لو ١٠/٩)... والإنجيلُ كلّه اسمه الخبر السارّ المفرح، أي محمّد" (٣٢٧).

* "جميع رجالات الكنيسة، من البابا حتّى الشمّاسي.. غشّوا الأمّة المسيحيّة قاطبةً، طيلة العشرين قرناً الماضية، وجرّوها إلى الشاؤوليّة الكنسيّة الوثنيّة.. لهذا، فهم يبرمجون طوائفَهم منذ الصغر على عدم الإيمان بمحمّد، أو برسالته (القرآن)، لأنّه، لو اطّلعتْ طوائفُهم على دين محمّد، لنبذوا دينَ شاؤول، واتّبعوا محمّداً في الحال. ومن أجل هذا تلوذ الكنيسة بالصمت عن هويّة "ذاك النّبيّ الذي سأل الكهنةُ واللاويّون يوحنّا عنه، والذي كان الكلّ في انتظاره. والكنيسة، اليوم، لا تستطيع أن تزعم لطوائفها أنّ ذلك النّبيّ هو عيسى، لأنّها سبق أن زعمتْ لهم أنّ عيسى إله. والإله لا يكون نبيّاً. كما أنّ النّبيّ لا يكون إلهاً..

النّبيّ القادم ما كان إلاّ محمد. إذ لم يأتِ، بعد عيسى، إلاّ محمّد. وهو الذي جاء معه القرآن الذي فيه "جميع الحقّ" الذي ذكره عيسى" (٣٢٩-٣٣١).

* وتعليقاً على قول يوحنّا المعمدان: "يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي" (متّى ١١/٣)، يقول السيّد زكي: "يُستبعد أن يكون المقصود في كلام يوحنّا المعمدان هذا عيسى نفسه. لأنّ عيسى ويوحنّا ولدا في سنة واحدة، وعاصر أحدُهما الآخر.. وكلمة "بعدي" هذه تدلّ على مستقبل غير معلوم. وبلغة النبوءة، تعبّر عن دورة أو أكثر من دورات الزمن.. وأنّ في كلّ دورة زمنيّة، تقدّر بنحو خمسة قرون أو ستّة، تظهر شخصيّةٌ لامعة.. والمعروف أنّ نبيَّ الإسلام وُلد بعد أكثر من ٥٠٠ سنة بقليل من ميلاد المسيح.. ومحمّد هو النّبيّ القويّ الذي أتى بعدهما (أي بعد يوحنّا وعيسى) ودخل مكّةَ قويّا منتصراً بعد تدميره الكامل لجميع الأصنام ومظاهر الشرك" (٣٣٣-٣٣٤). ثمّ لو أنّ يوحنّا عرف، ساعةَ العماد، أنّ عيسى هو النّبيّ القادم، لما أرسلَ له، وهو في السجن، ليسأله: أنتَ الآتي أم ننتظر آخر؟

* وتعليقاً على قول يوحنّا المعمدان: "مَن أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي!" (متّى ٣/٧)، يقول السيّد زكي: "محمّد هو الغضب الآتي الذي نزع الملكَ والنبوّة من اليهود، وسلّمها لقوم غيرهم.. وقد تحقّق ذلك بعد ستة قرون، عندما سوّى محمّد آخر معاقلهم بالأرض.. والذي أقام دينَ الإسلام كمملكة اللّه على الأرض" (٣٣٥).

ثمّ "لو أنّ يوحنّا عرف، ولو للحظة، أنّ عيسى هو النّبي القادم، لترك التعميدَ رأساً، والتحقَ به فوراً، لأنّه لا معنى لاستمراره في التعميد والتبشير بالنّبيّ القادم طالما أنّ النّبيّ القادم قد وصل.

ثمّ "لماذا لم يتوقّف (يوحنّا) ويسلّم العماد لعيسى ليبدأ (عيسى) فوراً التعميد بروح القدس والنار!

ثمّ "ما حاجة الإله إلى العماد؟ وهل يُعقل أن يعمَّد اللّهُ على يد إنسان هو خالقه وخالق النهر الذي تعمّد فيه؟ (٣٣٦-٣٣٧).

ثم "إنّ النبيّ القادم سيعمّد بروح القدس، أي أنّ التعميد ليس بالتثليث. فمن أين أتوا بعد ذلك باسم الأب والابن المدسوسَين في آخر إنجيل متّى؟!.. أليس غريباً أن يناقضَ أوّلُ الإنجيل آخرَه؟! (٣٣٩-٣٤٠).

ثمّ "إنّ متّى ولوقا ذكرا أنّ النبيَّ القادم سيعمّد بروح القدس ونار لا تطفأ، وينقّي بيدَرَه، ويجمع قمحَه إلى مخزنه.. فهل يستطيع قساوسةُ اليوم أن يدلّونا أين هي النار التي لا تطفأ.. وما إذا كان عيسى قد عمّد أحداً بها؟

"ثمّ متى حمل عيسى رفشَه، ونقّى بيدره، وجمع قمحه إلى مخزنه؟ وأين التّبن الذي أحرقه بنار لا تطفأ!!! في الوقت الذي كان فيه يهوذا الخائن يعشعش في بيدره. كما لم يمحّص أيّاً من أتباعه الآخرين ليميّز منهم المنافقين من المؤمنين. بل أكثر من ذلك ضرب لهم مَثَلَ الزوان والحنطة، وتركهما ينموان سويّاً حتى الحصاد... أمّا محمّد فقد محّص اللّهُ له أتباعهَ، ودلّه على المنافقين، فأخرجهم من بينهم..

"من الواضح أنّ كلَّ ذلك لا ينطبق على عيسى قيدَ أنملة. إنّما ينطبق على نبيّ الإسلام الذي أخرج الناسَ من ظلمات الكفر إلى النور.." (٣٤٠). "وكان اللّه قد أتمّ على يدي نبيّ الإسلام الشريعةَ التي أحرقتْ بنارٍ لا تطفأ جميعَ أصنام المشركين والكفّار في الجزيرة العربيّة" (٣٤١).

* وتعليقاً على ما جاء في متّى: "إنّه مكتوب أنّ اللّه يوصي بك ملائكتَه، فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تُصدَم بحجرٍ رجلُك" (٦/٤)، يقول السيّد زكي:

ليس المقصود هنا عيسى، "لأنّ عيسى غير مذكور عنه شيء في التوراة، أو في العهد القديم. إنّما يشير (النّصُّ هنا) إلى محمّد نبيِّ الإسلام. فمحمّد هو الذي نجّاه اللّه من كلِّ أعدائه، رغم الحروب التي خاضها، والمكائد والدسائس التي حيكتْ لقتله" (٣٧٢).

وفي مكان آخر يعلّق السيّد زكي على ما جاء في متّى (١٣/ ٣٥): "لكي يتمّ ما قيل.."، فيقول: "هراء!!.. المسيحُ غير مذكور، لا في التوراة ولا في العهد القديم" (٥٤٦. انظر أيضاً ص ٥٨٥).

* وتعليقاً على ما جاء في متّى من كلام يوحنّا المعمدان ومن كلام المسيح أيضاً: "توبوا لأنّه اقترب ملكوت السموات" (٣/ ٢و٤/ ١٧)، يقول السيّد زكي: "ما هو ملكوت السموات هذا الذي اقترب ودعا إليه الإثنان؟!

"إنّها النبوّة والرسالة الإلهيّة الختاميّة التي كانت تنتظرها البشريّة جمعاء، والتي اقترب ظهورُها على يدي النّبي الخاتم الذي كان الجميع في انتظاره، بعد أن امتلأتِ التوراة والأناجيل بالبشارات به، وبقرب إقامة مملكة اللّه على الأرض...

"أمّا النّبي الذي سيحمل (الرسالة) فهو الذي قال عنه يعقوب: "لا يزول قضيبٌ من يهوذا حتّى يأتي شايلون، وله يكون خضوع شعوب" (تك ٤٩/ ١٠)،

"وهو الذي بشّر اللّهُ موسى به في قوله: "سأرسل لهم نبيّاً من إخوتهم مثلك، وأجعلُ كلامي في فمه" (تثنية ١٨/ ١٨)،

"وهو الذي تحدّث عنه دانيال بأنّ سيحطّم الوحوشَ، أي الممالكَ الأربعَ (٢-٧)..ومَن غير محمّد سحقَ الممالكَ الأربع، الفرس، والرومان، وبابل، واليونان، وأقام مملكة اللّه على الأرض!!!

"وهو الذي تحدّث عنه داود وعيسى بقولهما: "ألحجر الذي رفضه

البنّاؤون قـد صار رأسَ الزاوية، ومن سقـط على هذا الحجر يـترضض، ومَن سقط هو عليه يسحقه" (متّى ٢١/ ٤٤).. إلخ.

* ثم يسـأل السيِّـد زكي: "محـمَّد الذي تحـدَّث عنه عيسى في ساعـاته الأخيرة، قائلاً: "إنَّه خيـرٌ لكم أن أنطلق لأنَّه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي. ومتى جاء ذاك يبكِّتُ العـالمَ.. إنّ لي أموراً كثيـرة أقولها لكم، ولكن لا تستطـيعون أن تتحمّلوا الآن، أمـا متى جاء ذاك روحُ الحقّ فهو يرشـدكم إلى جميع الحقّ" (يو ١٦/ ٧-١٣).

"فمَـن غيـر محـمّد جـاء بعد عـيسى، وبكّتَ العـالم على عبـادة الأصنام وحطّمها!؟

"ومَن غـير محـمّد جـاء برسالة إلهـيّة بعـد عيـسى، فيـها شـتّى العلوم والأسرار!؟

"ومَن غيـر محمّـد جاء بعد عـيسى بكلّ الحقّ، وطهّـر الأرضَ من الوثنيّة والشرك!؟

".. ومَن غيـر المسلمين اليوم يعطون الأثمـار في أوقاتهـا!؟، تطبيقـاً لقول المسيح: "إنّ ملكوت اللّه يُنزع منكم ويُعطى لأمّة تعـمل أثمارَه" (متّى ٢١/ ٤٣) (ص ٣٨٢-٣٨٣).

* وتعليقـاً على كلام المسـيح: "لا يزول حرفٌ واحدٌ، أو نـقطةٌ واحدةٌ من النامـوس حتّى يكون الكلُّ" (مـتّى ٥/ ١٨)، يقول السـيّد زكي: "**حتّى يكون الكلّ**"، أي حـتّى ذلك اليوم الذي تأتي فـيه "الشـريعـةُ الكّل"، الناسخـة لكلّ الشرائع التي سبـقتْها، والتي ستبـقى إلى الأبد، حسب قول آشعيـا: "أمّا كلمة إلهنا فتثـبت إلى الأبد" (٤٠/ ٨)، وهـي التي نزلت على محمّد فيمـا بعد، وتثبت

إلى يومنا هذا وإلى الأبد بدون تحريف" (ص ٣٩٣).

* وتعليقاً على قول المسيح في متّى (١٣/٨): "وأقول لكم: إنّ كثيراً سيأتون من المشارق والمغارب، ويتّكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب وبقيّة الأنبياء في ملكوت السموات"، يقول السيّد زكي:

"هذا قول حقّ. فالمسلمون سيأتون من المشارق والمغارب.. ونرى لوقا أضاف على متّى قوله: "وها هوذا آخرون يكونون أوّلين وأوّلون يكونون آخرين". فالآخرون الذين أتوا بعد المسيحيّة هم المسلمون الذين سيكونون أوّلين بين جميع الأمم في دخولهم الجنّة" (٤٤٤).

* وتعليقاً على لقب "ابن الإنسان" (متّى٨/١٨)، يقول السيّد زكي: "لم يترك (كتبَةُ الأناجيل) لقباً يخدم أغراضهم إلاّ وخلعوه (على عيسى). وجاؤوا هنا ليخلعوا عليه لقبَ "ابن الإنسان" الذي هو من ألقاب محمّد.. ومَن عندَه شكٌّ فليقرأْ سفرَ دانيال.

"كما أنّ لقبَ "ابن الإنسان" هذا يتناقض تناقضاً صارخاً مع لقب "ابن اللّه" الذي ألصقوه بعيسى. ومن حقّ كلّ مسيحيّ أن يسألَ قساوستَه عن هذا التناقض. هل عيسى إبنُ اللّه! أم إبنُ الإنسان!!؟؟" (٤٤٦-٤٤٧).

* وتعليقاً على قول متّى (٩/ ٣٥): "وكان يسوع.. يعلّم.. ويكرز ببشارة الملكوت.. الحصاد كثير.."، يقول السيّد زكي: ".. أي بشارة قرب حلول مملكة اللّه على الأرض.. أي أنّه كان يبشّر بالنّبيّ القادم والملكوت الذي سيقيمه ذلك النّبيّ، ويطبّق فيه تعاليم السماء، فتصبح مشيئة اللّه، كما هي في السماء كذلك على الأرض. وقد تحقّق كلّ ذلك لمحمّد فيما بعد.. ولهذا السبب سُمّي كتابه

البشارة السارّة والخبر المفرح بالرسالة العالميّة القادمة، وبالملكوت الذي سيقام، إذ أنّ ذلك كان همّ عيسى الأوحد، أن يمهّد الطريقَ أمام محمّد النّبيّ القادم..

ثمّ "إنّ هذا النّصّ يؤكّد أنّ عيسى ليس آخرَ الأنبياء، كما يزعم النّصارى، إذ ها هو يطلب من تلاميذه أن يطلبوا من ربِّ الحصاد أن يرسلَ فعلةً إلى الحصاد، أي أنبياءَ آخرين إلى البشر" (٤٦٤).

* وعلى قول المسيح عن يوحنّا المعمدان: " ألحقّ أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنّا المعمدان. ولكنّ الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه" (متّى ١١/٧-١٣)، يعلّق السيّد زكي:

"يشيد عيسى بيوحنّا المعمدان، بأنّه لم يقم بين المولودين من النساء مَن هو أعظم منه. وعليه، يكون المعمدان أعظم من عيسى بشهادة عيسى نفسه..

"وقول المسيح هنا: "ولكنّ الأصغر في ملكوت السموات يكون أعظم منه"، فالأصغر تعني آخر الأنبياء الذي هو محمّد -أعظم من يوحنّا- أي أنّ محمّد هو أعظم الأنبياء، وعليه، يكون سيّدَ وُلْدِ آدم، بشهادة المسيح نفسه" (٤٩٥).

* وعلى قول المسيح عن يوحنّا المعمدان أيضا: "وإنْ أردتمْ أن تقبلوا، فهذا إيلياء المزمع أن يأتي. مَن له أذنان للسمع فليسمعْ" (متّى ١١/١٤)، يعلّق السيّد زكي ويقول:

"إنّ كهنةَ اليهود، عندما حرّفوا توراتهم، أخْفُوا إسمَ المسِيًّا، النّبيَّ القادم، أحمَد؛ ورمزوا إليه بصفاتٍ وأسماء عديدة، لا يعرفُها إلاّ هم، تتّفق، في مجموع أرقام حروفها، مع مجموع أرقام اسمه أو صفاته. وكان من تلك الأسماء إسم "إيلياء"، ألوارد هنا، والذي ذكرنا أنّ مجموع أرقام حروفه مساوياً لمجموع

أرقام أحمد"، وهو ما يسمّى بحساب الجمَّل في اللّغة. أي: إيلياء: إ=١، ي=١٠، ل=٣٠، ي=١٠، ا=١، ء=١، المجموع=٥٣. ثمّ أحمد: أ=١، ح=٨، م=٤٠، د=٤، المجموع=٥٣ (ص ٤٩٧، أنظر أيضا: ص ٢٠٥ و ٢٠٧).

* وعلى استشهاد متّى بما قاله آشعيا عن "عبد يهوه": "لكي يتمّ ما قيل بأشعيا النّبيّ: هوذا فتاي الذي اخترتُه، حبيبي الذي سُرَّتْ به نفسي. أضعُ روحي عليه فيُخبر الأممَ بالحقّ.. إلخ" (١٢/١٧-٢١)، يعلّق السيّد زكي ويقول:

١". لا ارتباط لنصوص آشعيا بما سبق من كلام.

٢". هذه النصوص لا تنطبق على عيسى.. بل على محمّد.

٣". هذا الكاتب المزوِّر أخذ ما يناسبه، وترك البقيّة، لأنّه يرتبط بمحمّد.

٤". التحريف في كلمة "عبدي" إلى كلمة "فتاي"، ليخفّف من وقع كلمة "عبد" على النّصارى؛ لأنّ النّصارى لا يؤمنون بأنّ عيسى عبداً من عباد اللّه، إنّما إبن اللّه، ثم اللّه نفسه.

٥". أقوال آشعيا، كما استشهد بها الكاتب، محرّفة. وذلك حتّى تلائم غرَضَه.

* ويكمّلُ السيّدُ زكي الفصلَ من آشعيا ليجدَ أنّ الفصلَ كلّه، بكلّ ما فيه من أقوال ونبوءات، ينطبق على محمّد، لا على عيسى.. لذلك، لم يُثبتْه كاتبُ الإنجيل لكيلا يفضحَ تزويره.. وها هو، أي السيّد زكي، يُثبتُ بعضَ ما جاء فيه:

١. "هوذا عبدي": معروف أنّ محمّدا هو عبد اللّه ورسوله. والشاؤوليّون الكنسيّون يرفضون أن يكون عيسى عبداً..

٢. "لا يكلّ ولا ينكسر حتّى يضع الحقّ في الأرض": محمّد هو الذي لم

يكلّ أو ينكسر، مع طول المدّة، رغم أعدائه المحيطين به في الداخل والخارج حتّى وضع الحقّ، أي الدين والشريعة الجديدة.. بينما عيسى لم يأتِ بشريعة جديدة، بل جاء محافظاً على الشريعة القديمة..

٣. "تنتظرُ الجزائرُ شريعتَه": أي تنتظرُ الأممُ المختلفة شريعتَه. لذلك سمّاه اليهود في التوراة "مشتهى الأمم" و"عليه رجاء الأمم". بينما عيسى لم يأتِ إلاّ لخراف بيت إسرائيل الضالّة.. فالمعنيّ بالنبوءة إذاً محمدٌ وليس سواه.

٤. "أنا الرّبّ قد دعوتُك بالبرّ، فأمسك بيدك وأحفظك..". "المعروف أنّ محمد سمّي "نبيّ البر". "أمسك بيدك" أي أقوّيك وأدعمك. "أحفظك" أي من القتل. ولقد مرّ معنا أنّ اليهود والمشركين حاولوا قتلَ محمّد مرّات عدّة، ولم يُفلحوا.. لأنّ اللّه عصمه من القتل..

٥. "أنا الرّبُّ. هذا اسمي. ومجدي لا أعطيه لآخر.." لقد حافظ محمّد على اسم الربّ، أي اللّه، بينما نصارى اليوم أعطوا اسمَ الربِّ لما سمّوه بالأب والابن وروح القدس. ووزّعوا مجدَه عليهم بالتساوي..

٦. "غنّوا للربّ أغنيةً جديدة.." المعروف أنّ الحجَّ فُرِضَ على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. والهتافات الجديدة التي علّمها محمّد للمسلمين عند أداء فريضة الحجّ هي لَبَّيْكَ اللّهمَ لَبَّيْكَ.. إلخ. كلّها هتافات جديدة لم يعرفْها اليهود ولا النّصارى.

٧. "لتترنّم سكان سالع من رؤوس الجبال".. المسلمون يترنّمون باسم الرّبّ من على رؤوس الجبال، ويمجّدون الرّبَّ من جبل عرفات والمزدلفة ومنى.. والتاريخ لم يذكر أنّه كان لليهود أو للمسيحيّين حجٌّ في هذه الديار..

٨. "الرّبُّ كالجبّار يخرج، كرجل حروب ينهض غيرته، ويهتف، ويصرخ، ويقوى على أعدائه". هذه إشارة واضحة إلى قوّة المسلمين الذين يتبعون النّبيَّ محمّد الذي سيحارب باسم الرّبّ الجبّار.. والمعروف أنّ عيسى لم يحارب..

٩. "قد ارتدّوا للوراء".. أي أنّ الذين لم يؤمنوا بهـذا النّبيّ قد ارتدّوا إلى الوراء، أي إلى عـبادة الأصنـام والتمـاثيل ويصلّون لهـا، ويرسـمون إشـارة الصليب على وجوههم وصدورهم..

١٠. "الرّبُّ قد سُـرَّ من أجل برّه. يعظّم الشريعة ويكرّمـها".. هو اللّه الذي سمّى محمّدا "نبيَّ البرّ". واشتهر محمّد بهذا الوصف طيلة حياته. وهو صاحب الشريعة السمحاء التي ليس فيها صورٌ ولا تماثيل ولا صلبان..

١١. "ولكن شعب منهوب ومسلوب.." معناها أنّ الشعب الذي سيظهر فيه هذا النّبيّ شعب متخلّف، ومجتمعه قائم على السلب والنهب..

"هكذا ترى، عزيزي القـارئ، أنّ النبوءة تنطبق على محـمّد وأمّة محـمّد، كانطباق القفّاز على اليد. ولا حظّ لعيسى فيها" (أنظر ص ٥٠٦-٥١٤).

* وعلى قول المسـيح في متّى "إنّ أنبياء كـثيرين اشتهـوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، أن يسـمعوا مـا أنتم تسمعـون ولم يسمـعوا" (١٣/ ١٦-١٧)، يعلّق السيّد زكي ويقول: "المسـيحُ، في هذا النّصِّ، يريد أن يقول: طوبى لعيونكم لأنّها تبصر، ولآذانكم لأنّها تسمع بتبشيري بقرب ظهور هذا النّبيّ العظيم، لأنّ جميع الأنبياء، وخصوصاً أنبـياء بني إسرائيل السابقين، وعلمائها الأبرار، كانوا ينتظرون مجيء محمّد.." (ص ٥٤٣).

* وعلى مَثَل حبّة الخردل التي هي أصغر البذور، ولكن، متى نمت، تصبح شجرة (متّى ١٣/ ٣١-٣٢)، يعلّق السيّد زكي ويقول: "يشبِّهُ عيسى هنا ملكوتَ السموات القادم كيف سيبدأ صغيـراً، ثم يكبر، وينتشر انتشاراً واسعاً. وبالفعل هكذا بدأ على يدَي محمّد كأصغر البقـول. ثم انضمّت إليه زوجتُه خديجة، ثم أبو بكر، وعلي، وعمر.. حـتّى قوي شأنُهم، وصاروا مثل الشجرة العـظيمة.. فكسروا

الجبابرة، وحطّموا الأكاسرةَ، وبلغ دينُهم شرقاً وغرباً" (٥٤٦).

* وعلى مَثَل الخميرة: "يشبه ملكوت السموات خميرة.." (متّى ١٣/٣٣-٣٤)، يعلّق السيّد زكي ويقول: "يُعتبر هذا المثل، كمثل حبّة الخردل السابق. ولكنّ الخميرةَ تفعلُ فعلَها بسرعة أكثر. وهكذا انتشر الدين الإسلامي، وعمّ العالم بسرعة ممّا أذهل كلَّ المؤرخين والنّقاد" (٥٤٦).

* وعلى مَثَل الكنز المخفي في حقل (متّى ١٣/٤٤)، يعلّق السيّد زكي: "الكنزُ المخفي كناية عن الشريعة العالميّة الجديدة، أي.. الإسلام المليء بالكنوز والنفائس، أي نعم اللّه التي لا تُحصى، والتي أنعم بها على المسلمين.." (٥٤٧).

* وعلى مَثَل اللؤلؤة، حيث "تاجرٌ وجد لؤلؤةً ثمينة، فباع كلّ ما له واشتراها" (متّى ١٣/ ٤٥-٤٦)، يعلّق السيّد زكي ويقول: "وجدَ هذا التاجرُ أنّ الشريعةَ العالميّة الجديدة تنسخ كلَّ ما سبقها من شرائع، فترك كلَّ ما كان يملك من شرائع قديمة، وابتغى الشريعة العالميّة الجديدة التي هي القرآن الذي نسخ جميع ما كان قبله" (٥٤٧).

* وعلى سؤال المسيح تلاميذَه: "مَن يقول الناس أنّي أنا ابن الإنسان" (متّى ١٦/١٢)؛ أو "مَن يقول الناس أنّي أنا" (مرقص ٨/٢٨)؛ يعلّق السيّد زكي ويقول: ".. الصحيح: "مَن يكونُ ابنُ الإنسان، حسب أقوال الناس".. والمعروف أنّ لفظ "ابن الإنسان" هو أحد ألقاب النّبيّ المنتظر.. والمقصود به محمّد.. ولكن كتبةُ الأناجيل الثلاثة، وخصوصاً متّى هذا، لم يتركوا صفة من صفات محمّد إلاّ وألصقوها بعيسى ليجعلوا منه النّبيّ القادم..

" قد يستغربُ القارئ العـادي من إجابات القوم: «يوحنّا المعمدان – إيليّا – واحد من الأنبـياء – إرِيميـا..» لماذا لم يقل أحد من أولئك الناس: «أنتَ عـيسى المسيح ابن مريم»! السببُ في ذلك هو أن «عيسى المسيح ابن مريم» لم يُذكر عنه شيء في التوراة أو العـهد القديم.. والدليل هو إجـابات القوم هذه التي تنقض جمـيع الاقتبـاسات التي اقتـبسها كـتبة الأناجـيل من التوراة والعهـد القديم، وحشروها في أناجيلهم، والصقـوها بعيسى على شكل نبوءات، في الوقت الذي هي لا تمتّ له بصلة، لا من قريب ولا من بعيد.. ليوهمونا أنّ عيسى متنَبَّأً عنه في التوراة، وأنّ أناجيلَهم ليست إلاّ امتداداً للتوراة نفسها..

" .. وما يلفت النظر هو «أنّ المسيحَ انتهرهم وأوصاهم أن لا يقولوا لأحد». لماذا انتهـرهم المسيح، وأوصاهم مـشدّداً أن لا يقولوا لأحـد أنّه "المسيح"، وهو المعروف أنّ اسمه المسيح ابن مريم. أليسَ هذا غريباً!؟

" هنا خـيطٌ رفيعٌ، لا يلاحظه القـارئ العادي. إذ أنّ إجـابة التلامـيذ «أنت المسيـح» قصدوا بهـا «أنت الـ" مسـيح"، أي الـ" مَسِـيّا الـ منتظـر"، صاحب الرسالة السمـاويّة العالميّة، التي ينتظرها الجميـع. ولكن، لأنّ عيسى لم يكن هو ذلك الـ مسيح الـ منتظر، فقد انتهـرهم، وأوصاهم أن لا يقولوا ذلك لئلاّ تنتشر إشاعـة مغلوطة بين النـاس. ولو كان عيـسى هو «المسيّـا المنتظر» لما انتـهرهم، ولقال لهم أنشـروا هذا الخبـر بين الناس، لأنّه ليس من المعقـول أن يأمر النّبيُّ المرسَلُ من اللّه، والذي كلُّ الناس في انتظاره، تلاميذَه بكتمانِ أمره. لكنّ عيسى فـعل ذلك، وأوصـاهم أن لا يقولوا لأحـد أنّه المسـيح، لأنّه لم يكن هو «المـسيّـا القادم» The Messiah(٥٨٤–٥٨٥).

* عودة إلى "ابن الإنسان" في قول متّى "إنّ ابنَ الإنسان سوف يأتي في مجـد أبيه.." (١٦/ ٢٧–٢٨)، يقـول السيّد زكـي: ".. لقد كذب علينـا متّى في

تسمـية المسيح بابن الإنســان. فلو كان عيسى هو حـقّاً المقصـود بابن الإنسان، حسب قوله: "وإنّ هاهـنا قوماً لا يذوقون الموت حتّى يروا ابـنَ الإنسان آتياً في ملكوته" تكون نبوءةٌ لم تتحـقّقْ.. إذ مضى القرنُ الأوّل، وفنيتْ أجيالُه، وتلتْهم أجيالٌ وأجيالٌ عَبرَ عشرين قـرن من الزمان، فلا انتهى العالم، ولا قامت القيامة، ولا المسيح عاد في مجد أبيه.

" ولمّا كان المقصود بـ" ابن الإنسان" هو مـحمّد، ولمّا لم يأتِ بعد عيسى إلاّ محمّد، فقول المسيح هنا: "إنّ من القـيام هاهنا قوماً لا يذوقون الموت حتّى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته"، إنّما هو كناية عن قرب مجيء محمّد في مجد اللّه.

" أمّا قوله: «وبعدها يجازي كلّ واحد حسب عـمله»، فهذا ما نادى به محمّد ابنُ الإنسان مصـحّحاً معـتقدات الشاؤوليّين الذين يؤمنون بدم عـيسى الفادي المسكوب على الصليب، ونحن لم نسمع نبيّـاً قال لقومه: آمنوا بصلبي، أو بدمي، أو برأسي، تُغفر خطاياكم.. (٥٩٦-٥٩٧).

* وتعليـقـاً على قـول المسيح: "ولـكنْ كثـيـرون أوّلون يكونون آخِـرين، وآخِرون أوّلين" (مـتّى ١٩/ ٣٠)، يقول السـيّد زكي: "هذا قـول حقّ من أقوال المسـيح. ونـحن نسـأل: مَن هم الآخِـرون الذين سـيكونون أوّلـين!؟ أليسَ هم المسلمين آخِر الأمم!؟.. إذ لم يأتِ بعـد عيسى إلاّ المسلمـون، وهم الآخِرون، الذين سيكونون أوّلين في دخول الجنّة" (٦٤٦-٦٤٧).

* وعلى مَثَل عمّـال الكرم (متّى ٢٠/١-١٦)، حيث عمّال السـاعة الحادية عشر نالوا أجرَهم كعمّال الساعة السادسة والتاسعة.،، يعلّق السيّد زكي، ويقول: "أمّا المسلمون فـهم الأمّة الأخيرة، أمّة مـحمد آخِر الرسل والأنبيـاء وخاتمتهم، فهم فعلـة الساعة الحادية عشـرة الأخيرة، الذين آمنوا بربّهم وبرسـوله، وثبتوا

على دينهم، كما نزل من بعده، لم يغيّروا فيه حرفاً واحداً، بل حفظوه عن ظهر قلب في قلوبهم وعقولهم حتّى اليوم..

" ولو عرفت الكنيسةُ أنّ المسلمين هم المعنيّون بهذا المثل لحذفوه (كذا) من إنجيلهم، أو في أضعف الأحوال شوّهوه.

" فللّهِ درّكَ أيّها المسيح إذ كشفتَ بعين النبوّة وروحِ الوحي ما سيكون من بعدك، مشيراً إلى المسلمين، فعلة الساعة الحادية عشرة، من طرف خفيّ.. " (٦٥٠-٦٥١).

* وعلى ما جاء في مرقص يومَ دخول المسيح أورشليم بهتافات الناس: " مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرّبّ. أوصنّا في الأعالي " (١١/ ١٠)، يقول السيّد زكي: إنّ الذي يعرف بيتَ المقدس جيّداً يعرف تماماً أنّ المسافة لا تزيد عن كيلومتر واحد.. فهل هذه هي مملكة أبينا داود الآتية باسم الرّبّ!؟ أم كان المقصود تلك المملكة الآتية فعلاً باسم الربّ فيما بعد على يد محمّد، وملك فيها معاقلَ الروم وفارس والممالك الأخرى..

* " مبارك الآتي باسم الربّ " : ".. لو بحثنا عن أصل هذا النّص الذي ألصقوه بعيسى اعتباطاً، سنجده منزوعا من المزمور ١١٨ الذي قاله داود مشيراً به إلى «النّبيّ القادم» الذي هو نبيّ الإسلام. ولقد أخذ كتبة الأناجيل ما وافق غرضهم منه، وتركوا بقيّة المزمور لأنّه يكشف كذبَهم.

" فتعالَ عزيزي القارئ لنأخذ المزمور سويّاً لتعرفَ الحقيقةَ، وما إذا كان المقصود بـ" مبارك الآتي باسم الربّ " هو عيسى أم محمّد.. :

١. " من الضيق دعوتُ ربّي فأجابني " : ألشاؤوليّون يزعمون أنّ عيسى دعا ربّه في الجسمانيّة دعاءاً حاداً، ولكنّه لم يستجب له، بل سلّمه لأعدائه فصلبوه.

أمّا محمّد فقد دعا ربّه فاستجاب له ونصره على أعدائه.

٢. "كلّ الأمم أحاطوا بي": لم يحط أحدٌ من الأمم بعيسى لقتله، بينما محمّد أحاطتْ به الرّوم وفارس واليهود، وحاولوا قتله أكثر من مرّة. حتّى قومه حاصروه وأحاطوا به كالنّمل، ومنعوا عنه الطعام والشراب.

٣. "باسم الربّ أبيدهم": عيسى لم يبد أحد (كذا)؛ لكنّ محمّد (كذا) باسم الرّبّ أباد كلّ أعدائه، وانتصر عليهم في معارك عديدة، ودخل مكّةَ منتصراً.

٤. "لا أموت بل أحيا.. وإلى الموت لم يسلمني": الموت هنا بمعنى القتل، ومحمّد لم يُقتل.. وكان يحرسُه الحرس، حتّى أنزل اللّه قولَه في القرآن: «واللّهُ يعصمُكَ من الناس» (٥ / ٦٧)؛ بينما الشاؤوليّون يزعمون أن عيسى قُتلَ.

٥. "تأديباً أدّبني الرّبّ": قال محمّد: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي». وقال اللّهُ عنه في القرآن: «وإنّك لعلى خلق عظيم» (سورة القلم ٤).

٦. "ألحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار حجرَ الزاوية من قِبَلِ الرّبّ": «البنّاؤون» كنايةٌ عن اليهود، و«الحجر المرفوض» كنايةٌ عن اسماعيل ابن هاجر.. الذي من نسله جاء محمّد خاتم الأنبياء.

٧. "مبارك الآتي باسم الرّبّ": أي مبارك الذي سيرسله الربّ باسمه، ومعه الرسالة الجامعة التي ينتظرها الناسُ كافّةً.

٨. "أوثقوا الذبيحةَ بربط إلى قرون المذبح": أي تمسّكوا بالشريعة قبل فوات الأوان، فتهديد اللّه نافذ في هلاك اليهود ونزع الملكوت والاختيار منهم.

"وممّا سبق، هل ترى عزيزي القارئ أنّ هذا المزموريشير إلى عيسى أم إلى محمّد!؟ (ص ٦٦٤-٦٦٦).

* وعلى قول المسيح في متّى: "ألحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأسَ الزاوية من قِبَلِ الربّ كان هذا.. لذلك أقول لكم: إنّ ملكوتَ اللّه يُنزعُ منكم

ويُعطى لأمّة تعمل أثمارَه. ومَن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (متّى ٢١/ ٤٢-٤٤)، يعلّق السيّد زكي ويقول:

١. " الحجر الذي رفضه البنّاؤون": أي إسماعيل..

٢. "قد صار رأسَ الزاوية": أي أصبح ملتقى دين موسى وعيسى؛ أي العمود الذي يُسند البناء؛ أي محمّد الذي هو تمام رأس الزاوية.

٣. "من قِبَلِ الرّبّ": هذا أكبر إثبات لشاؤوليّي اليوم الذين برمجتهم الكنيسة على تكذيب محمّد ودينه، إذ ها هو داود وعيسى يشهدان أنّ محمّدًا سوف يأتي من قِبَلِ الرّبّ. وقد برمجتِ الكنيسةُ طوائفَها على عدم الإيمان بمحمّد، ولا برسالة محمّد، لأنّ في ذلك خطراً أكيداً عليها..

٤. "كان هذا عجب في أعيننا": إذ تعجّبوا من انتقال الملكوت لغيرهم، لأنّهم اعتقدوا أنّهم شعب اللّه المختار إلى الأبد من كثرة ما أرسل اللّه لهم من أنبياء.

٥. "ومن سقط على هذا الحجر يترضض": كمْ مرّة حاول اليهود قتلَ محمّد فعادوا مدحورين خائبين. ولمّا استتبّ له الأمرُ رضرضهم وأخرجهم من صياصيهم، ونفاهم من البلاد.

٦. "ومَن سقط هو عليه يسحقه": كُتُبُ التاريخ ملأى بالممالك الكافرة التي سحقها محمّد. وأوّلهم كسرى ملك فارس، إذ عندما مزّق كتابَ محمّد، مزّق اللّهُ ملكَه" (٦٨٢-٦٨٤).

* وعلى ما جاء في متّى عن المسيح "إبن داود وربّه"، سأل يسوع الفرّيسيّين قائلاً: "ماذا تظنّون في المسيح. إبنُ مَن هو؟! قالوا له: إبن داود. قال لهم: .. إنْ كان داود يدعوه ربّاً فكيف يكون ابنه!؟.." (متّى ٢٢/ ٤١-٤٦)، يعلقّ السيّد زكي: ".. هل كان عيسى مغروراً، أو معتوهاً، حتّى يسأل الفرّيسيّين ماذا

يظنّون فيـه، وابن مَن كان؟ حاشـاه! لأنّ المسيح هنا لم يكن يسألهم عن نفسـه، إنّما كان يسـألهم عن «المسيح»، أي «النّبيّ المنتظر»، ذي المنزلة الرفيـعة والمكانة العالية.. الذي إسمه في التوراة العبريّة «حمداً».. والذي كان اليهود في انتظاره، والذي لم يكن سوى محمّد.

"يستخلَص من ذلك:

"١. في سؤال عيسى للفرّيسيّين عن «المسيح المنتظر» أكـبر دليل أنّه ليس هو نفسه «المسيح المنتظر»..

"٢. إنّ «المسيح المـنتظر» لن يكون من أنسال داود البـتّة، لأنّ داود نفـسَه يدعوه بالروح سيّدي، ولا يمكن للابن أن يكون سيّد أبيه.

"٣. إنّ «المسيح المنتظر» حتى زمان عيسى لم يكن قد ظهر. وبعد عيسى لم يظهر إلا محمّد، وهو سيّد داود..." (٦٩٦-٦٩٨).

* وتعليـقـاً على قول المسـيح: "أقـول لكم: إنّكم لا ترونني من الآن حـتّى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرّبّ" (متّى ٢٣/٢٩)، يقول السيّد زكي: "ولم يأتِ بعد عيسى مباركاً (كذا) باسم الرّبّ سوى محمّد. وها محمّد قد أتى منذ ١٤١٥ سنة" (٧٠٩).

* كـلام المسيح "عن دمـار القـدس الوشـيك (متّى٢٤/ ١-٢، مـرقص ١٣/١، لوقا ٢١/٥)، وقرب انتـهاء العمل بالشريعة اليـهوديّة، بدء حلول مملكة اللّه على الأرض، وهي الفكرة الأسـاسيّـة في دعوة عـيسى. لكـن، بتآمـر كتـبةِ الأناجـيل، أو لسوء فـهمـهم لأقوال المسـيح، تحـوّلت الفكرةُ إلى أنّ عيـسى هو «المسيح الموعود، إبنُ الإنسان».. فيما هو «النبيّ المنتظر، نبيّ الإسلام»...

ثمّ إنّ مـا جاء فـي الأناجيل من تـدميـر الهـيكل، وظهـور أنبيـاء كـذبة،

ومجاعات وزلازل، وغيرها... كلّ هذه الأقــوال إنّما هي كنايات عن سرعة مجيء «ابن الإنسان الحـقيـقي».. الذي لم يكن سوى محـمّد، نبيّ الإسـلام... وها قد مضى ٢٠٠٠ عـام ولم يأتِ عيسى في مجيئه الثـاني، والدينونة لم تقم، كـما زعمت الأناجـيل. فهل كذب عيـسى أم كتبـة الأناجيل هم الكاذبون!؟.. هؤلاء هم الكاذبون... ثمّ إنّ عيســى لم يأتِ في مجده، كما زعـموا، لكنّنا نرى الذي أتى في مجده هو محمّد" (ص ٧١٢-٧١٤).

* وعن قول المسيح: "لا يُترَكُ حجـرٌ على حجر لا يُنقض" (متّى ٢٤/٢)، يقـول السيّـد زكي: "فهـو القول الصـحيح والشيء الوحـيد الذي اتّفق علـيه الملهمون الثلاثة، كناية عن نهاية الشـريعة القديمة، وتوقّفِ العمل بها، لأنّ الوقت حـان لمجيء الشـريعـة الجـديدة على يد مـحـمّـد، الذي سـمّـاه دانيـال بابن الإنسان" (٧١٥).

" وتحتَ هذا الجوّ المليء بالخوف والترقّب، عاشت كلُّ تلك الأجيال، حسب المزاعم الخـاطئـة.. ومرّت الأيّام، وتـلتْهـا السنون، فلم يـنقضِ الدهرُ، ولم يأتِ عيسى ابن الإنسان في مجيئه الثاني؛ إنّما الذي أتي هو «ابن الإنسان الحقيقي»، صاحب الرسالة العالمية، «المَسِيًا المنتظر»، وهو الذي كان يتحدّث عنه عيسى، أي محمّد" (٧١٦).

* وعودة أخرى إلى «ابن الإنسان» في متّى (٢٤/ ٣٠) : "وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء.."، يقـول السيّد زكي: ".. لو كان المسيح هو ابن الإنسان حـقّاً، لاستعـمل صيغةَ المتكلّم، ولـقال: «تظهر علامـاتي.. وآتي بنفسي إليكم»؛ ولكن، من الواضح أنّ المقـصود كان شـخص (كذا) آخَر غـائباً في تلك اللحظة، وهو الشخص الذي قـال عنه يوحنّا المعمدان «يأتي بعـدي مَن هو أقوى

منّي».. الذي هو محمّد" (٧٢٣).

* وعلى قــول إنجيل مـرقص "إنّ ابن الإنسان، مكتـوب عنه، أنّه يسلّم إلى الأمم.. ويقـتلونه.. وفي اليوم الثـالث يقـوم" (٩/ ٣٠)، يعلّق السيّـد زكي: "إنّ لفظة ابن الإنسان هنا مدسوسة، لأنّ ابنَ الإنســان الذي هو محمّد.. لم يُذكر في أي كتـاب أنّه سيُقتَل، أو يُصلب، ولا في اليـوم الثالث يقوم. ونحنُ نتـحدّى كلَّ علماءِ الشـاؤوليّينَ قاطبةً، في كلِّ بقعـةٍ منَ العالم، الذين يزعمـون أنّهم يحملون أعلى الدرجات في اللاّهوت، الذي يسمّونه زوراً باللاّهوت المسيحي، أن يقدّموا لنا نصّاً واحـداً في سفر دانيـال، أو في أي سفر من أسـفار الأنبيـاء الآخرين، يقول إنّ ابنَ الإنسان سوف يُستهزأ به، ويُشتم، ويُتفل عليه، ويجلدونه، ويُصلب، وفي اليوم الثـالث يقوم، سـواء كان ابنُ الإنســان هو عيسى، كـما يزعـمون، أو محمّد، كما قلنا وأثبتنا" (٧٣٩).

* وعلى سؤال رئيس الكهنة للمسيـح: "استحلفُكَ باللّه الحيّ أن تقول لنا: هل أنتَ المسـيحُ ابنُ اللّه؟ قـال له يسوع: أنتَ قلـت. وأيضاً أقـول لكم من الآن: تبصرون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين القـوّة، وآتياً على« سحب السماء. فمزّق رئيس الكهنة ثيـابه، قـائلاً: قـد جدّف. مـا حاجـتنا بعـدُ إلى شـهود.." (متّى ٢٦/٦٣–٦٥)، يعلّق السيّد زكي:

"حتّى الآن والمحاكمة تسيرُ بهدوء.بل قلْ بسخريّةٍ وبرودةِ أعصاب. ولكن، عندما قال لهم البديلُ الماثلُ أمامهم: "وسـوف تُبصرون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين القوّة، وآتياً في سحاب السماء"، استـشاط رئيسُ الكهنة ومَن معه غضباً، وقالـوا: إنّه يُجدّف. عَـجَبـاً! .. أين التجـديف!؟ هل هناك شيء محـذوف!؟.. لم يُجدِّفْ. فهل من قسّيس يستطيع أن يخبرنا أين هذا التجديف!؟

يجيب السيّد زكي: "ألسرُّ في استـشاطة رئيس الكهنة غضباً، وشقٍّ ثيابه، هو أنّ الماثلَ أمامـهم استعـمل لفظَ «ابن الإنسان»، وللمـرّة الأولى في الأناجيل، بمعناه الصحيح، أي «ألنّـبيّ المنتظر الذي هو محمد». وبعبـارة أخرى، كان ردُّ الماثل أمامهم كـالآتي: "تسألونني ما إذا كنتُ أنا النبّي القـادم أم لا، أي المَسِيّا. وجوابي على سؤالكم هو أنّني لم أقلْ ذلك. أنتم تقولون. أمّا «النّبيّ القادم» الذي تسألون عنه، حفـيد إسماعيل، فسـيأتي بشريعة جديدة.. هنا اسـتشاط رئيس الكهنة غضباً، ومزّق ثيابه.." (٩٠٨-٨١٠).

***

نقول:

أغـرب مـا في هذا الشـرق أنّ المؤمنين بهـذا الدين أو ذاك، لكي يُثـبـتـوا وجودَهم وإيمانَهم، يحـاولون باستمـرار البحثَ عن مبرّراتٍ لهـذا الوجود وهذا الإيمان في كتبِ أعدائهم، وذلك ليُثـبتوا لهؤلاء الأعداء، بأنّ كتبَـهم نفسَها، تتكلّم على دينهم ونبيّـهم. وقد فات على هـؤلاء الأعداء ما ذخرت به كـتبُهم من مـعانٍ باطنيّة وحقيقيّة.

فمسلمـون يفتّشون عن دينهم ونبيّـهم في التوراة والإنجيل، ومسيـحيّون يحاولون إثبات دينهم وإيمانهم من التوراة والقرآن. وحتّى أنّ مسيحيّين وجدوا عشرات الأدلّة في القرآن على ألوهيّة المسيح، وحقيقة الثالوث..

هذا، في حقـيقة الأمـر، موقفُ الأقلّيـات المهزومة والخـائفة من أن تزول. وبنوع خاصّ موقف "الذّمّيّين" دائماً.

ولنا على هذا الكلام ألفُ حـجّـة. فالمسـيـحيّـون المضطهَـدون في البلدان الإسلاميّة يعـملون جهدَهم في اكتشـاف الأدلّة على ألوهيّـة المسيح، وعلى سائر

المعتـقدات المسـيحـيّة، في القـرآن.. وكتبـوا عن ذلك الكتبَ، وأقامـوا الندوات، ليقولوا للمسلمين بأنّ القرآنَ يعترفُ بألوهيّة المسيح، وبحقيقة الثالوث... ونتيجةً لذلك، دعوا إلى الحوار الإسلامي المسيحي، قـائلين بأنّ المسيحيّة والإسلام دينٌ واحدٌ في صيغتَين مختلفتَين.

والمسلمون، هم ذمّـيّون أيضاً، بشكل من الأشكال.. يـجهدون، ويبحـثون، ويؤوّلون كلّ نصٍّ من التـوراة والإنجيل ليـجـدوا فيـه إسمَ نبيّـهم، وصفـاته، ورسالته، ودعوته.. ويبتغون، من وراء ذلك، إقناعَ اليهود والمسيحيّين بأنّ كتبَهم نفسَها، تتكلّـمُ عن محمّد. فلماذا لا يؤمنون به!؟.. ونتيـجةً لذلك، دعوا، هم أيضاً، إلى الحوار المسيـحي الإسلامي، قائلين بأنّ الإسلام والمسيحـيّة هما في الأصل دينان سماويّان في أسلوبَين مختلفَين.

نقول:

إنّ الذي يدعونا إلى مثل هذا الموقف آفاتٌ أربع:

أوّلها– آفـةُ الذّمّيّة عند مـختلف متـديّنيّ هذا الشرق. هي مرض الأكـثريّة التي تريد أن تسود وتسـيطر على أقلّيّة مقهورة ضـعيفة لا تريد إلاّ اسـتمراريّة البقاء وحسب. هذه الأقـليّة هي في الدرجة الأقلّ. لها نظامُها الخـاصّ. لا يسعها تغييره بإرادتها. ولا يمكنها أن تكون حـرّةً في ما تريد. إنّها معرّضة للاضطهاد، والخوف. لا حمـاية لها من نفسها. ولا أمـانَ من ذات وضـعها وموقـعها. هؤلاء الذّمّيّون يجدون تبريراً لبقائهم في كـتب خصومهم. وهو أفضل ما يجدون من وسيلة لاستمراريّتهم.

ثانيهـا– آفة التّـقيّة عنـد الأقلّيّات المقهـورة والمظلومة. تقـوم التّقـيّة، عند الخوف على الحيـاة والإيمان والشرف، على كتمـان العقيدة الخـاصّة، وإظهار

عقـيدة الأكثـريّة. إنّه فعلٌ إيجـابي وجد "الأقلّيون" تبـريرَه في كتب الخـصوم أنفســهم. هم يحتمون بهـذه الكتب. كما يحـتمون بالاستـتار بالمألوف عند أهله. ويحتـمون أيضاً في ما يُـخفوه من كتـبهم التّي لا يحقُّ لأحدٍ الاطّلاعُ عليـها إلاّ الخاصّة منهم. أصحاب التّقيّة هؤلاء يجـدون تبريراً لبقائهم في كتب خصومهم. وهو أفضل ما يجدون من وسيلة لاستمراريّتهم.

ثالثها– آفةُ الدِّفاع عن اللّه، والجهـاد في سبيله، ولو على حساب الإنسان. في هذه الآفة يجـد "المدافعون" مبرِّراً لهـم في اضطهاد كلٍّ مَن لا يدينُ بدينهم. ويجد هؤلاء المدافعون آيات في كتابهم المنـزل، يصنِّفُون فيها الناسَ إلى مؤمنين، وكافرين، ومشـركين، وملحدين، وذمّيّين، وأهل كتاب، وشبه كتـاب.. ويقسمون العالم إلى دار سلْـم، ودار حرب، ودار معـاهدة مؤقّتـة.. ويشرّعون القـتالَ في سـبـيل اللّه.. ويطبّـقون الـقصـاص على الذين يتـعـدّون حـدودَ اللّه... هؤلاء "المدافعـون" يجدون تبـريراً لفعلتـهم في كتـابهم. وهو أفضل مـا يجدون من وسيلةٍ لفرضِ دينهم على سواهم.

رابعهـا– آفةُ الحوار الديني. دهاء متـبادَل. فيـه كلام كثيـر على وجوب الحوار، وضـرورته، وطرقه، وأساليـبه، وأهمّيّتـه، ومنهجيّـته... ولكن لا شـيء، إطلاقاً، حـتى الآن، عن موضـوعات الحوار. بل لا يتـجرّأ أحـدٌ على الخوض في موضوع واحد ممّا يجب أن يخوضَ فيـه الحوار... وإذا ما حاول أحدٌ البحثَ في موضـوع من موضـوعات الحـوار، يكون موضـوعُه بحـثاً في الوفـاق الوطني والتعـايش المتبادل، والحيـاة الاجتماعـيّة المشتـركة، ونظام المجتمع السـياسي المقبول عند الجـميع.. يعني موضوعات لا تـندرج تحت عنوان الحوار الإسلامي المسيحي إطلاقاً.

والمناضلون من رجالات بلادنا المتحمّسون لمثل هذا الحوار، هم مناضلون متحمّسون للأسباب التالية:

أوّلاً– ليقدّموا أنفسَهم للعالم بأنّهم أناسٌ منفتحون، يقبلون بعضهم بعضاً. يتعايشون رغم كلّ خلاف. يمدّون أيديهم إلى كلّ إنسان، وفي أيّ موقع كان.. إنّها صفات إنسانيّة نبيلة. ولكنّها لا تفيدُ سوى تقدير هؤلاء المتحمّسين ومديحهم. ولا تُفيدُ موضوعاً واحداً يجري عليه الحوار الإسلامي المسيحيّ، الذي هو، بحسب عنوانه ومضمونه، حوار دينيّ، لا وطني ولا سياسيّ.

ثانياً– ليقولوا بالتعايش المتبادل. هذا التعايش الهشّ، الذي يريدُه السياسيّون، وفشلوا في تحقيقه. ولكنّهم أناطوا فشلَهم السياسي هذا بالدين ورجال الدين والطائفيّة والمذهبيّة. ونسَوا أن التعايش الحقيقي يرتكز على نظامٍ سياسيٍّ إجتماعيٍّ سليم، وعلى قوانين متطوّرة، وتشريع عادل، وتربية وطنيّة صحيحة، واهتمام بالغ بالمواطن في مختلف مجالات الحياة.. فهذه هي أسس الوفاق والتعايش، لا ما هو عليه الإنسان في إيمانه الشخصيّ.

ثالثاً– إنّ الحوارَ الإسلامي المسيحي هو حوار ديني لاهوتي، لا يقومُ به سياسيّون، ولا مَن هم في مركز السلطة من رجال الدين؛ بل لاهوتيّون، علماء، منفتحون، متطوّرون، راقون؛ وفي أجواء هادئة، سليمة، ملائمة؛ ضمن جدران الجامعات ودور العلم ومعاهد البحوث.. أمّا عندنا، في الشرق عامّة، وفي لبنان بنوع خاص، فأبطال الحوار هذا هم عمّال السياسة الفاشلون في مجالات عملهم، ورجالُ دينٍ يهتمّون، باطلاً، في التعويض عمّا فشل فيه رجال السياسة.

رابعاً- ولا يظنّنَ أحدٌ بأنّ رفْضَنا للحوار يعني دعوةً إلى الإنغلاق والانقسام والقتال.. معاذَ اللّه! نحنُ نجاهد من أجل الانفتاح والسلام والوحدة والوفاق والمحبّة والحرّيّة.. نريد حواراً علمياً، حرّاً، صريحاً، واضحَ الموضوعات.. حواراً يحترم خصوصيّات كلّ إنسان، مؤمناً كان أم غير مؤمن... حواراً يطال الإنسانَ لا الأديان والمعتقدات والأنبياء والرّسل والكتب المقدّسة.

***

ونقول أخيراً:

إنّ كلّ ما جاء في كتاب السيّد أحمد زكي من تأويل واجتهاد وشرحٍ وتفسير على نصوص البيبليا، في عهديها القديم والجديد، في شأن تنبّؤها على النّبيّ محمّد، لا يمتُّ إلى العلم الحقيقيّ بصلة. لا علم التاريخ، ولا علم الإلهيّات، ولا علم الآثار، ولا علم الوحي. فلا موسى ولا عيسى، ولا نبيّ أو وليّ، ولا حبر يهوديّ أو قسّيس نصرانيّ، لا القسّ ورقة بن نوفل ولا الرّاهب بحيرا، لا إنجيل صحيح أو منحول... تكلّمَ على محمّد قبل مجيء محمّد... فهذا ليس من شأن نبيٍّ أو كتاب مقدّس. ولا هو هدف من أهداف الوحي السماوي. ولا هو من مخطّط اللّه في كلامهِ مع البشر. ولا هو من مقاصده الخلاصيّة. ولا من سعادة الإنسان ومحبّته للخير المطلق.. أنْ يتكلّمَ أحدٌ سابق على أحد لاحق.

فلئن لم يكن أحد، غيرُ اللّه، يعلم الغيب والمستقبلات، كما جاء في القرآن، فإنّه أحرى به ألاّ يتنبّأ نبيٌّ سابق بمجيء نبيّ لاحق. ونبرهنُ على ذلك من بعض آيات القرآن التي فيها إثباتٌ واضحٌ، ودليلٌ أكيدٌ للمسلمين بأنّ اللّهَ وحدَه يعلم الغيبَ والمستقبلات. واللّه لم يُعطِ علمَ الغيب أحداً، من الملائكة أو من النّاس.

ومحمّد نفسُه، كما يصفـه القرآن، أكّد مراراً بأنّه لا يعلم الغيبَ ولا المستقبل. فكم بالحري سائرُ الأنبـياء الذين هم، في رأي المسلمين، دونه، يجهلون الغـيبَ جهلاً مطبقاً!!.

والآيات التي تنفي على الـنّبي محـمّد، وعلى سـائر الأنبـياء، وحـتّى على الملائكة، علمَ الغـيب والمستـقبلات، هـي الردّ الصـحيـح على ما جاء علـى لسان السيّد زكي من تفاسير لنصوص البيـبليا في شأن محمّد. ونصٌّ واحدٌ لم يُشِر، لا من قريب ولا من بعـيد، إلى محـمّد، لا باسمه، ولا بـصفاته، لا توضيـحاً ولا تلميحاً.

وما قـام به السيّد أحـمد زكي، وغـيرُه العديد من المسلـمين، لم يكن سوى حاجة لإثبـات نبوّة محمّد من أيّ طريق كان، وبأيّ أسلوب . وهي حـاجة ليست في مصلحة مـحمّد ولا المسلمين أيضـاً. فالنّبيّ نبيٌّ لأنّ اللّهَ اخـتارَه، لا لأنّ أحداً تنبّأ عنه. واللّه لا يحتـاجُ إلى أن يؤكّدَ خَيارَه أحدٌ من البـشر. والنّبيّ نبيٌّ في ما علّم وفعل وعاش، لا لأنّ أحداً دلَّ عليه، أو أكّد نبوَّتَه، أو تنبّـأ على مجيئه. فحياتُه وسيرتُه وتعاليمُه وأفعالُه هي الدليل عليه، لا كلام سواه عنه.

هذا الكلام يؤكّدُه أيضـاً ما أشار إليه القـرآن من آيات تؤكّد جهلَ مـحمّد بالغيب والمستقبلات. وكم بالأحرى جهل سواه من الأنبياء. جاء في القرآن:

"لا أقولُ لكم عِنْدي خزائنُ اللّه. ولا أعلمُ الغَيْبَ.." (٦/ ٥٠؛ أنظر أيضـاً في اللّفظ نفسه:١١/ ٣١).

"وعندَه (تعالى) مفاتحُ الغَيْب. لا يَعلمُها إلاّ هو.." (٦/ ٥٩).

".. ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاسـتكثرتُ من الخَيرِ. وما مـسَّني السوء. إنْ أنا إلاّ نذيرٌ وبشيرٌ لقومٍ يُؤمنون" (٧/ ١١٨٨).

"ويقـولون (كفّار مـكّة): لولا أُنزِلَ عليه آيةٌ من ربِّه! فـقلْ: إنّما الغَـيبُ للّه.

فانتظروا (عذابَه). إنّي معكم من المنتظرين" (١٠/ ٢٠).

" وللّه غـــيبُ السـمـوات والأرض.." (١١/ ١٢٣؛ أنظـر أيضـا: ١٦/ ٧٧، ١٨/ ٢٦، ٣٥/ ٣٨، ٤٩/ ١٨،).

" قلْ. لا يعلمُ مَن في السـموات والأرض (أي: مِنَ الملائكة والنّاس) الـغَيبَ إلاّ اللّهُ.." (٢٧/ ٦٥).

هذا، ولم يكن في تفـسـيرِ أحـد من علمـاء البيـبليـا، أنّ نصّاً واحـداً من النّصوص التي اسـتشهـدَ بها السيّد زكي، أشـارَ إلى مجيء النّبي محـمّد. بل، وبحسب مبدإ عـام، لا تنبّؤات مستقبليّة في أيّ كـتاب من كتب الوحي. واللّفظة نفسُها، "نبوّة"، ومشتقّاتهـا، لا تعني مطلقاً، معرفة المستقبلات. و"النّبيّ"، في حقـيقته، هو الذي يبـشّرُ باسم اللّه، ويقوِّم سـبلَ الناس، ويهديهم دينَ القيّـمة، وينذرهم إنْ حادوا عن الصراط المستقيم، ويذكّـرهم بتعاليم السماء، ويتوعدهم بعذاب اللّه العادل... أمّا أن يعرفَ الغيبَ والمستـقبلَ، فهذا لم يكن من مهمّات أيِّ نبيّ.

الفصل الرابع عشر

ميلاد المسيح، طفولته، وحياته الخفيّة

يتضمّن هذا الفصل ألعناوين الرئيسيّة التالية:

أوّلاً- قائمة أجداد المسيح،

ثانياً- ميلاد يسوع المسيح،

ثالثاً-مجيء المجوس،

رابعاً- حلم يوسف وهربه إلى مصر،

خامساً- قتْل أطفال بيت لحم وحلم العودة من مصر،

سادساً- ملحق-ميلاد المسيح في ٢٥ ديسَمبر،

سابعاً- معموديّة المسيح،

ثامناً- تجارب المسيح.

ليست هذه العناوين من عند السيّد زكي. بل للسيّد زكي رأيه في هذه الموضوعات، ألمتفرّقة المبعثرة، هنا وهناك. ولم نقدّم شيئاً من عندنا سوى أنّنا رتّبناها، وفصّلناها، ليسهل للقارئ متابعتها، ويدرك، في الوقت نفسه، نظرة السيّد زكي، والمسلمين كافّة، في أمورٍ هي من العناوين الرئيسيّة للإنجيل. إلاّ أنّنا نعتذرُ مرّةً أخرى للتكرار المملّ الذي أجبرنا عليه السيّد أحمد زكي. ولكنّه تكرار يؤكّد لنا مقدار ما في منطق الكتاب من ضلال وتضليل.

أوّلاً- قائمة أجداد المسيح (متّى ١/١-١٧)

ذكر متّى ولوقا قائمتَين مختلفتَين عن أجداد المسيح. ولم يذكر مرقص ويوحنّا شيئاً، "فيبدو أنّهما كانا غائبَين عند نزول الوحي على زميلَيهما بقائمتَي الأجداد هذه!!

"وعند مقارنة القائمتَين المذكورتَين بالقوائم المذكورة في العهد القديم في أخبار الأيّام الأوّل والثاني، نرى تزييفاً وتدليساً وعَجَباً.. والاختلافات والتناقضات أكثر من أن تُحصى" (ص ١٨٧).

ثم يضع السيّد زكي ثلاث قوائم متقابلة لأجداد المسيح: قائمة العهد القديم، وقائمة متّى المزيّف، وقائمة لوقا.. ويجد الخلافَ بينها واضحاً، فيصرخ متسائلاً: "هل مَن يكتبُ بتأثيرٍ من الوحي الإلهي يُخطئ!! وينسى!! ويزيد!! ويُنقص!! ويحرّف!!! ويخبّص!!! فهل للفاتيكان الفاضل أن يُخبرنا بأيٍّ القائمتَين يأخذ!" (١٩٠). و"هل الذي يكتب بالوحي يُخطئ وينسَى!؟" (١٩١).

بناءً على الاختلافات الكثيرة بين قائمتَي أجداد المسيح، يستنتج السيّد زكي ما يلي:

أوّلا- إنّ هاتَين القائمتَين لا تُظهران نسبَ المسيح، بل نسبَ شخصٍ آخر مجهول، لا يعرفه أحدٌ، سمّاه الكاتبان يوسف، وليس نسب المسيح إطلاقاً، لأنّه لا ارتباط بالدمّ بين عيسى ويوسف هذا. والعبرة هي الارتباط بالدم. إذ كيف تُكتب هذه السلسلة الطويلة من الآباء لإنسان ليس له أب!!!

ثانياً- إنّ متّى المزعوم قد غشّ الأمّة المسيحيّة كلّها عندما قال: "كتاب ميلاد

يسوع المســيح". وكان الأولى به أن يقـول: "كتاب مـيلاد يوسف".. لأنّ مـيلاد المسيح كان بدون أب وبمشيئة اللّه.

ثالثاً- إنّ متّى المزيّف هذا متآمرٌ مـع اليهود الذي وصموا مريمَ بالزنا.. ولم يشر في قائمته ولو بحرف واحد إلى عذريّة مريم.

رابعاً- من المستغرب جداً أن يربط هذان الكـاتبان عيسى بداود وبقائمةٍ من الأجداد والآبـاء البشـر، بينما يقـال لنا في يوحنّا أنّ عيـسى كان إلـهاً مـوجوداً قبلهم!!!.

خامساً- المسيح بريء من هذا النّسب الذي تراكـمت فيه الأخطاء، لا سيّما محـاولة ربطه بيوسف النّجّـار، ممّا يوحي بغمزٍ فـي شرف أمّه، وأنّهـا جاءت به نتيجة اتّصـالٍ غيرِ شرعي قبل الزواج...

ولوكان النّصـارى يؤمنون بالمسيح وشرف أمّـه لانتزعوا هاتَين القـائمتَين من أناجيلهم" (١٩٦-١٩٧).

ثانياً- ميلاد يسوع المسيح (متّى ١/١٨-٢٥)

للسيّد أحمد زكي مآخذ عديدة، ومن كلّ نوع، على هذا النّص.

من جهة الترجـمة، فهي "ركيكة، وحرفيّة عن الإنكلـيزيّة إلى العربيّة، وليس عن اليونانيّـة، كما تدّعي دائرة الكتاب المقـدّس في الشرق الأوسط"... ولا تزال

الطبعـات المختلفة تتـوالى بين "فترة وأخـرى حتّى يومنا هذا، بدعـوى التنقيح والتصــحيح. وما المقـصود بالتنقيح والتـصحيح إلاّ دسّ أو تحـريف أو حذف شيء خطرَ ببالهم".

وبالنتيـجة، "على القارئ أن يعلم أنّ الكلامَ الوارد في الأناجـيل ليس كلام المسيح الحقيقي. فأصول هذه الأناجيل كلّها كـانت باليونانيّة، وقد فنيت جميعها. والمســيح لم يكن يعـرف اليـونانـيّة، ولم يـنطق بكلمـة واحـدة منهـا، لا هو ولا تلاميذه.. لذا يجب أن نكون حذرين جداً في قراءتنا للنصوص.." (٢٤٥).

أمّا من جهة النّص، الذي كتبه متّى، فللسيّد زكي ملاحظاته:

١. "**أمّا ولادة يسوع فكانت هكذا**": يقول السيّد زكي: إنّ قول الكاتب «كانت هكذا» يوحي للقـارئ العادي بأنّه كان شاهداً على تلك الولادة. والحقـيقة غير ذلك... فإنجيل متّى الحقيقي قد ضـاع.. أمّا هذا فمزيّف (٢٤٦).

٢. "**مريم مخطوبة ليوسف**": كاتب هذا الإنجيل "اختـرع لمريم خطّيباً سمّاه يوسف، ودسّــه في خاتمة الأجداد.. شخـصيّة يوسف هذا مهـزوزة.. غير واقعـيّة.. أتى به من المجهول، ثم عـاد وغيّبه في المجـهول، بعد أن قضى غـرضَه منه.. وأتى به ليـدخل الشبـهة علينا إرضـاءً لقومـه.." (٢٤٦-٢٤٨)... مريم لم تكن تعرف يوسف هذا، ولا غيره من الرجال.. فهل نصدقها أم لا! وكيف يزوّجها الكاتبان ليوسف هذا، وبعدها يقولان عنها العذراء البتول!.. (٢٦٤).

٣. "**وُجدت حبلى من الروح القدس**". قولُ الكاتب ذلك هو أكبر كلمة كفر وتجـديف على إله النّصارى، لأنّ روحَ القدس لا يحبّل أحـداً.. وذلك ليحملَ جَهَلَتُـهُم الأمرَ على وجه آخـر، تقشـعرّ له الأبدان، ولا يتصـوّره عقل، إذ أراد أن

ينسب إلى إلههم عملاً لا يقوم به إلاّ البشر والحيوانات... وقد عبّر القس غراهام» عن هذا الحبل، عندما "أخرج سبابتّه وهزّ يده التي مدّها إلى آخرها من اليمين إلى اليسار، قائلاً: وجاء روحُ القدس ولقّح مريم هكذا". ينقل السيّد زكي عن أحمد ديدات، عن كتابه المسيح في الإسلام. ويعلّق: "وذلك دون حياء أو خجل ولا خوف من الله، كما لو كان شاهداً على التلقيح هو الآخر" (٢٥٠).

٤. **الإله المولود**: يقول السيّد زكي: لو كانت نيّة هذا الكاتب اليهودي الشاؤولي (متّى) طيّبة، لقال عن مريم: وُجدت حبلى بالكلمة، أو بالمشيئة، أو بالقدرة الإلهيّة.. إنّما قال بالروح القدس.. وقد جاء، بدسّه الرّخيص هذا، ليشوّه حقيقة الدين المسيحي. (٢٥٣).

٥. **فستلد ابناً وتدعو اسمَه يسوع، لأنّه يخلّص شعبه من خطاياهم**: يقول السيّد زكي: "كاتب هذه النّصوص كاذب ومضلّل. يريد أن يضلّ جميعَ النّصارى. والملاك حتماً لم ينطق بشيء من هذا التخريف! لماذا!؟ لأنّ اسم «يسوع» ليس إسماً عبرانياً، وغير موجود بين جميع الأسماء العبريّة، إنّما عندهم إسم «عيسو»، و«يشوع»، و«هوشع».. ولكن ليس يسوع، «بالسين» إطلاقاً. إذاً من أين أتوا بهذا الإسم!؟.." (٢٥٤).

٦. "... **ويُدعى اسمُه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا**: يقول السيّد زكي: "إنّه دسّ.. وسرقة.. ورقع.. وغشّ صريح، وتزييف متعمّد لدين عيسى وللأمّة المسيحيّة بكاملها. فمن أين كان اسمه، قبل قليل، يسوع! وكيف أصبح، بعد سطرَين، عمانوئيل.! لا شكّ أنّ الكاتب يستغفلنا..." (٢٩٢).

أمّا **لوقا** (١/٢٦-٣٨) فقد "أورد قصّة ميلاد عيسى بشكل آخر. فهل كذب يا تُرى كما كذب متّى المزيّف! تعالوا لنقرأ سويّاً":

١. يلاحظ السيّد زكي أنّه لا يوجد شيء إسمه **عمانوئيل**: ألله معنا. "ممّا يؤيّد ما قلناه عن كذب متّى المزيّف".

٢. "**أرسل جبرائيل الملاك من الله**": هذا قول الحقّ... إذا كان جبرائيل الملاك أرسل من الله، فكيف تقول كنائسُهم إنّ الجنين الذي في رحم مريم هو الله!؟.. مَن قال لهم إنّ الإله يكون جنيناً، ثم يولد، ويرضع ثديَ أمّه، ويحبو، ويبوّل في فراشه، فينمو، ويكبر، ويعدو إلهاً!؟.. ومَن قال لهم إنّ اللّهَ نزل عن عرشه، وتقوقع في رحم مريم بين الفرث والدم والبول، وخرج بعد تسعة أشهر في صورة طفل، هو عيسى!!.. مَن كان يدير السماء، ويُنزل المطر؟ ومن الذي كان يُرزق البشر على هذا الكوكب، ويُحصي عليهم سيّئاتهم وحسناتهم!.. وكيف غاب عن الشيطان أن يستولي على الحكم في هذا الكون، ويجعل الكلّ يعبده وإلهه محشور في رحم مريم؟!.. ونقول لهم: أين ترك ألوهيّته! ومَن الذي ائتمنَه عليها!.." (٢٥٩-٢٦٠).

٣. **مخطوبة لرجل من بيت داود إسمه يوسف. كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلاً**؟ جملتان متناقضتان: في الأولى، مريم مخطوبة ليوسف؛ وفي الثانية، مريم تقول: أنا لستُ أعرف رجلاً. فإذا كانت مريم لا تعرف رجلاً معنى ذلك أنّها لم تكن مخطوبة ليوسف هذا.. فهل لوقا هو الصادق في أنّ مريم كانت مخطوبة، أم أنّ مريم هي الصادقة في أنّها لم تكن تعرف رجلاً!! ثم كيف يقع لوقا في هذا التناقض؟

أمّا عن يوسف فيلاحظ السيد زكي، ويقول:

١. شخصيّة يوسف هذه لم يرد لها أيّ ذكر، لا في إنجيل مرقص، وهو أوّل الأناجيل، ولا في إنجيل يوحنّا، وهو آخر الأناجيل.

٢ " . لا أحد يعرف عن يوسف النّجار هذا شيئاً، ولا حتّى الموسوعة البريطانيّة..

٣ " . هذه الشخصيّة أتوا بها من المجهول، وبعد أن قضوا غرضهم منها غيّبوها في المجهول.

٤ " . وممّا يؤكّد أن مريم لم تكن تعرف يوسف هذا.. كونها كانت متعبّدة في الهيكل، ومكرّسة نفسها لخدمته منذ نعومة أظفارها..

٥ " . وممّا يؤكّد أنّ شخصيّة يوسف النّجار هذه شخصيّة وهميّة ابتدعها خيالُ مَن دسّها في قائمة الأجداد، ليربط عيسى بداود..

٦ " . في العادة تلحق المرأة بزوجها لتسكن معه في مدينته، وليس الزوج هو الذي يلحق بزوجته ليسكن في مدينتها، كما هو الحال مع يوسف ومريم.

٧ " . وفي العادة أيضاً ألاّ تتزوّج الفتاة إلاّ من سبط أبيها (أنظر سفرالعدد ٣٦/٨)، وبالتالي: إذا كانت مريم هارونيّة، فكيف يزوّجوها (كذا) من يوسف النّجّار الذي كان داوديّاً!!! (٢٦٢-٢٦٥).

٤. هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى، ويعطيه الربُّ الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية: يقول السيّد زكي: هذا نصّ مدسوس. ولأنّه مدسوس جاء يقطر بالكذب.. لأنّ هذه نبوءة لم تتحقّق، إذ إنّ اللّه لم يعطِه كرسيَّ داود.. ولم يجلس عليه يوماً واحداً. لا بل لم يجلس حتّى على كرسي بيلاطس، أو حتّى على كرسيّ قيافا.. كما لم يؤسّس ملكاً إطلاقاً..(٢٦٦-٢٦٧).

٥. **هوذا أنا أمَـةُ الرَّبِّ**: أي عـبـدته المؤمنة. وهذا منتـهى الإيمان والخضوع.. فأين قولها "أمة الربّ" من قولهم "أم الربّ"!! فيا ويلهم من الربّ الحقيقي يوم الدينونة.. (٢٧٨).

٦. **وتبتـهج روحي بالله مخلّصي**: أي أنّ الله، وليس أحد سواه، هو المخلّص. قارن هذا، عزيزي القارئ، بقول الكنيسة: "لا خلاص خارج الكنيسة"..(٢٧٩–٢٨٠).

٧. **الروح القدس يحلّ عليك وقـوّة العلي تظللك**: لم يقل إنّ الروح القدس يحلّ فيك.. والفرق بين المعنَيين شاسع... ثم ألا يُسقط هذا (الكلام) قصّةَ يوسف النّجّار المزعومة من أساسها!؟ (٢٨٠).

ثالثاً– مجيء المجوس (متّى ٢/١–١٢)

يقول السيّد زكي:

" نجد هنا أنّ الكاتب يستغفلنا. فقد شطح بنا شطحة بعيدة يصعب تصديقها، لدرجة أنّ كتبَةَ الأناجيل الآخرين أنِفوا أن يصدّقوه، فلم يذكروا حرفاً واحداً ممّا ادّعاه في هذا الإصحاح، لأنّه شَحَنَهُ بخرافات.. هي أبعد ما تكون عن الصدق. بل هي إلى الكذب والخيال أقرب، إن لم تكن الكذب بعينه. ولا شكّ أنّ الدراسة المتأنّية لقصّة المجوس هذه تُظهر لنا أنّها مختلقة من أساسها. ابتدعها خيالُ الكاتب.. فتعالوا نتفحّصها سويّاً.. ونأخذ النصوص جملةً جملةً:

١. **أين هو المولود ملك اليهود**: إنّ عيسى لم يكن يوماً ملكاً لليهود.. وإذا كانت أولى صفات المَسِيّا المنتظر أن يكون ملكاً قوياً مثلَ موسى، فإنّ عيسى لم يكن كذلك. وإنّ الذي كان مثل موسى هو محمّد... " (٢٩١-٢٩٢).

٢. **فقد رأينا نجمَه في المشرق**: "وهذا أيضا هراء! لأنّ فيه احتقار(كذا) للعقل أيضاً.. إذ عندما يولد الملوك أو الأنبياء لا تولد لهم نجوم في السماء.. ويا ليت علماء "ناسا" للأبحاث الفضائيّة.. يدلّونا على هذا النّجم.." (٣٩٣)... ثم "إنّ القول بأنّ النّجمَ توقّف فوق حيث كان الصبيّ، فلا ندري أيّ تخريف هذا. فهل سمع أحد أنّ النّجم يتوقّف عن الدوران؟.. فهذا منتهى الكذب والتخريف" (٢٩٦-٢٩٧).

٣. **وأتينا لنسجد له**: "وهذا أيضا هراء! لماذا؟ لأنّ المجوس كانوا يعبدون النار، ولم يكونوا يسجدون إلاّ للنار. ولا يسجدوا لملك اليهود.. ولو اختار الكاتب غيرَ المجوس لربما وجد مَن يصدّقه. لكنّ اللّهَ أزلّ قلمَه بكلمة المجوس ليكشف كذبَه" (٣٩٣).

٤. **فلمّا سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم**: "ما أكثر المبالغات في هذا الإنجيل! لماذا يضطرب هيرودس؟ وتضطرب جميع أورشليم معه؟.. فلقد كان هيرودس وثنياً رومانياً، لا يؤمن بنبوءاتهم... اللّهم إلاّ إذا اعتقد أنّ المولود هو محمّد الذي سيزيل الممالك الأربع، ومن ضمنها دولة الرومان.." (٣٩٣). ثم ما يدلّ على كذب هذا الموضوع، جملةً وتفصيلاً، هو أنّ المسافة بين القدس وبيت لحم لا تزيد على ستة أميال. فلو أنّ هيرودس اضطرب فعلا، وكان خائفاً من هذا المولود، لسار بنفسه مع المجوس (٢٩٦).

٥... وأنتِ يا بيتَ لحم أرض يهوذا! لستِ الصغرى بين رؤساء اليهود...: ".. وأنتَ إذا قلّبتَ التوراةَ، عزيـزي القارئ، ومعها العـهد القديم، فلن تجد نصّاً واحداً يشير إلى زمن ميـلاد عيسى، أو مكانه، بل ولا كلمة واحدة قيلتْ فيهما عن عيسى. إذ جمـيع النصوص تشير إلى مكان وموعد ظهور نبيِّ الإسلام في الجـزيرة العربيّـة، الذي سيـأتي بشريعـة جديدة بعـد موسى، ينسـخُ فيـها التوراةَ، ويكون حاكماً قويّاً مثل موسى.. هذا النّص من النبيّ ميخا دُسَّ هنا. ولا علاقة له بعيسى. إنّما هو يتنبّأ عن النّبيّ القادم الذي هو محمّد" (٢٩٤-٢٩٥).

٦. أمّا عن هدايا المجوس وفـرحهم بالمولود (٢/١٠-١١) فـيقـول السـيّد زكي: "لا يملك المـرء إلاّ أن يضحك.. ويبكي.. فـي نفس الوقت على هذه الأراجيف... إذ لماذا يفرح هؤلاء المجـوس، ويسجدون لطفلٍ ما زال في لفـافته!؟ ولماذا قـدّمـوا له الهدايا فـي الوقت الذي هم مـجوس، وثنيّـون، لا يخـرّون ولا يسجدون إلاّ للنار!؟.. أمّا عن الهدايا في كونهـا ذهباً ولباناً ومرّاً فلاحظْ، عزيزي القـارئ، أنّ الكاتب يهيّء أذهانَنا من البدايـة لنقبل العـدد "ثلاثة" الذي يتكوّن منه الثالوث" (٢٩٧).

٧. وعن حلم المجوس وزيارتهم المولود (٢/١٢) يقول السـيّد زكي: "هل تذكر عزيزي القارئ حلمَ يوسف في الإصحاح الأوّل؟ يبدو أنّ هذا الكاتب، عندما تعييه الحيَلُ، يلجأ إلى الحلم!.. أليس غريباً أن يعلم المجوسُ في بلاد فارس بميلاد ملك اليـهود، ويحضرون بـهذه السرعة المذهلة، بيـنما لا يعلم به أهلُ بيتَ لحم، أو أهل القدس، والنّاصرة، والجليل.." (٢٩٧-٢٩٨).

٨. وتعليقاً على اسم ملك المجوس "جاسبار"، يقول السيّد زكي: "..

إنّ ملك المجوس كـان اسمُه «جاسـبار». ومن المعروف أنّ إسم «جاسـبار» إسمٌ فرنسيّ، وليس مـجوسيّ. ألا يدعو هذا للغـرابة!؟ يبدو أنّ الذي دسّ هذه الرواية في إنجيل متّى كان قسّيساً فرنسيّاً" (٣٠٠).

رابعاً- حلم يوسف وهربه إلى مصر (٢/١٣-١٥):

" مـرّة أخرى حلم!!! فـهل نحن، يقول الـسيّـد زكي، أمام دين يعـتمـد على الأحلام، ومـجرّد حلم يجعل صـاحبَه يغيّـرُ رأيَه؟ ما أكثـر أحلام هذا الدين!!!... والأغرب مـن كلّ ذلك.. نسيَ (الكاتب) أن يسطّرَ لنا، ولو حـرفاً واحداً، عـن عدد السنين التي قضـتْها العائلةُ الصـغيرة في مصـر؟ ولا كيف اعتاشـوا!... كما لم يخبرنا عن الطريقة التي عادوا بها إلى الجليل!؟

" أمّا اسـتشـهاده بهـوشع (١/١١): "من مصـر دعوتُ ابني"، فـالكاتب، كعادته، سطا على عـدد من سفر الأنبياء، وألصـقَه بعيسى كذباً وتدليسـاً.. فقد كذب علينا مرّةً أخرى، وعلى جميع المسيحيّين، وعلى النّبيّ، وعلى الرّبّ. فويلٌ له.. لقد أغار على هذا النّص، وانتزعه من موقعه، ونسَبَه لعيسى ليقول لنا إنّ نبوءات العهد القديم تحقّقت في عيسى.." (٣٠٠-٣٠٢).

ثمّ إنّ لوقا (٢/٢-٢١، ٤٢) يقول: إنّ العائلة، بعد ختان الصبيّ رجعت إلى النّاصرة. ولا ذكر لمصر عنده. ويسأل السيّد زكي: "فأيّهما نصدّق؟ هل ذهبوا به إلى مصـر، أم إلى الناصرة؟ وهل يُعقل، بعـد هذا التناقض الفاضح، قبـول قول الكنيسة إنّهما كتبا بالوحي!!" (٣٠٣-٣٠٤).

وورد في لوقا اسم حنّة النّبـيّة التي تكلّمت عن الربّ.. ويسـأل السـيّد زكي: "هل سَمعَ أحدٌ بأنّ اللّه أرسل أنبياءَ من النساء!!" (٣٠٥).

وورد في لوقـا أيضا عن خـتان الصـبيّ بعد ثمـانية أيّام، بناء علـى شرع موسى الذي كان على شـرع إبراهيم، والذي سيكون شرع محـمّد.. لكنّ شاؤول الفـرّيسي اليـهودي أبطـلَ الختـان.. وأباح لهم الخـمـر ولحمَ الخنزير.. وتبنّت كنائسه الشاؤوليّة عدم الختان حتّى اليوم. وبذا تكون كنائسُ اليوم مخالفة لأمر اللّه تعالى، ومخالفة للناموس ولإبراهيم ولموسى ولعيسى" (٣٠٥).

والنّقطة الأهم: "هذا الصبيّ الذي جـعلوا منه إلهاً! سؤالنا لهم جمـيعاً: هل اللّهُ يُختَن!؟ وعلى يد مَن!؟ كاهن أو قسّـيس هو خالقه!؟ ألا تخشون اللّه!.. أهكذا جعلتم للّه عورة!؟ .. إذا كان هذا إلهكم فهنيئاً لكم به" (٣٠٥-٣٠٦).

وورد في لوقـا أنّ مريم أتمّتْ أيّام تـطهيـرها. يقول الـسيّـد زكي: "للذين يزعمون أنّ مريم من معدن غير معـدن البشر، وأنّها أمّ اللّه، لذا لم تلحقْها خطيئةُ آدم، أو بالأحرى فَايْرُوسْ شـاؤول، فها هو لوقا يقول: إنّها كـانت نجسة وتنتظر أيّامَ تطهيرها، مثلهـا مثل أيّ امرأة أخرى.. هل نسَوا أنّها القائلة عن نفـسها أنّها أمَةُ الـرّبّ، وليس أمّ الرّبّ!؟ من أمَةِ الرّبّ إلى أمّ الرّبّ رفـعوها! إنّهـا ترقيـة لم يحصل عليها أحد.." (٣٠٧).

***

خامساً- قتل الأطفال وحلم العودة من مصر (٢/١٦-١٨)

مــرّة أخرى حلم، ومــرّة أخرى مــلاك الرّبّ. مــا أكثــر الأحلام والمنامــات وملائــكة الرّبّ في هذا الدين الشاؤوليّ.. ألا هنيــئاً لأمّــة تعتــمد في دينهــا على أحلامهــا التي كثرت.. إنّ الشاؤوليّة الكنســيّة الوثنيّة، المنتشــرة في العالم اليوم تحت إسم المسيــحيّة، والتي ما زال أكثــر من بليون إنسانا مضلّلاً بــها، إنّما هي نتيجة حلم" (٣٠٩).

أمّا بالنسبة إلى مــا قيل في الأنبياء بأنّه "سيدعى ناصريّاً"، فيــقول السيّد زكي: "قَلِّبْ، عزيزي القارئ، صفحات العهد القديم، صفحةً صفحةً، وعدداً عدداً، بحثاً عن هذا النّصّ.. فلن تجــد له أثراً.. لهذه الكذبة التي كذبها الكاتب، ونســبها إلى الأنبــياء زوراً. ولكن، لا عــجب، فمَن يكذب علــى اللّه، يهون عليــه الكذب على أنبيائه" (٣٠٩).

وسؤالنا الأخيــر: أين كان مرقص ولوقا ويوحنّا عندمــا نزل وحيُ الكنيسة بهذه التخاريف على هذا الكاتب!؟" (٣١٠).

سادساً- ملحق - ميلاد المسيح في ٢٥ ديسَمْبر

"مع الأسف، يقول الــسيّد زكي، لم يحــدّدْ لنا أيٌّ من متّى ولوقــا اليومَ أو السنةَ التي وُلد فيها المسيح. فهل حقّاً وُلد ليلةَ ٢٥ ديسمبر، كما يَعتقدُ الكاثوليك، أم ليلَ ٧ يناير، كما يعتقد الأورثوذوكس!!؟ (٣١٢).

" .. إنّ الفلكيّين والمؤرّخين من رجـال العلم والدين قـد أجمعـوا على أنّ ٢٥ ديسمبـر من سنة واحد بعد الميلاد ليـس التاريخ الحقيقي لميـلاد المسيح، لا من حيـث السنة، ولا من حيث اليـوم.. فإنْ كـان النقّاد المسـيحـيّون الـدارسون لا يعرفون السنة، فكيف عـرفتِ الكنيسةُ اليومَ أنّه ٢٥ ديسمبـر، أو السابع من شهر يناير، ويحتفلون به كلّ عام!؟ " (٣١٤).

" القرآن، بحسب السيّد زكي، ينقض هذين التاريخَين في قوله: " وَهزّي (يا مريم) إلَيكِ بجـذعِ النّخلَةِ (التي لجأتْ إليهـا حين مخاضـهـا)، (تـ)تساقطُ عليكِ رطباً جنِيّـاً " (سورة ١٩/٢٥). والرّطب الجنيّ هو الطريّ في تمام الاسـتواء. وهذا لا يكون إلاّ في شهر آب/أغسطس، حيث يرعى الرّعاةُ أغنامَهم في العراء.

" وعليه لم تكن ولادة المسيح أبداً في شهر ديسمبر، ولا في يناير حيث يكثر البرد والمطر وتساقط الثلوج " (٣١٤).

ثم إنّ الملائكـة لم تنشـد " المجـد لـلّه في الأعـالي وعلـى الأرض السـلام وبالناس المسـرّة " باللغة العـربيّة ولا باليـونانيّة، بل بالـسريانيّـة، وإلاّ لما فهـمه الرعـاة... وكلمة " السـلام " العـربيّة هي ترجـمـة لكلمة " إيـريني " السريانيّـة، ومعناها الإسلام، وليس السلام الذي يُترجم " شالوم ". وكلمة " المسرّة " ترجمة لكلمة " أيودوكيا " السريانيّة، وهي أفعل التفضيل من " حمد "، أي " أحمد "، وهو إسم " محمّد ". فتكون أنشودة الملائكـة: " ألحمدُ للّه في الأعالي. اقتربَ أن يجيء الإسلامُ للأرض، ينشُرُهُ بين الناس أحمد..

" وممّا يؤكّـد ذلك أنّ الإنجيل، ويعني الخـبـرَ السارّ، والمعـروف أنّ ملكوت

السماوات الذي بشّر به عيسى أقامه محمّد نبيُّ الإسلام، حيث أصبحتْ مشيئةُ اللّه كما هي في السماء هي كذلك على الأرض" (٣١٥-٣١٦).

وعن **شجرة الميلاد**، يقول السيّد زكي: "بقي شيءٌ هامٌّ وأخير في ميلاد المسيح لم يفطن إليه أيُّ مسيحيّ، لا في الشرق ولا في الغرب، وهو أنّهم يحتفلون بيوم الميلاد بتقليد يزيّنون فيه شجرة الصنوبر، ويعلّقون عليها الأنوار والهدايا والزّينات والألوان المختلفة، ليُفرحوا بها قلوبَ أطفالهم، ويُدخلوا البهجةَ والسرورَ إليهم. ويتمنّون الأمنيات التي يرغبونها، وهم يقولون: إذا كان هناك عيد ميلاد فلا بدّ من الشجرة، أو إذا لم تكن هناك شجرة فليس هناك عيد ميلاد.

" ولكن، لو سألتَ أيَّ مسيحيّ في العالم: لماذا الشجرة! والمسيح وُلدَ في مذود للحيوانات، داخل بناء مسقوف، كما زعم لوقا في إنجيله، أو في غارٍ، حسب ما تدّعي الروايات الأخرى، والأشجار لا تنمو داخلَ الغار، ولا في المذود داخل الأبنية المسقوفة!!؟ فإنّه لن يستطيع أن يجد الجواب.

"ألا يدلُّ هذا على أنّ المسيحَ وُلِدَ تحتَ شجرةٍ، كما ذكر القرآن!" (٣١٦).

سابعاً- معموديّة المسيح (٣/١٣-١٧)

يقول السيّد زكي:

" من المؤكّد أنّ رواية العماد هذه كُتبت قبل تأليه عيسى من قِبَلِ المجامع الكنسيّة.. لأنّه، لو كان عيسى إلهاً، كما يزعمون، فما حاجة الإله إلى العماد؟ وهل

يُعقل أن يُعَمَّدَ اللّه على يد إنسانٍ هو خالقه، وخالقُ النّهر الذي تعمّد فيه؟!.

"ومحمّـد هو المعروف لدى الجمـيع بأنّه رسول الختان الذي تتـحدّث عنه النبوءة. فهو نفسـُه وُلد مختونا، وهو الذي أعاد فرض الخـتان على المسلمين بعد أن كان شاؤول قد ألغاه..

".. وعيسى هو الذي هيّأ الطريق أمام محمّد..

".. ويوحنّا أيضاً قصد محمّداً في قوله: يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي..

وبالنتيجة، إنّ عيسى خضع لناموس موسى في الختان والتعميد، الذي هو، في الأساس "الوضوء"، كما هو عند المسلمين (٣٢٢-٣٦٣).

ثامناً- تجارب المسيح (٤/١-١١)

يعلّق السيّد زكي على فصل تجربة الشيطان للمسيح في البرّيّة بما يلي:

١. "لا نفهم مـعنى قولهم «**وأخرجـه الروحُ إلى البرّيّة**»، لأنّ المنطقة كلّها كانت برّيّة" (٣٦٥).

٢. "**وصارت الملائكة تخدمه**": "لم يكن الأولى لهذه الملائكة أن تظهر ساعة المحاكمة، أو الصلب، لتنقذ إلهَـهم العـاجز عن مـؤامرة وحـوش الكهنة والفرّيسـيّين؟ ثم هل الإله بحاجـة إلى مَن ينقذُه!.. ثم كيف يـتآمر عليـه الإلهان الآخران ويرسلان إليه الشيطان ليجرّبَه!" (٣٦٦).

٣. **ثلاث تجارب**، سبـقـهـا ثلاث هدايا المجـوس، وثلاثة أكيـال دقـيق،

وبطرس أنكر المسيح ثلاث مرّات، والمسيح دُفن في القبر ثلاثة أيّام، والمصلوبون كانوا ثلاثة.. إلخ... هي مقدّمة للقول بثلاثة آلهة (٣٦٦).

٤. **الأربعون** يوماً! هل قضاها عيسى في الصّوم (متّى)؟ أم في التجربة (مرقص)؟ أم في الصوم والتجربة معاً (لوقا)؟.. فمَن من هؤلاء الملهمين الثلاثة نصدّق!؟ (٣٦٧).

٥. لمن **صام عيسى**؟ إذا كان إلهاً فهل صام لنفسه؟ هراء. أم هل صام نصفُه النّاسوتي إلى نصفهِ الإلهي؟ وهذا هراء أيضاً. أم الإله الابن صام للإله الأب؟ وهذا استعباد الأب للابن. كيف؟ وهما متساويان!.. وفي هذه الحال من التساوي، يصوم أوتوماتيكيّاً الأبُ والابنُ وروحُ القدس أيضاً..

٦. **أربعون؟ أم ثلاثون؟ أم خمسون** يوما في الصيام؟ موسى صام ثلاثين، والمسلمون ثلاثين. فلماذا المسيح أربعين؟ والمسيحيّون خمسين؟.. "كلّ هذا معناه أنّ المسيح لم يصم أربعين يوماً، بل ثلاثين، وإنّ جميع النّصارى اليوم يصومون عشرة أيّام زيادة كلّ سنة، تُجَيَّرُ لحسابِ الملك قسطنطين، كفّارةً عن ذنبه في قتل زوجته وولده، دون أن تخبرهم كنائسُهم بالحقيقة" (٣٦٨).

٧. جاع.. هل الإله يجوع؟! في الوقت الذي هو خالق الكون بما فيه من زاد وطعام، ورازق كلّ مَن فيه، سواء أكان مؤمناً أو كافراً.. قد يقولون لنا: "إنّ الذي جاع هو عيسى الإنسان وليس عيسى الإله". ونحن نردّ عليهم بأنّ هذا الالتحام (بين الإنسان والإله) ليس إلاّ وهماً..." (٣٦٨).

٨. "**قُلْ أن تصير هذه الحجارة خبزاً**". هذه جملةٌ من ستّ كلمات مهزوزة، تبدو عليها اللمسة البشريّة واضحة. ويمكن تقويتها بأن نختصرها إلى أربع، مثلاً "أقلب هذه الحجارة خبزاً"... ثمّ ماذا سيستفيد الشيطان لو قلب المسيحُ الحجارةَ إلى خبز!!" (٣٧١).

٩. "**إنّه يوصي ملائكتَه بك..**"! كيف صلبَ متّى المسيحَ في آخر إنجيله في الوقت الذي كانت ملائكةُ اللّه تحمله وتحميه ممّا هو أقلّ من ذلك!؟.. فليسأل كلُّ مسيحي قساوستَه: "كيف صُلب المسيح بينما كانت الملائكة تحميه خوفاً من أن تصطدم رجلُه بحجر! ثم هل مَن كانت الملائكة تحميه مِن كلّ جانب يستطيع أن يصلبَه أحدٌ من البشر!!.. وإذا كان لا بدّ لهم من صلب المسيح، في أواخر أناجيلهم، فقد كان الأولى لهم، قبل ذلك، أن يشطبوا هذه الجملة من أساسها. ولكن يبدو أنّ اللّهَ أعماهم عنها لتبقى شاهداً على كذبهم" (٣٧١-٣٧٢).

١٠. "**ثم أخذه إبليس إلى جبلٍ عالٍ جداً وآراه جميعَ ممالك العالم**". يقول: "هل يستطيع علماء "الناسا" أن يدلّونا على هذا الجبل العالي جدّاً، الذي، إذا وقفنا عليه، نستطيع أن نرى جميعَ ممالك العالم! وإنْ دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على« السطحيّة والخرافة والجهل" (٣٧٣).

١١. "**إذهب يا شيطان. لأنّه مكتوب للربّ إلهك تسجد وإيّاه وحدَه تعبد**". يقول: "نسأل القساوسة الجهلة المضلّلين والمضلّين: كيف عرفتم أنّ المجرَّب هو اللّه وليس عيسى الإنسان، وأنتم تقولون إنّه أخفى شخصيّتَه عن الشيطان؟ وبعبارة أخرى: إذا كان اللّهُ أخفى شخصيّتَه عن الشيطان، فكيف كشفها لكم أنتم؟ ومتى كان ذلك؟ وأين هذا مكتوب في كتبكم؟ وكيف أخفى

شخـصيّتَه؟ هل لبس قـبّعةً ووضع نظّارةً سـوداءَ على عينَيه.. أم أطلق لحيـتَه وشاربَه؟.. هـل يُعقل أن يتـجرّأ الشـيطان ويرفع عينَيـه في اللّه الذي طرده من الجنّة؟.. أو هل يُعقل أن يعـود اللّهُ ويُخضع نفسَه للشيطان حـتّى يجرّبَه!!؟ ليس هذا فحسب، بـل أنْ يطلبَ من اللّه أن يسجد له، وهو ربُّه وخالقـه؟ هل هناك عقلٌ يستسيغ هذا؟!.. أيّ منطق أجوف هذا؟!" (٣٧٧).

***

نقول:

إنّ المقـاربة بين أن يكون المسـيحُ إلهاً ومـا تتحـدّث الأناجـيل عنه من أكل وشرب وجوع وعطش ونوم وخوف وخـتان وتعب وتجارب وحزن وألم وصلب وجلد وبصق وموت ودفن.. هي مـقاربة صعـبة جداً، بل مـستحـيلة على العقل البشري. وهذه الصعوبة ظاهرة للعيـان، يدركها كلّ قارئ للإنجيل. ونحن نؤيّد موقف السيّد أحمـد زكي الرّافض لهذه المقاربة. ولكنّنا نرفضُ هذا المنطق وهذا الأسلوب الذي عالجَ بهما هذه الموضوعات الصعبة.

والمفارقة بين السيّد زكي ومعظم المسلمين، وبين المسيحيّين كافّة، تقوم، في حقيقـتها، على الاختلاف حول مفهـوم الوحي... ولسنا، في هذا المجال، نفاضل بين المفـهومين. ولـيس لنا، في ردّنا، أن نكفّـرَ المسلمَ، أو أن نثـبّت المسيـحيّ، أو العكس. بل نحن نوازي، ونقارن ، ونقابل، ونقارب، واضعينَ نصبَ أعيننا ميزاناً واحداً، لا غـير، هو ميـزان المعادلة الصحـيحة بين تدخّل اللّه في الوحي وحرّيّة الإنسان وكـرامته. فـبقدر مـا تُصان هذه الحرّية وهذه الـكرامة، نكون مع هذا الوحي أو ذاك، ويكونُ مفهومُنا للّه مصيباً.

نقول هذا لاقتناعنا بأنّ الاختلاف كلّه بين المسيحيّة والإسلام يعود، لا إلى موقف المسيحيّين من آيات القرآن، أو موقف المسلمين من نصوص الإنجيل، والبحث فيها عن التناقضات والمستحيلات والـ"تخبيصات"،... بل يعودُ إلى مفهومَين مختلفَين للوحي بين المسيحيّة والإسلام. ونحدّد هنا بعضَها باختصار. ونكتفي ببعض المبادئ، دون أن نتوقّف على تفاصيل ما جاء به السيّد زكي. هذه التفاصيل، يحملُ بعضُها نقضَه في ذاته. وبعضُها الآخر يخضع لمبادئ الوحي العامّة.. بهذا نُعفَى من ردٍّ قد يطول جداً.

***

نقول:

أوّلاً- ألوحيُ في المسيحيّة وحيٌ تاريخيّ. يقوم على معطيات تاريخيّة. ويرتبط بأحداث تاريخيّة. ويتفاعل معها. ويتحدّد في مكان وزمان. ويتتبّع أحوالَ البشر وتغيّراتهم. وينقله شهودُ عيان، شفوياً وكتابة. ويتكيّف بتكيّف الثقافات والحضارات والتقاليد. ويتزيّن بمختلف الفنون الأدبيّة. ويتلبّس أساليبَ ناقليه... هذه الميزة عبّر عنها المجمع الفاتيكاني الثاني في الدستور العقائدي في الوحي الإلهي. فقال بـ"الارتباط الوثيق بين كلمة اللّه وعمله في التاريخ" (عدد ٢).

أمّا الوحي في الإسلام فلا علاقة له بالتحوّلات التاريخيّة، ولا بالأحداث الطارئة. ولا يخضع حتّى لحالات الشخص المُلقى عليه (وهو هنا النبّي محمّد وحده). ولا يتعامل مع الزمن الراهن.. بل هو وحيٌ "مُنْزَلٌ" من فوق، من

"اللوح المحفـوظ". وقد نزل دفعةً واحدة، ولو أنّ مـحمّداً لم يتلقّاه إلاّ مـنجّماً.. هذا الوحي كلُّه من عند الله، أي بمعانيـه وأسلوبه. وليس لمحمّد فـيه يد. لا يبدّلُ فيـه. ولا يُعطيه من تلقـاء نفسه. ولا ينـطق به على هواه. وليس عليه أن يخـتار اتّباعَـه بحسـبما يشـاء. لقد نزل عليـه "تنزيلاً من ربّ العالمين" (أنـظرالقرآن: السـور: ١٦/١٠٢؛ ٢٦/١٩٢؛ ٣٢/٢؛ ٣٦/٥؛ ٣٩/١؛ ٤٠/٢؛ ٤١/٢,٤٢؛ ٤٥/٢؛ ٤٦/٢؛ ٥٦/٨٠؛ ٦٩/٤٣؛ ٧٦/٢٣.. إلخ).

ثانياً- الوحيُ في المسيـحيّة تطوّر ونما نمواً مطّرداً خلال عـشرين قرناً، قبل أن يصل إلى "ملئـه" في المسيح الذي هو صـاحب الوحي الأساسي. وفي هذا النمـوّ المتتالي حـمل الوحيُ معـه حضـارات الشعـوب وتقاليدَهـم. واتّخذ أساليبَهم ومنطقهم ورؤياهم في مواجـهة الأحداث والمشاكل الإنسانيّة، أساليب تختلف، شكلاً ومضموناً، عن أساليبنا وتعابيرنا ولغتنا. لهذا يتعسّر على السيّد زكي، مثلاً، وعلينا نحنُ أيضاً، فهمَـه وإدراكَ أبعاده ومضامينه، إنْ لم يتزوّد كلُّ باحث فيه بعلوم التفسير البيبلي...

أمّا في الإسلام فالأمر يختلف جـملةً وتفصيلاً. هو وحي بسيط جدّاً. لا يدَ لأحدٍ فيه إلاّ يد الله. وليس من شخص آخـر أُنْزِلَ عليه الوحي غيرشخص واحد هو محمّد. وليس من كتاب فـيه وحيٌ إلاّ كتاب واحد هو القرآن. وليس في وحي القرآن غيـر مرحلة زمنيّة محدّدة بـ٢٣ سنة لا غـير. وليس من لغةٍ أُنْزِلَ الوحيُ فيها غـيرُ اللّغة العربيّة. ولا تختلف أخـيراً هويّة الذين كان الوحيُ من أجلهم أيَّ اختلاف...

ثالثاً- الوحي المسيحي متكاملٌ متتـابع عبر العصور والأجيال. أي هناك

صلة بين العهـد القديم والعهـد الجديد. بدون العهد القـديم تصبح كتب العـهد الجديد غير مفهومة، تتكلّم لغةً لا يملك مفتاحَها أحد. وبدون العهد الجديد يصير محتوى العهد القديم أساطير وأحداثاً تاريخيّة. هذا التكامل يوضحه المجمع في دستور الوحي بقوله: "رتّب اللّه الأمورَ بحكمـته كي يحتجب الجديد في القديم، ويتّضح القـديم في الجديد.. وأسفـار العهد القـديم كلّها تكسب كمـالَ معناها، وتظهره في العهد الجديد. وبدورها تنيره وتشرحه" (عدد ١٦).

أمّا في الإسلام فهذا التكامل لا يكوّن عنصراً مهمّا للوحي. فالقرآن، مع أنّه يعترف بنبـوّة النبيّين السابقين، ويعترف بوحـيهم على أنّه من عند اللّه، ويصدّق ما في التـوراة والإنجيل.. إلاّ أنّ هذا الاعتـراف لا يعني تكاملاً، إذ قد يسـتغني المسلمُ عن الوحـي القـديم، ويستـغنـي عن النبـيّين السـابقين، وعن الشـريعـة الناقصـة، فيستعيض عنها جمـيعها بالقرآن والشريعة الكاملة والنبيّ محمّد: "إنّ الدين عند اللّـه الإسلام" (٣/ ١٩)؛ ومَـن يبـتغِ غـيـرَ الإسـلامِ ديناً فلن يُقـبلَ منه" (٣/ ٨٥)... ثمّ إنّ الكامل متى جاء يُلغي الناقص.

رابعاً– ثمّة فـرق آخر في ما بين الوحي المسيـحي والوحي الإسلامي، هو الفـرق بين الحرف والروح. في الوحي المسـيـحي لم يعد العـهد الجـديد عهـد الحرف والشريعة، بل عـهد الروح (٢ قور ٣/ ٦): فالختان، مثـلاً، أصبح ختانَ القلب، بدل أن يكون خـتان الغـرلة (رو ٢/ ٢٩). ونحن لا نعمل اليـوم في نظام الشريعـة والحرف، بل في نظام الروح الجديـد (رو ٧/ ٦).. هذا النظام الجديد شدّد عليـه المجمع، ونبّه على اللاّهوتيّين بأن يأخـذوا بعين الاعتبار "نيّـة الكتّاب القدّيسين" (عدد ١٢)، وأوجب "على الشارح أن يفتّشَ عن المعنى الذي كان في نيّة الكاتب المقـدّس أن يعبّرَ عنه، وعبّـر عنه حقّاً في الظروف المعـيّنة التي عاش

فيها، وفـقا لأوضاع عصره، وثقافتـه، بواسطة الفنون الأدبيّة المتداولة إذ ذاك" (عدد ١٢).

هذا التمييز بين الروح والحـرف لا وجود له في الوحي الإسلامي، لأسباب عديدة: **الأوّل**– إنّ الوحي القرآني لا يخضع لذهنيّة البـشر وطرق حياتهم. إنّه، في روحه وحـرفه، نتـاجٌ إلهيّ، وليس للبشـر فيه يد. مـحمّد نفـسُه "لم يصـغْهُ بلفظه". **الثاني**– إنّ الوحي القـرآني وحي معـجز فـي حرفـه ولفظه وأسلوبه وتعـبيـره وصوره وتشـابيـهه وأحكامـه ولغتـه.. يعني: هو، في جـوهره وحي حرفي.. **الثالث**– إنّ المسلمين لم يميّـزوا قط بين "نيّـة الكاتب"، الذي هو الله، وبين طريقة التعبير، أي الحـرف، التي هي من الله أيضاً. لهذا، كان من الطبيعي الاّ يُترجم القرآن إلـى لغات أجنبيّة، لئلاّ يفـقد معجـزة إعجازه. **الرّابع**– ومن نتائج الوحي الحرفي، يُحتّم على المسلمين كافّة أن يحفظوا القرآن غيباً، لأنّه كلام الله بحرفه وروحه.

خامـساً– في الوحي المسـيحي ارتبـاط وثيق بين "الأعمـال والأقوال". ويعـبّر المجـمع المسكوني عن ذلك بقـوله: "وتدبير الوحي هذا يقـوم بالأعمـال والأقوال التي ترتبط في ما بينهـا ارتابطا وثيقاً، بنوع أنّ الأعمال، التي حـقّقها الله في تاريخ الخـلاص، تُبرز الـعقـيدة والحـقائق التـي تُعبّـر عنها الأقـوالُ وتدعمها، بينما الأقوالُ تُعلن الأعمال وتوضح السرّ الذي تحويه" (عدد ٢). هذا "الارتباط الوثيق"، بين الأعمال والأقوال، هو من صميم مفهوم التجسّد الإلهي الذي به كان تمامُ الوحي..

أمّا في الإسلام فترابط الأقوال مع الأعمـال، في مفهوم الوحي، فغير وارد

البحث فيه إطلاقاً. لقد قلنا بأنْ ليس في الإسلام من وحيٍ إلاّ على محمّد. ولكنّ أعمالَ محمّد لم تكن، حتّى بنظر المسلمين أنفسهم، موحاة؛ ولا أقواله أيضاً موحاة. ثمّ إنّ ما في القرآن هو "كلام اللّه" لا أفعاله. وكلام اللّه، بوصفه أزليّاً، لا يعبّرُ عن أعمال زمنيّة...

سادساً- يرتكز الوحي في المسيحيّة على كرازة الرسل الشفوية، إلى التقليد. والتقليد يمرّ عادةً، وتاريخيّاً، قبل الكتاب. ثم، وبعد مرحلة زمنيّة ما، يدوّنُ في كتاب. فالتقليد والكتاب هما ينبوعا الوحي المسيحي. فمبدأ "الكتاب وحده" Sola Scriptura لا يكفي. ثم إنّ الكنيسة هي التي اعترفت بصحّة الكتاب. وتكوين الكتاب وجمعه وتدوينه كان نتيجة سلطة أعلنته وأعطته صفته القانونيّة. لذلك قال المجمع: "إنّ الكنيسة لا تنهل اليقين عن محتويات الوحي كلّها من الكتاب المقدّس وحده. ولهذا علينا أن نقبل كليهما (أي التقليد والكتاب)، ونجلّهما بعاطفة من الحبّ والاحترام" (عدد ٩). وهذا يعني أيضاً أنّ الوحي مستمرٌّ في الكنيسة، وقد عبّر المجمع عن ذلك بقوله: "إنّ الرسلَ تركوا خلفاء لهم الأساقفة، وسلّموهم مكانتهم التعليميّة، لتظلّ البشارة دائما تامّة وحيّة في الكنيسة" (عدد ٧). وهو يعني أخيراً، ودائماً بحسب قول المجمع: "أنّ الكنيسة، بتعليمها، وحياتها، وطقوسها، تخلّدُ وتُنقل للأجيال بأسرها كلّ ما هي عليه، وكلّ ما تؤمن به" (عدد ٨).

هذا المنطق غريب جدّاً عن المفهوم الإسلامي للوحي. نظريّة "التقليد" Tradition كلّها، بكلّ معانيها وأبعادها ونتائجها، غير واردة في الإسلام. وبكلمة: ألقرآن وحدَه يكفي. وما سواه تفسير له وتأويل واجتهادات. وليست "السنّة" أكثر من أقوال النبيّ وأفعاله التي تفسّر هي الأخرى القرآن. فليست هي

مصدراً للوحي بأيّ حال، كما هو "التقليد" في المسيحيّة. لهذا السبب لا يوجد في الإسلام "كنيسة"، أو "جماعة". وحدَه المسلمُ الفردُ يُقيم علاقةً فرديّةً مع الوحي. ويُخشى، في هذه الحال، أن يفهمَ المسلمُ اللّهَ على ما يوافق مزاجَه. وقد تنبّه الشيعةُ إلى ذلك فقالوا بـ"الإمامة" كمرجع دينيّ إلهيّ لحفظ الوحي وتأويله وفهمه.

سابعاً- موضوع الوحي في المسيحيّة دينيّ صرف. لا يهتمّ بالبحوث العلميّة، ولا بالنظريّات الفلسفيّة، ولا بالعلوم الفلكيّة أو الطبّيّة، وما أشبه.. يُوحي اللّهُ عن ذاته ليرسمَ للإنسان مسيرة خلاصه. وكلّ ما له علاقة بخلاص الإنسان يكوّن الوحي.. والقول بأنّ الوحي في المسيحيّة يكشف عن الحقائق العلميّة، أو يأخذ موقفاً منها، أو يتناقض معها، أو لا يتناقض.. هو قول لا شأنَ له مع هدف الوحي. فغاية الوحي خلاصُ الإنسان. الإنسان الذي يبحثُ عن اللّه باستمرار، ويختبره في حياته ومسلكه. الإنسان في عصره وبيئته ومجتمعه وظروف حياته.. لهذا نقول: إنّ الوحي في المسيحيّة يحمل الإنسانَ كما هو، في رفعته كما في ضعته، في استقامته كما في أخطائه وضلالاته. واللّهُ يكشف عن ذاته في هذه كلّها...

أمّا في الإسلام فالكلامُ يطولُ جداً إنْ شئنا استعراضَ ما يجده المسلمون في وحيهم من علوم دينيّة واجتماعيّة وعلميّة وفلسفيّة وأدبيّة واقتصاديّة ولغويّة وقانونيّة وطبيّة وفلكيّة وفيزيائيّة وكيماويّة.. في القرآن يجد المسلمون، بحسب تعبير دروزة: "أصولَ دينهم، وشرائعَ حياتهم، ونبعَ إلهامهم، ونبراسَ أخلاقهم، ونورَ هدايتهم في مختلف شؤونهم الدينيّة والدنيويّة، الروحيّة والمادّية، العامّة والخاصّة، السياسيّة والقضائيّة والاجتماعيّة والشخصيّة والإنسانيّة..".

ثامناً- مدار الوحي في المسـيحيّة هو شخص يسـوع المسيح. إنّه الوحي. وملء الوحي. وتمامه وكماله وغايتـه.. لا بعده وحي يُرتجى خارجاً عنه، ولا قبله وحي لم يكن مـتّجـهاً إليـه... هذا يعنى بأنّ الوحي في المسيحيّـة ليس كتـاباً، والمسيـحيّين ليسـوا "أهلَ كتاب"، أو "كـتابيّين"، بل هم "مسـيحيّـون". وما الكتـاب عندهم، وهو الإنجيل، إلاّ ذكـريات، أو "مذكّـرات شخـصيّة"، بحـسب تعبير المجـمع (عدد ١٩)، كتبها أناسٌ بإلهـامٍ وإخلاصٍ وصدقٍ وأمانة. في هذه "الذكريات" بعضُ تعاليم معلّمهم، وبعضُ حياته وأعماله.

أمّا تمام الوحي في الإسلام فهو القرآن. ألقرآن هو الوحي. ولا وحي بعده. ومحمّد شاهد لهذا الوحي، وواسطة. لا شأنَ له فيه... وكان يخشى المسلمون أن يحصلَ من هذه الحـقيقة شـيئان، وقد حـصلا. **الأوّل**- تقديس النبيّ مـحمد واعتباره كائناً ساميا فاعلاً شفيعاً يهدي أمّتَه إلى حيث شاء. وردّت له أمّتُه هذا الاعتـبار، فحدّدت له الأعـياد والاحتـفالات والصلوات والابتهـالات والذكريات لأحداث حياتـه. وهو تكريم رفضه ويرفضه المسلمون الأصـوليّون، لأنّه يخالفُ الوحيَ وأهدافَه. **والثاني**- الإيمان بضرورة وجود إمام مـعصوم، حيٍّ يُنتظَر، يقوم بمهـمّة حفظ الوحي وتفـسيره وتأويله وضـمانة استمـراره. وهو موقف الشيعة على اختلاف فِرَقِهم... لهذا لا وحيَ إلاّ في القرآن، ولا نبوّة إلا في محمّد، ولا معجزة إلا معجزة إعجاز القرآن...

تاسعاً- للوحي في المسيحيّة طابعٌ جماعي. أي أنّه يتوجّه إلى الإنسان من خلال الكنيـسة، أو الإنسان ضمن الكـنيسة. فالوحي لهـا أوّلاً وآخراً. وهي، في تعليم المسيحيّة، المسيحُ الحيّ المستمـرّ عملُ خلاصه في العالم. وعلى الكنيسة أن تتولّى الوحيَ، وتفسّره، وتقدّمه للناس، حيث هم، في رقيّهم وتطوّرهم وتقلّبات

حالاتهم. هي التي تشرّع، وتسنّ القوانين والدساتير والمعتقدات.. هذا يعني أنّ مسيحيّاً خارجَ الكنيسة، لا يكون.

هذا الطابع الجماعي غير وارد في الإسلام. المسلم يأخذ إسلامَه من الكتاب مباشرةً، لا بواسطة الجماعة، أو "الأمّة". ولئن كان من جماعةٍ أو أمّة في الإسلام، دعا القرآنُ إلى تكوينها، فهي "أمّة" إجتماعيّة سياسيّةٌ، تقيم شريعةَ الإسلام. والفردُ في الإسلام يكون مسلماً وإنْ لم ينتمِ إلى "الأمّة". وإذا كان لا بدّ من انتمائه إلى "الأمّة" فيكون ذلك من أجل بناء مجتمع سياسيّ يطبّق أحكام القرآن، لا من أجل الخلاص، أو صحّةِ الانتماء إلى الإسلام.

عاشراً– وأخيراً يتميّز الوحي المسيحي بكونه وحياً مَعَادِيّاً، أي نهيويّاً، وأخرويّاً. هذا الوحي لم يتمحور حول حياة يسوع الزمنيّة فحسب، بل يتّجه نحو مجيئه الثاني.. وبفضلِ هذا الوحي المَعادي تستطيع الكنيسةُ أن تدرك بوضوح مسيرَتها التاريخيّة ومصيرَها النّهائي. على نور المعاد تعرفُ الكنيسةُ تماماً كيف تسير عبر أحداث الزمن. وتعرف كيف تواكبُ الإنسانَ عبر هذه المسيرة...

في الإسلام، لا يبدو أنّ فصلاً ما حاصلٌ بين الحياة الأرضيّة والحياة السماويّة. سوف لا يجد المسلمُ في الجنّة غير ما هوعليه في هذه الدنيا، الاّ بالنّوعيّة والكمّيّة فقط... بل نقول أكثر: إنّ اللّهَ هناك سوف لا يكون، في معتقد المسلمين، على غير ما هو عليه هنا، إلاّ ناقصاً إسماً واحداً من المائة إسم لا غير. وهو شيء لا يذكر. وهذا يعني أنّ المسلم لا يجهل من اللّه إلاّ ١٪ فقط.

***

يتحصّل ممّا تقدّم أنّ السيّد أحمد زكي اتّخذ له، في رفضه الوحيَ الإنجيلي، معاييرَ إسلاميّة، لا تنطبق على الوحي البيبليّ إطلاقاً. فهو يعتقد ويقول بالتنزيل الحرفي. فيما الوحي البيبلي غير ذلك. ويقول بأنّ الوحي هو كلام اللّه عينه، فيما الوحي البيبلي يقول بأنّ الوحي كُتب بأساليب أناس ملهمين لم يفقدوا شخصيّتهم وأسلوبَهم وعقليّةَ الذين يكتبون من أجلهم. ويقول بأنّ الوحيَ يتضمّن حقائق علميّة كاملة، وفيها "الحقّ اليقين"، فيما الوحي في البيبليا يخضع لأخطاء التاريخ وأحداثه وثقافة كاتبيه.

على هذا، لا يحقّ للسيّد أحمد زكي أن يتعامل مع الوحي البيبلي من منطلقات إسلاميّة. هذا، علماً بأنّ المنطلق البيبلي يحافظ على حرّيّة الإنسان وكِبَرِ اللّه أكثر مما نجده في مفاهيم أخرى للوحي. من هنا، فالأخطاء التي رفعها السيّد زكي من نصوص الأناجيل، قد نوافقه عليها، لأنّها أخطاء تعود إلى الأسلوب الذي كُتب فيه الوحي، أكثر ممّا تعود إلى الحقائق الموحاة ذاتها.

فإلى هذا الحدّ من الحرّيّة يتعاملُ اللّهُ، في الوحي البيبلي، مع العالم. وبغير هذا، لا اللّه يكونُ كبيراً، ولا الإنسان يكون حرّاً. وفي غير الوحي البيبلي، لا اللّهُ يحافظ على كبره، ولا الإنسان يعتزّ بحرّيته. وعلى السيّد أحمد زكي أن يختارَ بين المفهومَين المتناقضين هذين.

الفصل الخامس عشر

بعض تعاليم المسيح عند أحمد زكي

في هذا الفصل بعض موضوعات رئيسيّة نجمعها، من هنا وهناك، من كتاب السيّد أحمد زكي، متتبّعين، بقدر ما يمكن، الصفحات بعضها وراء بعض. للسيّد زكي، فيها، رأي وموقف، نقد ونقض، وملاحظات طريفة. نختصرها تحت العناوين التالية:

أوّلاً– ألمرأة والزواج والطلاق،

ثانياً– محبّة الأعداء،

ثالثاً– ألصلاة في الخفاء،

رابعاً– ألصيام،

خامساً– ألله والمال،

سادساً– يوم الدّين.

أوّلاً– المرأة والزّواج والطلاق.

* يعلّق السيّد زكي على ما جاء في متّى: "**مَن طلّق امرأته فليعطها كتاب طلاق؛ وأمّا أنا فأقول لكم: إنّ من طلّق امرأته إلاّ لعلّة الزنى**

يجعلها تزني، ومن يتزوّج مطلّقة فإنّه يزني" (٥/ ٣١-٣٣)، فيقول:

" هنا أعـزّائي القـرّاء، يجب أن نتـوقّف وقـفةً طـويلة. لماذا؟ لأنّ الكاتب، أو القسّيس الجـاهل، لغرضٍ في نفسه، ابتدأ يهـذي، ويدسُّ آراءه هو، ويخلطها في آراء المسيح.. فالتشريع الذي دسّه الكاتب، أو القسّيس الجاهل، هنا، يقطر كذباً..

* وبعد أن يتكلّم على مضارّ الطلاق، يقول: إلاّ أنّ "فيه منافع كثيرة أيضاً، لا يمكن أن تكون قد غـابت عن ذهن المسيح.. لكن، من المؤكّد أنّهـا غابت عن ذهن القسّيس الذي دسّ هذا التشريع الغريب" (٣٩٩).

" والعاقل يرى أنّ الطلاق، لأيٍّ سبب، في التوراة، مباح. والتوراة كانت قبل المسيـح. كذلك يرى أنّ الطلاق في القـرآن مباح، والـقرآن نزل بعد المـسيح. ولا يستطيع المرء إلاّ أن يسـتنتج أنّ الطلاق كان أيضـا مباح (كـذا) في دين المسيح الذي لم يناقض الناموس. ولكنّ التحريم جاء من قساوسة الكنيسة الشاؤوليّة لا من المسيح.." (٤٠٢).

* "كمـا أنّ الزواج بأكثـر من واحدة، في التـوراة، مبـاح.. وكذلك الزواج بأكثر مـن واحدة، في الإسلام، مباح. والتـوراة كانت قبل المسيـح. والقرآن جاء بعد المسـيح. إذاً، لا بدّ من أن يكون الزواج بأكثـر من واحدة مبـاح(كذا) في دين المسيح.. أمّا إذا كان الشـاؤوليّون الكنسيّون لا يتزوّجون بأكـثر من واحدة حتّى اليوم، فذلك لأنّ شاؤول وقساوســة الكنيسة منعوهـم.. هذا، في الوقت الذي نرى فيه أنّ الكنيسة تغضّ الطرفَ عن تعدد الزوجات بين المسيحيّين في أفريقيا. حتّى القسيس في الكنيســة الأفريقيّة يجوز له أن يتزوّج بأكثـر من امرأة، بينما يُحرّم هذا على زميله القسّيس في أوروبّا. فأيّهما المسيحيّة!؟" (٤٠٢-٤٠٣).

* وعن سيرة النساء الشاؤوليّات، نتيجة هذه القوانين الشاؤوليّة الصارمة، غير العادلة، فإنّنا "نراهنّ في الأسواق والمجتمعات، وهنّ متبرّجات، يلبسنَ القصيرَ، ويكشِفنَ عن صدورهنّ، ويُبرزنَ مفاتنهنّ، ويَرقصنَ في حفلات التّانغو والفوكس والرّوك والديسكو، ويَرتمِينَ في أحضان الشباب، متعانقات، لاهثاتٍ، تحت الأنوار الخافتة، والموسيقى الصاخبة، أو الهادئة، والتَفّتِ الساقُ بالساق، والصدر بالصدر، مع التأوّهات والزفرات، تحت تأثير الخمر والموسيقى، وقد ارتفعتْ درجةُ حرارتهنّ، وينتهي الأمر، إمّا في شقّته، أو شقّتها، لممارسة الزنا. أين هذا كلّه من قول المسيح: «فإن كانت عينُك أو يدك تغرّكَ فاقطعها. وكلّ مَن ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه»! لا عجب. إنّهنّ لسنَ مسيحيّات، إنّما شاؤوليّات" (٣٩٩).

ثمّ إنّ هناك تعليقاً ظريفاً للسيّد زكي على كلام المسيح: "مَن تركَ بيتاً أو إخوةً.. أو امرأةً..يأخذ مئةً ضعف.." (مرقص ١٠/٢٨). يقول: "ماذا يعمل التلاميذُ بمئة زوجة في ذلك الزمان، بينما الكنيسة لم تسمحْ لهم إلاّ بزوجة واحدة!؟" (٦٤٣).

ثانياً- محبّة الأعداء.

* تعليقاً على قول المسيح: "**مَن لطَمكَ على خدّك الأيمن فحوّلْ له الآخر. ومَن أراد أن يخاصمَكَ ويأخذ ثوبَك، فاترك له الرداء أيضا**" (متّى ٥/٣٩-٤٠)، يقول السيّد زكي:

"هذا المثل.. يدعو إلى الاستهجان والغرابة. ممّا يُستبعَد أن يكون من أقوال

المسيح.. لأنّ هذا، إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على الذلّ والخنوع، بل وعلى جهلٍ تامٍّ بطبيعة الإنسان، إذ هو تمرّدٌ عليها، وليس مساير (كذا) لقوانينها. فيه مغالطة كبيرة، ومصادمة للطبيعة، ممّا يؤكّد أنّه لا يمكن للمسيح الناطق بوحي اللّه أن يكون جاهلاً بها.

" فهل يا تُرى كان قصد كتَبَةِ الأناجيل اليهود أن يجعلوا الأممَ التي تبعت شاؤول خاضعةً ذليلةً لهم!! أم الكنيسة، عندما كانت ضعيفة، أرادتْ أن تظهر للرومان أنّها مسالمة، لدرجة الخنوع، بعد أن انتشرتْ أخبارُ النّبيّ القادم الذي سيزيلُ مملكةَ الرومان!؟ (٤٠٤-٤٠٥).

" ولكنَّ السؤال الذي يطرحُ نفسَه هنا، إذا كانت شريعةُ الكنيسة قائمةً على الصفح إلى هذا الحدّ، فلماذا تناقضُ نفسَها، وتأبى صفحَ اللّهِ عن آدم؟ ولماذا جعلتِ اللّهَ غاضباً حتى انتصفَ لنفسهِ بذبْحِ ابنه الوحيد؟! أو على الأقلّ، لماذا لم تصفحِ الكنيسةُ عمّن خالفوها الرأيَ، فذبحتِ الملايين منهم، وقتلتهم دون شفقة أو رحمة!!

" وهذا القول الذي نسبوه إلى المسيح.. لا يقبله، أو يعمل به، اليومَ، أيُّ مسيحي في العالم. لذا، لا يمكن أن يكون من أقوال المسيح... هو "تشريع غلط، لما فيه من غبن وذلّ وخنوع.. للأسباب التالية:

١. عيسى لم يكنِ مشرِّعاً، إنّما مطبّقاً للناموس. ولو أنّه شرّع ذلك حقّاً لكان بهذا التشريع قد خرج عن شريعة موسى بالكامل. ويكون بذلك ناقض نفسَه.

٢. هذا التشريع يدلّ على جهل صاحبه بالطبيعة البشريّة. فعلم الميكانيكا يقول: كلّ فعْلٍ لهُ ردٌّ فعْل، مساوٍ له في المقدار، ومضاد له في الاتّجاه.. هذا مع الجماد. فكيف مع الإنسان الذي هو لحم ودم وأعصاب تثور وتلتهب إذا ما لُطم صاحبُها على خدّه!!؟..

٣. والمسيح نفسُه لم يحوّل لمن ضربَه الخدَّ الآخر. بل احتجّ عليه، وقال له:

" لماذا تضربني" (يو١٨/٢٣) . وليس من المعقول أن يتنكّر المسيح لما نادى به.

٤. وأخيراً.. "فأنتَ لا يمكن أن تجدَ مسيحياً واحداً، اليومَ، في تمام عقله، إذا لطمتَه على خدّه أدار لك الآخر. أنظر إلى أفلامهم في التلفزيون.. تجدْها كلَّها ذبح (كذا) وقتل وبطش وجريمة. لا يُعيرون التسامح أي اهتمام.." (٤٠٥-٤٠٦).

* وتعليقاً على قول المسيح في متّى: "**أقول لكم: احبّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. احسنوا إلى مبغضكم. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم**" (٥/٤٣-٤٥)، يقول السيّد زكي:

" هل لأطبّاء علم النفس أن يخبرونا كيف يمكن لنا أن نحبَّ أعدائنا (كذا)، ونبارك لاعنينا؟! إنّه مطلب ضدّ الطبيعة البشريّة. ولا يمكن تطبيقه، لأنّه يكلّف النفسَ ما ليسَ من طبعها وما لا تطيقه..

" نعم قد أستطيع أن أعفو عمّن ظلمني.. وأسامحه على ما فعله معي. لكنْ أنْ أحبَّهُ! فهذا فوق طاقة النّفس البشريّة.. ولا يمكن تطبيقه، لأنّ النفسَ مجبولة على حبِّ مَن يحبُّها، وبغضِ مَن يبغضُها. فضلاً عن أنّه مناقضٌ للتوراةِ التي قال المسيحُ إنّه لم يأتِ لينقضَها. لذا فلا يمكن أن تكون هذه النّصوص من أقوال المسيح..

".. وما أحرانا أوّلاً أن نحبَّ اللّهَ، وننزّهَه عن أن يكون ثالثَ ثلاثة، أي ثلثَ إله، ونتبع أوامره ونواهيه، قبل أن نحبَّ أعداءنا..

".. والذي دسَّ هذه التشريعات يريد أن يقول للرومان إنّ النّبي القادم لن يحطّم ملكهم، وإنّ اليهود أناس مسالمون، حتّى لو ضربتموهم، فهم مستعدّون أن يديروا لكم خدَّهم، ومستعدّون أن يحبّوكم، ويباركوكم، بل ويصلّوا من أجلكم. أمّا أن تكون هذه المبادئ من مبادئ المسيح فأمر محال..

" وللأسف، بعد أن قامت الكنيسة بدسّ تـلك الأقوال التي يُشتمّ منها رائحة الذبح والقتل في الأناجـيل، نسبَتْـها مرّة أخـرى للمسيح، لتـبرّرَ جرائمَـها التي ارتكبتْها بحقّ الشعوب المغلوبة على أمرها.." (٤٠٦-٤٠٨).

ثالثاً- الصلاة في الخفاء.

* تعليقاً على قـول المسيح في متّى (٦/٥-٩): "**ومتى صلّيتَ فلا تكنْ كالمرائين**، فإنّهم يحبّوا (كذا) أن يُصلّوا قائمين في المجامع، وفي زوايا الشوارع، لكي يظهروا لـلناس. الحقّ أقول لكم: إنّهم قد اسـتوفـوا أجرَهم. وأمّا أنتَ فـمتى صلّيتَ فادخل إلى مخدعكم، واغلقْ بابَك. وصلّي (كذا) إلى إلهك الذي في الخفاء، فإلهك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.."، يقول السيّد زكي:

" إنّ الكنيسـة أقحمتْ نفسـها حتّى في صلاة الفـرد، لتقف بينه وبين ربّه، تماماً كما فـعل الكهنة والفرّيسيّون اليهـود. فلا هم دخلوا ملكوتَ اللّه، ولا تركوا الدّاخلين يدخلون.. إذ، في الوقت الذي فـيه الصـلاة صلة بين العبـد وربّه، وقفتِ الكنيسـة.. بعد قرع النواقـيس الضـخمة.. لكي ينـظرهم الناس، أي عكس ما طلب المسيح تمامـاً، وهو الذي لم يسمع جرسَ كنيـسة في حيـاته. ولربّما، ليس هناك مانـع عند بعضـهم أن يكون قد تناول في إفطاره، ذلك اليـوم، شريحـةً من لحم الخنزير، أو قدحاً من الـويسكي، أو النّبيذ المعتّق الذي حرّمـه اللّه قبل ذهابه إلى الكنيسة للصلاة..

" ثم هيهـات أن يستطيعـوا التركيـز في أذهانهم على الخشـوع للّه الواحد وسط تلك الأناشـيد والموسـيـقى والصور والصلبـان والتـماثيل التي تشـتّت

الذهن. ولست أدري كيف يركّزون على اللّه الواحد، وهو في أذهانهم ثلاثة.. فهل يا تُرى، عندما يصلّون يركّزون على الأب، الذي لا يعـرفون صورتَه لأنّه دائماً في الخـفاء؟ أم على عـيـسى في تماثيله التي تمتلئ بـها الكنيسـة؟ أم يا تُرى على «جفْري هنتـر» الشاب الأميركي الوسيم الذي لعـب دورَ المسيح في فيلم Super Star ملك الملوك ؟ أم على الروح القـدس الذي صـوّرتْه لهم الأناجـيل على شكل حمامـة هاوية من السماء!! ثم كيف يـتأكّدون أنّ صلاتهم قد توزّعـت بالتساوي على الآلهة الثلاثة، وأنّ كلَّ إلهٍ أخذ نصيباً مساوياً للإله الآخر...

" .. وهل طلب منهم المسيح أن يصلّوا لغير اللّه الذي في الخفاء!؟ وهل طلب منهم المسيح أن يصلّوا على أنغام الموسيقى والأناشـيد... فالمسيح، عندما يريد أن يصلّي كـان يعتـزل الناسَ وينشد مكاناً هادئاً، ويصـلّي فيه.. أي إنّ الـصلاة لا تحتاج إلى كلّ هذا الصـخب الذي ابتدعه شـاؤول وكنائسُه، أجراس، وموسيقى، وتراتيل.. كـمـا أنّ الصلاة لا تحـتـاج إلى قـساوسـة أو مطارنة أو بخـور..." (٤١٨-٤١٩).

* وعلى قـول المسيح في لوقـا (١٧/ ١٢): "إنّ **ملكوت اللّه داخلكم**"، يعلّق السـيّـد زكي، ويقول: هـذا يعني أنّك لستَ بـ" حـاجة إلى أي كـنيسـة، أو قسّيس.. وما تريده مـن اللّه تناله "من غير سماسرة أديان يقـفون حاجزاً بينك وبين اللّه، ومن غير بخـور وتمتمات بلغة قد لا تفـهمها.. واللّه يستـجيب صلاتك "من غير موسيقى ولا تراتيل ولا صـخب أجراس" (٤٢٠).

* أمّا عن صلاة " **أبانا الذي في السموات** " (متّى ٦/ ٩-١٥)، فيقول السيّد زكي: "ظاهرُها مستَبْشَع في العَرْف، مـحالٌ في العقل: أمّا استبشاعُه في العرف فإنّه يقبحُ بالعبد أن يخاطبَ سيّدَه بلفظ الأبوّة.. أمّا محالتُه في العقل فإنّ

ظاهرَ قولكم "في السماء" يُفهم منه أنّ السمـاء محيطة به. فإن جاز ذلك جاز أن يكون اللّهُ جسـماً. وهو مـحال.. ونحن لا نسلّم أنّ هذا ممّا علّمـه المسيح.. بل هو اختراعُ مَن لا يُحسِنُ ما يقول وليس له إلى المعارف أصول" (٤٢١).

"ثمّ إنّه ليس من المعقول أن يعلّمهم المسيحُ الصـلاةَ، ولا يأمرهم بالاغتسال قبل الصـلاة، لأنّ الصلاة مـعناها الوقوف بين يدي اللّه. وليس من المعـقول أن يقف المرء بين يدي اللّه وهو غير مغتسل وطاهر" (٤٢١-٤٢٢).

* وعلى صلاة "**ليأتِ ملكوتُكَ**"، يعلّق السـيّد زكي: ".. لقد مـضى على المسيحيّين عشرون قرناً وهم ينادون بهذا الملكوت.. وكنائسهم تأبى أن تصارحهم بالحقيقة بأنّ هذا الملكوت، الذي لا زالوا يطلبونه في صلاتهم، قد أتى قبل ١٤١٥ سنة على يد محمّد نبيٍّ الإسلام" (٤٢٢).

* وعلى "**إغفر لنا ذنوبَنا**"، يقول السـيّد زكي: "هذا دليل واضحٌ بأنّ صلبَ عيسى الذي زعموه ليس فيـه أيُّ غفران للخطايا.. كما أنّه دليل واضحٌ بأنّ الذي يغفر الذنوب في هذه الحياة الدنيـا والآخرة هو اللّه وليس عيسى.. كما أنّ الاعتـراف للقسّـيسِ بالذنوب لا يعني، ولا بحال، أيّ غـفران لهـا، لأنّ هذه بدعة أدخلتْها الكنيسة.. لتتجسّسَ عليهم، وتعرف ماذا يعملوا (كذا) في خلواتهم..

"ثم لو كانَ زعمُهم حقّاً في أنّ الصلْبَ المزعومَ للمسيح فيه غفران خطاياهم، فلمـاذا يستمـرّون حتّى اليـوم بقولهم في صـلاتهم: "واغفـر لنا ذنوبَنا"!؟ ألا يتناقض هذا مع ذاك؟! (ص ٤٢٢-٤٢٣).

* وتعليقاً على "**السّلامُ عليكِ يا مريم..**"، يقول السيّد زكي: "إنّ الذين

فبركوا آلهـتَهم بأيديهم وراء أبواب مغلقة، وكلّ يومٍ أضافوا لهـا إلهاً جديداً، ليس غريباً عليهم أن يفـبركوا صلاةً يُضيفونها إلى صـلاتهـم.. إنّه حقّاً لأمر يدعو إلى الشفقة والرّثاء.. يـصلّون لمريم العذراء!! أمِّ الإله!! وأيّ إله!! ألم نقل إنّ الشيطان لم يمت، وإنّ التخريب في هذا الدين مستمر!" (٤٢٤).

رابعاً- الصيام

* على ما علّم المسيحُ في متّى (٦/١٦-١٨): " **ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين**، فإنّهم يُغيّرون وجـوهَهم، لكي يظهروا للناس صـائمين... أمّا أنتَ فمـتى صمتَ فـادهن رأسَك، واغسل وجـهَك، لكي لا تظهر للناس صــائماً"، يعلّق السيّد زكي:

"إنّ الصيام معناه الإمساك لفتـرة معيّنة عن جميع أنواع الطعام والشراب والجماع والتدخين وشرب القهوة والشاي وأي شيء آخر يدخل الفمَ أو الفرْجَ.. وكذلك الامـتناع باللسان عن الفاحش من القـول والغيبـة والنميمة، التـوجّه في الصيام بنيّة صافية إلى اللّه تعالى" (٤٢٤).

إلاّ أنّ الشاؤوليّين ابتدعـوا صياماً يقوم "فـقط على الامتناع عن تناول كلّ ذي روح.. لأنّهم يأكلون مـا عـدا ذلك من خـضار وفـواكـه، ويشربـون القهـوة والشاي، ويجامعون نساءهم، ويتناولـون الخمر، ويدخّنون.. إنّ مثلَ هذا الصيام لا يُعدُّ صـياماً، بل يُعـدُّ حِميـةً «رِجِيْمْ».. وهل كان المـسيحُ يصوم، أم كـان يعمل ريجــيـمـاً!!؟.. فلـمـاذا لا تسـألـوا قـساوسَـتَكم أين ورد هذا الرجــيم في

أناجيلكم!؟.." (٤٢٥).

".. والسؤال الذي يطرح نفسه مرّةً أخرى لجميع الشاؤوليّين الكنسيّين: إذا كان المسيحُ قد فداهم وخلّصهم بصلبه من جميع الخطايا، كما زعم لهم شاؤول، وكما تزعم لهم كنائسُهم وقساوستُهم، فلماذا الصيام، طالما أنّ المسيحَ قدّمَ نفسَه قرباناً عنهم!!؟؟.." (٤٢٦).

* وتعليقاً على سؤال تلاميذ يوحنّا المعمدان لمعلّمهم: "**لماذا نصوم.. وتلاميذ المسيح لا يصومون**" (متّى ٩/ ١٤-٧)، يقول السيّد زكي: "كلّ ما جاء في هذه النّصوص.. هراء. ولا يمكن أن يكون المسيحُ تلفّظ بها.. لقد كان المسيح يصوم ويصلّي ويأكل الفصح.. فهل نسي الكاتبُ المزعوم أنّه أخبرنا أنّ المسيحَ صام أربعين يوماً في البرّيّة!!!" (٤٥٩).

خامساً- اللّه والمال

* تعليقاً على قول المسيح في متّى (٦/ ٢٤-٣٤): "**لا يقدر أحدٌ أن يخدمَ سيّدَين.. لا تقدرون أن تخدموا اللّهَ والمال**"، يقول السيّد زكي:

"هذا قولٌ غيرُ سديدٍ. ويُستبعد صدورُه عن المسيح، لأنّ المرء يستطيع أن يخدمَ سيّدين، بل أكثر في وقت واحد.. ثمّ يبدو أنّ كلمة المال هنا مدسوسة من الكنيسة التي كان همُّها وقتئذ منصبٌ (كذا) على جَمْعِ المال، لتجعلَ الناسَ يزهدون فيه، ويقدّمونه لها، حتّى يتمتّع به البابوات، ويُنفقونَه على ملذّاتهم

وعشيـقاتهم، الأمر الذي انتـهى بهم إلى ابتداع صكوك الغفران، ليـسلبوا الناسَ أموالَهم.. والصواب هو «إنّك لا تستطيعُ أن تخدم اللّهَ وتخدمَ الشيطانَ في نفس الوقت» " (٤٢٦-٤٢٧).

سادساً- يوم الدَّين

مَن الذي يدين مَن؟ هل الابنُ سيدين العـالم، كما جاء في يوحنّا (٥/١١)؟ أم أنّه لا يدين الابنُ أحداً لانّه بشرٌ كـسائر البشر، لا يعرفُ مـتى يوم الدين، كما جاء في متّى (٢٤/٣٦)؟.. وفي هذه الحال كيف يدين؟! ولِمَن الدينونة إذاً؟!.. لقد عبّر السيّد زكي عن تساؤلاته هذه فقال:

" دسّتِ (الكنيسةُ) في إنجيل يوحنّا على لســان المسيح قولَها: "لأنّ الأبَ لا يدينُ أحـداً، بل أعطى كلَّ الدينونة للابن" (٥/٢٢)، رغم تكذيـب المسيح لهـا في إنجيل مـتّى، إذ يقول عن يوم الدينونة: "وأمـا ذلك اليوم وتلك الساعـة، فلا يعلم بها أحدٌ، ولا ملائكةُ السموات، إلاّ إلهي وحدَه" (٢٤/٣٦).

" فهل بعد هذا تكذيب! هل سمع أحدٌ بديّانٍ لا يعرفُ متى يوم الدينونة!؟

" من حقّنا أن نتساءل، عندما خلعتِ (الكنيسةُ) على المسيح صفةَ الدّيّان في إنجيل يوحنّا، ألمْ تكن قد قـرأتْ ما جاء بخصـوصـها في إنجـيل متّى؟.. من المؤكّد أنّها لم تقـرأها. لأنّها، لو قـرأتْها، لشطبَـتْها. إنّهم (أي القـساوسـة) يدسّون في أناجيلهم ما يشاؤون، ووقتَ ما يشاؤون بدون أن يكونوا قـد قرأوا ما جاء فيها" (١٠٥).

ثمّ هل الرسلُ الأثناعشر سيدينون أيضـا؟ كيف؟ هل يهوذا الخائن سيكون

بينهم؟ ألم يخن؟ أم أن الخيانة خدعة؟ أم أنّ المسـيح لم يعرف التمييز بين الـ١٢ والـ١١؟ أم أنّ شيئاً ما لا يُفهم؟.. على هذه التساؤلات يجيب السيد زكي:

"ينسب متّى المزعوم إلى المسيح قـوله: «متى جلسَ ابن الإنسان على كرسي مجـده، تجلسون أنتم على اثنَي عـشر كرسّيـاً، تدينون أسبـاط إسرائيل الأثنَي عشر" (متّى ١٩/ ٢٨).

"إلاّ أنّ متّى المزيّف نفسَه اتّهمَ يهوذا بالخيانة، وشنَقَه على صفحات إنجيله (٢٧/ ٥). وبذلك أصبح التلاميذُ أحدَ عشـر وليس اثنَي عشر. فهل سيدين يهوذا الخائن البـشر؟! أم أنّ المسيحَ لم يعرفْ خـيانةَ يهوذا، وبالتـالي ليس إلهاً؟ أم أنّ متّى كاذبٌ؟ أم أنّ يهوذا لم يخن المسيح، وبالتالي لم يُشنَق؟؟!!" (١٧١).

"والإدانة هذه التي نسـبوها للمسـيح من قمم التناقـضات التي وردتْ في الأناجيل، إذ تقرأ ساعةً أنّ المسيحَ يدين، وساعةً أخرى لا يدين.

فقد جاء في إنجيل يوحنّا من النصوص المثبتة ما يلي:

١. "إنّ الأب لا يدين أحداً، بل قد أعطى الدينونة للابن" (٥/ ٢٢)؛

٢. "وأعطاه سلطاناً أن يدين، لأنّه ابن الإنسان" (٥/ ٢٨).

ومن النّصوص المناقضة ما يلي:

١. "لأنّه لم يرسلِ اللّهُ ابنَه ليدين العالم بل ليخلّص العالم" (٣/ ١٧)؛

٢. "وإنْ سمع أحدٌ كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأنّي لم آتِ لأدين العالم" (١٢/ ٤٧).

"فـهل المسـيح يدين أم لا يدين!! وهذا كلّه هراء، مـن دسّ القسـاوسـة.." (٦٤٣-٦٤٤).

وبالجملـة، "إنّ نصوصَ الأناجيل في مـسألة الدينونة هذه غـيرُ صـالحة،

بحسب تعارضها الظاهر، لأنْ تكون عقيدةً لمعتقَد. مع أن هذه المسألة من أرسخ وأبرز ركائز الإيمان.. لأنّ المؤمن الذي لا يعرفُ أمام مَن سيقف، ولمن سيقدّم كشفَ حسابه، وممّن يطلب الجزاء.. " قد يضيعُ هو وإيمانه، ويوم قضائه (٦٤٤).

" والأكثر سخريّة أن تتطاول الكنيسةُ على الأناجيل التي كتبتْها هي، واعتمدتْها هي، كأناجيل قانونيّة، وتزعم أنّ المسيح هو ديّان العالم يوم الدينونة، في الوقت الذي يكذّبها المسيح ويقول: " وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا ملائكة السماء إلاّ إلهي وحدَه" . فهل عقل أحد هذه الخبصة؟ وهل سمع أحد بديّان لا يعرف متى يوم الدينونة؟ بينما أصغر قاضي صلح في محاكمنا الوضعيّة يعرف تماماً يومَ الجلسة التي سينظر فيها القضيّة، لأنّه ببساطة هو الذي يحدّد ذلك اليوم وتلك الساعة" (٦٤٥، أنظر أيضاً ٧٢٧-٧٢٨).

* تعليقاً على قول المسيح في متّى (٢٥/ ٣١-٤٦) عن يوم الدين، عندما يحضر أمامه الأبرار والأشرار ويشرع في محاكمتهم..، يقول السيّد زكي:

" .. إنّ مَن دسَّ هذه النّصوص في الأناجيل ليس إلاّ شاؤوليّا كنسيّاً، يحاول أن يصوّرَ لنا أنّ ربَّ الكون قد هرم وشاخ وأحيل إلى التقاعد، وأنّه أناط بعيسى بن مريم –الذي سمّاه لنا زوراً بابن الإنسان وتجتمع أمامه جميع الشعوب– مسألة الفصل بين الناس والحكم لهم أو عليهم.. لقد فضح هذا الزّعمَ نفسُه بنفسِه في ثلاث كلمات، وردت في هذا النّص:

" أوّلها: لفظة «**الملك**»..إذ ليس من مُلك يوم القيامة إلاّ للّه الخالق الواحد القهّار، بينما جميع ملوك الأرض يموتون وتزول عروشهم ويموت معهم جميع الخلق من إنْس وجنٍّ وملائكةٍ وحيواناتٍ ووحوشٍ وكلّ ذي روح..

ثانيهـا: لفظة «**أبي**».. إنّ الأبَ موجـود، يومَ الدين العظيم، فكيف يكل الأبُ هذا الأمرَ الخطيـرَ الذي هو ثمار عمل البشـريّة، والذي بموجبه يتقـرّر دخولُهم الجنّةَ والنعيمَ المقيم، أو الجحيمَ والنار الأبديّة إلى الابن!!

ثالثها: لفظة «**إخوتي**».. ممّا يؤكّد أنّه (أي عـيسى) ليس إلاّ إنسـاناً مثلنا حتّى في الآخرة، لأنّه، لو كان ربّاً وإلهاً ديّاناً، كـما زعموا، لقال: "الحقَّ أقول لكم بما أنّكم فـعلتموه بأحـد «عبـادي»، لأنّه لا يجوز للإله أن يعـبّر عن البشـر بأنّهم إخوته، إذ هو منفردٌ في جنسه.." (٧٣٤-٧٣٥).

" ومما يؤكّد كذبَ نسبة هذه النّصوص إلى عيسى بن مريم هو عدم معرفته بيوم الدينونة.. فهل لمـن لا يعرف متى يكون يومُ الدينونة ولا ساعتـه يعرف ماذا سيجري فيه والأقوال التي سيقولها أو الأعمال التي سيعملها في ذلك اليوم!؟.." (٧٣٥-٧٣٦).

***

نقول:

أوّلا- للكنيسـة الحقّ في أنّ تشرّع، وتعلّم، وتفسّـر، وتغيّرشـريعةً مكان شريعة.. لأنّهـا، بخلاف الإسلام تماماً، أنشأها المسـيحُ لكي تواكبَ الإنسانَ في مراحل تطوّره ورقـيّه؛ ولأنّها أيضاً، وبخـلاف الإسلام أيضاً، ملتزمةٌ بـقضايا الإنسان كلّها. فـهي التي تكمّل مسيرة البشـارة والخلاص. وهي المكان الصالح حيث يجد الإنسانُ وسائلَ ناجعة لتقويةِ إيمانه وخلاص نفسه..

ثانياً- نظراً إلى حقّ الكنيـسة في التشريـع، تستطيع الكنيسـة أيضاً أن تسنّ قـوانينَ لهذه البـلاد، وقوانينَ أخـرى لبلدان أخـرى.. وذلك، لأنّ الكنيسـة

أنشـأها المسـيحُ لكي تلازم الإنسـانَ حيث هو، في تطـوّره ووعيـه، في بيـئتـه ومجـتمعه، في تخلّـفه ورقيّه.. فـتكون مع هذا، وفي هذا الوقت، وفي هذا المكان على غير مـا تكون مع ذاك، وفي وقت آخر، ومكان آخر. فالتجـسّد لم يكن حدثاً فريداً، ولمرّة واحدة في التاريخ؛ بل هو عملٌ مـستمرٌ ودائم ولكلّ إنسان وفي كلّ مكان. وهذه هي حقيقة الكنيسة التّي "تؤوّن" actualise الخلاص.

ثالثاً– وما يجـد السيّـد زكي من شواذ في سلوك المسـيحيّـين، إنّما هو نتيـجة أمرين: الأوّل:إحتـرام الكنيسة لحريّة الإنسـان، فلا تردعه إلاّ بالتوجـيه والتعليم.. والثاني: عدم مـساعدة الأقوياء للضعفاء بمَثَلهم الصالح وبـتوجيههم التوجيـه الصحيح. والسيّد زكي، الذي يعتـبر نفسَه من الأقوياء، يتـحمّل قسطاً كبيراً من المسؤوليّة.

فاسـتناداً إلى هذه المبادئ الأسـاسيّـة، تتصـرّفُ الكنيسة، فـي مثل هذه الموضوعات التي ذكرها السيّد زكي، بما يلي:

أوّلاً– بالنسبة إلى الزّواج والطلاق والعيلة وما يتعلّق بها، نقول: ليس، في نظر المسيحيّـة، من احترام يفوق احترام تلك المحـبّة الحاصلة بين الرجل والمرأة في عقد الزواج. إنّها محبّة تكامل، محبّة عمـيقة، حميمة، يفيض عنها، حكماً، كائنٌ آخر، هو ثمـرة تلك المحبّـة المسؤولة أمام الحـياة والوجود والمجـتمع البـشري برمّته. هذا الكائنُ الآخر يوجب على الوالدين محبّةً واحـتراماً واهتماماً، بكونهما يمثّلان البشريّةَ جمعاء تجاهه... لهذا، لا تسلّمُ الكنيسةُ، بأيٍّ حالٍ، أن تنهار هذه المسؤوليّـة العظمى بين البشر. من هنا، تقول: لا طلاق. وعلى المجـتمع، والدول، والقـوانين، والشهـودُ في حفل الزواج.. أن يـضمنوا هذا الزّواج، وأن يعـتبـروا الزّوجين يمثّـلانهم جمـيعـاً أمام الله والوجـود والحيـاة... ولهذا أيضـاً، ترفع

الكنيسةُ هذا العقد الاجتماعي بين الرجل والمرأة إلى مستوى عقدٍ إلهيّ، أي إلى مستوى سرٍّ خلاصيّ، علاقة مقدّسة، حالة مكرّسة، في عيلة إلهيّة.. وما سوى ذلك امتهانٌ لكرامة الإنسان.. وما في الإسلام من طلاق، لا تبرّرُه الكنيسةُ مهما كان السبب. وما في الدول من زواج مدنيّ لا تقبلُ به الكنيسة إلاّ إذا استكملَ التزامَه عقداً إلهيّاً..

ثانياً– أمّا ما جاء عند السيّد زكي من اعتراضٍ على موضوع "محبّة الأعداء"، فهو ما نأسفُ له حقّاً.. ففي قوله بأنّ ذلك "يدلّ على ذلٍّ وغبنٍ وخنوعٍ وجهلٍ وتمرّدٍ ومغالطةٍ ومصادمةٍ.." دليلٌ على أنّ البشريّة لا تزالُ تحت شريعة الغاب، المعبر عنها في التوراة والقرآن بـ"النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسنّ بالسنّ.." (٥/ ٤٥).. نأسفُ للسيّد زكي الذي فهم بشريعة محبّة الأعداء ضعفاً وخنوعاً، فيما هي احترامٌ للإنسان ومحبّةٌ خلاصيّة. ولنذكّر السيّد زكي بأعظم من هذا، وذلك عندما يقول المسيح: "إنْ كان لكَ على أخيكَ ملامة، وكنتَ تقدّمُ قربانَك، فاتركْ قربانَك، واذهب وصالح أخاك".. هذا يعني، بصريح العبارة، –ونرجو ألاّ نُتّهم بالكفر– أترك اللّهَ، والهيكلَ، والجامعَ، والقربانَ، والتقدمةَ، ومحبّةَ اللّهِ نفسه.. واذهب إلى أخيك. فهناك هو اللّهُ، في أخيكَ، وليس في القرابين والتقادم..

ثالثاً– وأمّا الصلاة التي يريدها السيّد زكي فهي، على ما يبدو، واجبٌ يقوم به. فُرضَ عليه من قبل شريعة سماويّة.. أكثر ممّا هي شعورٌ عميقٌ وحاجةٌ شخصيّةٌ ملحّةٌ في تسبيح اللّه وشكره. وأكثر ممّا هي طلبٌ من اللّه ليرحم، ويغفر، ويعتني بالإنسان الذي يرجو كلّ نعمةٍ وتوبة.. وما يرافق الصلاةَ من أنغام وموسيقى وأجراس.. ما هو إلاّ تعبير بشريّ جماعيّ مشترك بين الناس

لتمجيد اللّه وشكره.. وهو ما يساعدُ الإنسانَ الضعيفَ في ابتهاله.

رابعاً- والصيام.. لا يجب أن يكون من أجل "الرجِيْمْ"، ولا يجب أيضاً أن يكونَ محطِّماً لنشاط الإنسان، ومانعاً له عن إداء واجبه، وإتقان عمله.. فلا الإنسان، في الحالة الأولى، يهزأ من نفسه ومن اللّه؛ ولا اللّهُ، في الحالة الثانية، هو صارمٌ وظالمٌ إلى هذه الدرجة.. وما الصيام، في حقيقته، إلاّ عملُ تضحية وإماتة، يُعدّ المؤمنَ لأن يشاركَ البشريّةَ المتألّمَة في آلامها، ويشاركَ المسيح المتألّم أبداً من أجل البشريّة كلّها.

خامساً- والمال... لو عرف السيّد زكي أنّ السعي الدؤوب وراء جمع المال وتكديسه، على حساب اللّه والإنسان والاهتمام بما من أجله كان المال، لقال: للّه درّك أيّها المسيح! كم أصبتَ بهذا الكلام قلوبَ الكثيرين من البشر!! ولو عرف أيضاً أنّ المالَ، إذا ما كان للخدمة وعمل البرّ والخير، يكون مبتغى ما يحقّقه الإنسان من الحسنات التي بها ينالُ أجراً عظيماً عند ربّه. وشأنُ رغبة المال كشأن كلِّ رغبةٍ في الإنسان إنْ لم تُضبَط وتُوَجَّه نحو غاية حميدة. فلا لوم على المال، إذاً؛ بل اللّوم، كلّ اللّوم على الإنسان الذي لا يستطيعُ توجيه أمياله نحو غاية حميدة.

سادساً- أمّا في ما يتعلّق بدينونة العالم لمن تكون! أهي للأب؟ أم للابن؟ أم للملائكة؟ أم للرسل الأثني عشر؟ أو الأحد عشر؟.. فهذه تطرحُ مشكلات مستعصية للسيّد زكي. وقد رأى فيها تناقضاً لا يليق بالكتب المقدّسة.. وماذا يقول السيّد زكي إنْ قلنا له بأنّ هذه المستعصيات لا تطرحُ للمسيحيّ المؤمن أيّة مشكلة؛ لأنّها، وبكلّ بساطة، ليست في متناول عقله أو عقل أيِّ إنسان، نبيّاً كان

أم وليّاً. موضوع كهذا لا يفيد إيمانَ مؤمـن ولا يزيدُه، كما لا يفيد كفرَ كافرٍ ولا يزيدُه. والسـيّد زكي المؤمن، كأيٍّ مـسيـحيٍّ غير مـؤمن، لا تفيـدُه معـرفةُ يوم الدّينونة، ولا مَن سيدين، ولا كيف يدين.. ومَن يدري إذا الدينونة العامّة ستكون على مـا يتصوّر البـشر!! ثمّ هل من شـأن الأنبيـاء أن يعرفـوا شيئـاً عن هذا الموضوع؟!..

وإذا كان السـيّد زكي يلحّ على مـعرفة المسـيح ليوم الدينونة، فـالأمرُ، في الأنجيل، واضـح. وهـو "أنّ الآبَ كشفَ للابن عن كلٍّ مـا تجب معرفـتُه للقـيام برسالته الخـلاصيّة" (تفسـير أونجليون على متّى ٢٤/٣٦). فـالمسيح جاء، لا ليكشفَ أسرارَ اللّه التي لا تفيدُ خلاصَ الإنسان، ولا يسعه استيعاب شيئاً منها؛ بل جاء ليقدّمَ للإنسـان سرّاً واحداً من أسرار اللّه، هو سرّ خلاصـه.

وما في الإنجيل من وضـوح في عـلاقة الابن بالآب تؤكّده روايات الإنجيل الأربع. ففـي (متّى ١١/٢٧، و٢١/٣٧، و٢٤/٣٦) ما "يعـبّر عن صلـة يسوع البنويّـة الفـريدة بـأبيـه" (أنظـر أيضـاً مـر ١٤/٣٦؛ لو ٢/٢٩؛ ٢٤/٤٦؛ يو ٢٠/١٧). وهو ما يتّفق فـيه متّى ويوحنّا -اللّذين يطعن بهمـا السيّد زكي- في ثلاث: في أنّ الآبَ آتى يسـوع كلَّ شيء (يو ٣/٣٥؛ ١٣/٣)، وفي اسـتـعمـال "الابن" في المطلق ليسوع (يو ٥/١٩-٢٦؛ مر ١٣/٣٢)، وفي المعـرفة المتبادلة بين الآب والابن (يو ١٠/١٤-١٥؛ ١٧/٢٥). هذا التشـابه بين الإزائيّين ويوحنّا دليلٌ على طابعـه الأصيل، وشهادة عـلى إيمان الجماعـة الأولى بألوهة يسوع" (تفسير أونجليون على متّى ١١/٢٧)...

الفصل السادس عشر

علامات بطلان المسيحيّة

"أين هو دين المسيح!؟ ألجواب: للأسف. لا يوجد شيء إسمه دين المسيح. إنّما يوجد شذرات قليلة منه، لأنهم أخفوا إنجيلَه الحقيقي، وغيّبوه وراء الشمس، وأحرقوا أكثر من (٧٠) إنجيلاً تتحدّث عنه، وأظهروا هذا الدين بدلاً منه. أمّا كاملُ دينِ المسيح فقد اختفى ليتمكّن اليهود من إبعاد أتباعه عن الحياة الأبديّة" (ص ٧٦).

هذه هي وجهة نظر السيّد أحمد زكي خلال كتابه كلّه. ويردّدها في صفحاته كلّها. ونختصرها بما يلي: دين المسيح الحقيقي أخفي. الإنجيل الحقيقي أخفي أيضاً. وما هو بين أيدينا اليوم إنجيل مزيّف، محرّف، اعتمدته الكنيسة، إرضاءً لليهود الذين أرادوا أن يُبعدوا الأممَ عن المسيحيّة الحقّة، وعن التوحيد الخالص، لتبقى الجنّةُ لهم خالصةً دون غيرهم.. كلّ هذا من ثمار شاؤول اليهودي الفرّيسي ومن ثمار المجمّعات الكنسيّة.

* فما هي، يا تُرى، ثمار شاؤول والمجمّعات الكنسيّة؟ يقول السيّد زكي:

"ثمارهم في العقيدة: أوّلها الشرك باللّه، ونسبة الموت، ومرض انفصام الشخصيّة له، ثم شرب الخمر، وأكل الخنزير، وعدم الختان، وعدم الطهارة...

" وثمارهم في الحياة: فيكفي أن تقلّبَ صفحات أيٍّ جريدة يوميّة لترى الجرائم والفضائح التي تهزّ البلادَ التي تتبع دينَ شاؤول والكنيسة، من جرائم القتل، والمخدّرات، والسرقة، والزنا، والاغتصاب، والاجهاض، وكثرة الأطفال اللقطاء، وبيعهم، أو بيع أجزاء كقطع غيار.. إلخ.

" .. إضافةً إلى الشذوذ الجنسي، من لواط، وسحاق، بل وزواج الرّجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، زواجاً رسميّاً، بموافقة برلَمَاناتها وحكوماتها، بموجب قوانين وتشريعات أصدرتْها لهم، ممّا ساهم في انتشار الجريمة، ومرض الأيدز والمخدّرات.

" .. كلّ هذا، وسط صمت الكنيسة المطبق على ذلك، إنْ لم يكن بتشجيع منها. وكلّ مَن شاهدوا برامج «دوناهيو».. (ص ٢٢٥) لا بدّ أنّهم شاهدوا منظرَ القسّيس، وهو يعقد قرانَ رجلٍ على رجل. وهناك الآباء الذين يعاشرون بناتهم معاشرة الزوجيّة.

" ويسمّون كلّ ذلك حريّة وديمقراطيّة. ومَن لا يسايرهم يسمّى رجعيّاً ومتخلّفاً. وما المانع، طالما الكنيسة أوهمتْهم بأنّ المسيح سيغفر لهم كلّ ذلك فقط إنْ هم آمنوا بصلبه ودمِه المُراق على الصليب.

" هذه هي ثمار شاؤول والمجمّعات الكنسيّة " (ص ٢٣٧).

* ويتوسّع السيّد زكي بالمعنى نفسه، في صفحات تالية، فيقول:

" واليوم، عندما أصبحت الكنائس شبهَ فارغة من روّادِها ، ويباعُ بعضُها بالمزاد العلني.. وأصبحتْ شعوبُ القارّتَين (الأوروبّية والأمريكيّة) ملحدةً، بفضل الشاؤوليّة الكنسيّة الوثنيّة (أي المسيحيّة المعاصرة) التي فيها سيغفرُ المسيحُ ذنوبَهم طالما هم مؤمنون بصلبه، أصبح الرّجالُ يتزوّجون الرجالَ رسميّاً.. وانتشر اللّواط، والسحاق؛ بل وأصبح للشواذ جمعيّات ونوادي ونقابات وحقوقٌ

في دولهم.

" فليس من العجب إذاً أن يُقيم الرّومان كاثوليك والميثوديون -إحدى الطوائف الشاؤوليّة الكنسيّة- أعراساً بين اللّواطيّين في بيوت ربّهم، حتّى قام ٨٠٠٠ لوطيّ بمسيرةٍ استعراضيّة في حديقة هايد بارك في لندن سنة ١٩٧٩م، مصاحِبين، بتشجيعٍ وهتافاتِ وسائلِ الإعلام.

" وكذلك، ليس من العجب أن تُصوِّتَ بعضُ بَرْلمانات الدّول الكبري، التي تزعم أنّها مسيحيّة، في صالح اللّواط والزنا والسحاق... وكلّ ما هو شذوذ جنسي، وسط صمتِ الكنيسة المطبق، إنْ لم يكن بتشجيع قساوستها، الأمرُ الذي بسببه أصبحوا الآن يشكون في الغرب من وطأة مرض الأيدز المنتشر فيهم...

" إنّ الحياة الحرّة، بلا قيود، التي يعيشها اليومَ الكثيرون من الجنسَين من الشاؤوليّين الكنسيّين الذين يزعمون أنّهم مسيحيّون في أوروبا وأمريكا ونواحي أخرى من العالم قد فاق خرافات ومغامرات آلهةِ اليونانيّين والوثنيّين.. " (٢٨٣).

* ويحلو للسيّد زكي أن يشير دائماً إلى أنّ الكنيسة تخبّئ الإنجيل الحقيقي في سراديب الفاتيكان. ويدعو الناس إلى التنبّه من شرّ القساوسة:

" الكلّ عنده أناجيل اليوم، ويستطيع أن يقرأها ليميّز فيها دينَ عيسى من دين شاؤول من دين الكنيسة.. فإنّ الأمرَ ليس كما كان في السابق، حيث يجتمع القساوسة، فيأكلون لحمَ الخنزير، ويحتسون الخمرَ المعتّق، أياماً ولياليَ، يفبركون الدينَ لطوائفهم، خلفَ أبواب مغلقة وأسوارٍ عالية، ثمّ يطلّون برؤوسهم على الناس بإله جديد يفرضونه عليهم بالقوّة..

" لذا، قلنا ونقول: لا بدّ من العودة إلى دين المسيح الحقيقي الذي يُعتقد أنّه لا زال مخبّأً ومحفوظاً في سراديب الكنيسة.. وليس عيباً أن ترجعَ الكنيسة عن مقولاتها في الثالوث، والإله المولود، والإله المصلوب، والإله المدفون" (٢٨٦).

* ويكمّل السيّد زكي وصفه في مكان آخر، فيقول:

" .. هذا الهذيان! ليس سوى الشاؤوليّة التي أضافتْ لها الكنائس مزاعمَها وطقوسَها، ومزجتْها بالوثنيّة أكثر فأكثر فيما بعد، فأدخلتْ فيها التماثيل، والأصنامَ، والخمرَ، والخنزيرَ، والفطيرَ، والصيامَ الرَّجيْمْ، والصلاة على أنغام أدوات الطَّرَب، البيانو، والأورغ، في بيوتٍ لا يُذكَرُ فيها اسمُ اللّه، إنّما يُذكَرُ فيها إلهُ الكنيسة المثلّث، بعد قرع الأجراس الضخمة، التي لم يسمعِ المسيحُ صوتَها يوماً من الأيّام" (٣٩٥).

* ويردّد السيّد زكي ويستفيض في وصف ما هم عليه الشاؤوليّون اليوم من فساد وإفساد:

" أكثر من بليون شاؤولي، اليومَ، يتوهّمون أنّهم مسيحيّون أتباع المسيح! قسمٌ كبيرٌ منهم يسكرون. ويقتلون. ويقامرون. ويزنون. ويتعاطون المخدّرات في كلّ مكان. وفي كلّ صحيفةٍ يوميّة، تطالعك أخبارُ القتْلِ، والاغتصابِ، والسطوِ المسلّحِ، وتهريبِ المخدّراتِ، وزواج الرّجلِ بالرّجل، والأنثى بالأنثى، ممّا نشَرَ مرَضَ الإيدز.. وذلك غيضٌ من فيضٍ ممّا يجري في البلاد الشاؤوليّة، لأنّها ليست إلاّ ثمار شاؤول.

" وحسب آخر إحصيائيّة نشرتْها الصحفُ عن أمريكا وحدَها أنّ هناك أكثر من ١٥ مليون سكّير، و٥٠ مليون مدمني خمر، و٣٦ مليون يتعاطَون المخدّرات، و٥٤ مليار دولار سنويّاً تذهب إلى القمار، و٢٨ جريمة قتل في اليوم، وطفل واحد يُقتل بالرصاص كلّ ساعتَين. وماذا عليهم في ذلك طالما أنّ الكنيسة أوهمتْهم بأنّ المسيحَ الأسطورة، مسيحَ الكنيسة، سيغفر لهم كلّ خطاياهم إنْ هم فقط آمنوا بصلبه ودمه!!

" لقد أصبحتِ الإباحيّةُ في كلّ شيء هي الحرّيّة والديمقراطيّة. فهذا الزنا

بلا حساب. وأصبحتِ الولادةُ والإجهاضُ من قِبَلِ الأمّهات العازبات حقّاً من الحقوق تحميه الدولة. فتفسّختِ العائلات، وكثُرَ الأطفالُ المشرّدون، فنشأوا في مستنقع الجريمة في المجتمع الغربي الذي أصبحت فيه البطولة لكلّ مَن يكون «رامبو».. "

" هذا غيض من فيض من ثمار شاؤول والمجمّعات الكنسيّة " (٤٣٣-٤٣٤).

* هذا الدين الشاؤولي قد فبركتْه الكنيسة، وتستمرّ. وكلّ ذلك من أجل تبرير مسلك المسؤولين فيها. قال السيّد زكي:

" وممّا يزيد الناقدَ شكّاً في هذا الدين، الذي فبركوه بأيديهم، هو أنّ هناك تناقضاً يُضحكُ الثكالى؛ لا بل يُثيرُ الشفقة والإشفاقَ على كلٍّ معتنقيه؛ يُضافُ إلى تلالِ التناقضات السابقة. ففي الوقت الذي عقولُهم تأنفُ أن يكونَ للبابا زوجة وولداً (كذا)، نراهم، بعقولهم تلك، لا يأنفون أن يكون للّه ربِّهم وخالقِهم ورازقِهم زوجة وولداً (كذا) في الوقت الذي هو محال لانتفاء مجانستِه. أفليسَ غريباً أن ينسبوا إلى اللّه ما يأنفون أن ينسبوه لبابواتهم!؟ وهل بابواتُهم أسمى من اللّه! حاشا!

" .. وفي الوقت الذي يطيعون البابا وحدَه، رفضتْ عقولُهم إطاعةَ اللّه وحدَه.. فتركوا خلاصَ اللّهِ الحقيقي.. ورضوا بخلاص بابواتهم الذين استغفلوهم، وسلبوا أموالَهم، وباعوهم صكوكَ الغفران والخلاص...

" .. فليتأمّلِ العاقلُ الذي يبحث عن الحقيقة، كيف لعب الشيطانُ بعقول هؤلاء القوم، فصدّقوا كلَّ ما قالته لهم كنائسُهم، وتركوا ما قاله اللّهُ ونبيُّه لهم" (٥١٦-٥١٧).

* وفي رأي السيّد زكي، إنّ انتشار الجريمة والإلحاد سببُه المباشر تعاليم هذه الكنيسة وهذه المسيحيّة الشاؤوليّة. قال:

".. إنّ مَن يتـأمّل سـببَ انتـشار الإلحـاد والجـريمة في أوروبّا وأمـريكا والعـالم يجد سـببَه هـذا الدين المزعوم، لما اشـتـمل عليـه من بدع وخرافـات وتناقضـات ومستحيلات، جعلتِ الغربَ يديرُ ظهرَه له، ويميل إلى الإلحاد، معتبراً إيّاه مجرّدَ أساطير موروثة" (ص ٥٣٥).

* وتعليقاً على قول المسـيح: "لم أرسَلْ إلاّ لخراف بيت إسرائيل الضالّة" (متّى ١٥/ ٢٤)، يقول السيّد زكي:

هذه الجـملة "تُثـبتُ لنا أشـياءَ كـثـيـرة، منها: بـطلان نصرانيّـة اليـوم (الشاؤوليّة الكنسيّة) بـرمّتها، وبالتالي فساد جميع العـقائد التي بُنيتْ عليها من تثليث الإله، وصلبه، وغفران الخطايا، ووخطيئة آدم، والاعترافِ للقسّيس، ودهن جسد الميت، والعـشاء الرّبّاني، والصلاة على أنغام الأورغ، والسجـود للتماثيل.. بل وجميع ما سمّوه بالأسرار الكنسيّـة، لأنّ شيئاً من ذلك غير مذكور في توراة خراف بيت إسرائيل الضالّة.." (٥٦٨).

* وعن ضعف الإيمان بالمسـيحِ والمسيحـيّة في العالم، يقول السـيّد زكي:

"ممّا جعلَ الكثيرين ينفـرون منها (أي الكنيسة) ومن قساوستهـا، ويتركون لها هذا الدين... ورغم الأموال الطائلة التي تنفقها الكنيـسةُ في عمليّات التنصير في أنحاء العالم، فإنّكَ لا تجدُ أحداً يؤمّ الكنائس الأوروبيّة والأمريكيّة اليوم، إلاّ كبار السنِّ من الجيل الـقديم. أمّا الشـبابُ فلاهونَ في الزنى، والـقتل، والاغتـصاب، والمخدّرات، والسطو على المحلاّت والبنوك، وذلك بعكس المساجد الإسلاميّة التي تنادي بإله واحد، إذ يؤمّها الجيلُ القديم والجديد، شباباً وفتياتٍ، بل وأطفال في

عمر الزهور على حدّ سواء" (٥٧٠).

* وعلى قول المسيح: "مَن غفرتم خطاياه تُغفر له، ومَن أمسكتُم خطاياه أمسكتْ" (يوحنا ٢٠/٢٣)، يعلّق السيّد زكي قائلاً:

"لمّا زعمتِ الكنيسةُ لنفسها هذا الحقّ (أي حقّ الحلّ والربط)، أخذت تبيعُ صكوكَ الغفران على الشعوب والأفراد. وصدّقتْ تلك الشعوبُ والأفرادُ الساذجةُ أنّ مَن يشتري تلك الصكوكَ تُغفر خطاياه، ويكون قد حجز لنفسه مقعداً في الجنّة. فتهافتوا على شرائها، وامتلأت خزائنُ البابوات بالأموال الطائلة التي كانوا يُنفقونها على عشيقاتهم في عبثِهم ومجونهم، مستغلّين سذاجة الناس... كلّ ذلك من أجل دريهمات معدودة ينفقونها على ملذّاتهم المحرّمة وخليلاتهم الفاسقات...

".. هؤلاء البابوات، أصحاب ما يسمّونه بالكرسي المقدّس، كانوا، إمّا وثنيّين، أو يهوداً مندسّين. لا يؤمنون، لا بالأب، ولا بالابن، ولا بروح القدس. ويعرفون أنّها آلهة وهميّة، يدجّلون بها على الشعوب المسكينة. كيف لا، وهم أصلاً الذين اخترعوها وروّجوها على النّصارى السذّج وقتَها، وفرضوها عليهم بالقوّة، ليبعدوهم عن اللّه الحقيقي. وهم في حقيقة أنفسهم يعرفون أنّه لا الأب إله، ولا الابن إله، ولا روح القدس إله. وإلاّ لما تجرّأوا على الكذب والدجل باسم الإله المثلّث في صكوكهم. ذلك الإله الذي فرضوه هم على الناس وجعلوهم يؤمنون بحدّ السيف!" (٥٨٨-٥٨٩).

* ويصف السيّد زكي القساوسة، ويطبّق عليهم ما قاله المسيح في الفرّيسيّين الذين: "يعرّضون عصائبَهم، ويعظّمون أهداب ثيابِهم، ويحبّون المتّكأ الأوّل في الولائم والمجالس الأولى في المجامع، والتّحيات في الأسواق، وأن

يدعوهم الناس سيّدي، سيّدي" (متّى ٢٣/ ٥-٧)؛ فيقول:

" وللأسف الشديد، مع أنّ المسيحَ نهى عن كلّ ذلك، إلاّ أنّنا نجدُ بعضَ قساوسة الطوائف الشاؤوليّة الكنسيّة قد اقتفتْ أثر الكهنة والفرّيسيّين اليهود حتّى اليوم، إذ جعلوا لأنفسهم إكليروس خاصّ، يرتدي لباساً معيّناً، مليء بالصلبان والمسابح التي تخرخش، وهم يسيرون في الشوارع للفتِ الانتباه لهم، ليحترمهم الناسُ، وليوسعوا لهم الطريقَ، ويحيّوهم، ويُجلسوهم في المجالس الأولى في الولائم، ويحبّون أن يناديهم الناسُ "أبونا، أبونا" (٧٠٢).

* ويستفيضُ السيّد زكي في تعليقه على قول المسيح: "أنظروا لا يضلّكم أحد. فإنّ كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح. ويضلّون كثيرين" (متّى ٢٤/ ٤-٥)، ويقول:

" هنا المسيحُ يحذّرُ تلاميذه حتّى لا يضلّهم أحدٌ من بعده. ولكن، واأسفاه! لم يلتفتوا إلى هذا التحذير الواضح الذي لا لبسَ فيه ولا غموض. إذ نراهم قد ضلّوا من بعده باتّباعهم شاؤول الفرّيسي الطرطوسي (والأصح الطرسوسي)، ألدّ أعداء المسيح. بولس، الذي أضلّهم ببدعه المعروفة: خطيئة آدم، والكفّارة، وابن الله، والإله المصلوب، والإله المدفون، والإله القائم من الأموات.. الخ. الذي نصّب نفسَه مكان المسيح، وادّعى أنّه الناطق الرسمي باسمه.

" وكذلك، نرى للأسف، كم ضلّوا باتّباعهم الكنيسة التي نصّبتْ من نفسها وريثةً للمسيح، زاعمةً لهم أنّه لا خلاص إلاّ على يديها، في الوقت الذي لا تستطيع فيه خلاصَ نفسَها من الموت الذي هو أبسط من خلاص طوائفها يوم الدينونة بكثير؛ فسلبتْ أموالهم بالخداع والتضليل، وباعتْهم صكوك الغفران التي صرفَ البابواتُ أموالَها على عشيقاتهم وشهواتهم الجنسيّة، وقتلوا الملايين في حروب لا طائل تحتها، وكل ذلك باسم المسيح...

" .. للّه درّك أيها المسيح! كأنّك كنتَ ترى، بعين نبوّتك الصادقة، شاؤولَ وقساوستَه اليهود الوثنيّين، وهم يندسّون في صفوف تلاميذك، ويلبسون مسوح دينك، ويتلوّنون بأقوالهم وأفعالهم في مجامعهم التي عقدوها ضدّك.. وحلّلوا ما حرّم اللّه من خمر وخنزير، وأبطلوا السبتَ والختان، بل وأكثر من ذلك... ولا عجب إن قلتَ لهم يومَ الدينونة: "مِن أين أتيتم؟ إذهبوا عنّي يا ملاعين.. ". مرّة أخرى للّه درّك أيها المسيح" (٧١٦-٧١٧).

* و"يبقى السؤال الكبير: هل تعرف كنيسةُ اليوم أنّ العناصر الأساسيّة في دينها مقتبسة من الوثنيّة؟!! وهل كنيسة اليوم تعرف ماذا يقول أبناءها (كذا) عن هذا الدين!؟ إنْ كانت تعرف وتسكت فتلك مصيبة، وإن كانت لا تعرف فالمصيبة أعظم، لأنّه يتعلّق بهذا الأمر المصيرُ الأبدي لبليون ومائتي ألف من الناس الذين سلّموا أمور دينهم لها...

" ومن مطالعاتي، أستطيع أن أجزم أنّ الكنائس الكبيرة تعلم هذه الحقائق تمام العلم، ولكنّها تُخفيها عن صغار قساوستها وأساقفتها لأسباب عدّة:

" أوّلها- أنّ أصحاب تلك الكنائس الكبيرة منتفعون. فالدين اليوم تجارة رائجة، معناها أرصدة ضخمة في البنوك..

" وثانيها- أنّ الثالوث، والفادي، والمخلّص، والأقنوم الثاني، والإله المدفون، والإله القائم من الأموات.. إلخ. قد روّجه غيرهم على الناس منذ آلاف السنين. والناس راضون قانعون بهم حتّى اليوم، فلماذا يوقظونهم من سباتهم الآن بعد عشرين قرنا!؟ إذ ماذا سيكون مصير الكنائس لو عرفت طوائفها أنّها كذبت عليها عشرين قرنا بهذه العقائد الوثنيّة، والتي بموجبها أرسلتْ آباءهم وأجدادهم إلى الجحيم!؟..

" وثالثها- لأنّ استمرار الكنائس في عقائدها الثالوثيّة يقدّم أكبر خدمة

لليهـود وللصـهيونيّـة العالميّة الذين يؤمنون بأنّ الجـنّة لهم طالما يقولون لا إله إلاّ اللّه ومـوسى رسـول اللّه، بينمـا غـيـرهم يقـول إنّ اللّه هو الأب والابن وروح القدس" (٨٨٧).

***

نقول:

ليست هذه الاستفاضة في وصف مساوئ المجتمع البشري لمصلحة السيّد أحمد زكي. وذلك لأسباب ثلاثة:

الأوّل– إنّ ما في "القارّتَين الأوروبيّـة والأميركيّة" من فـساد وشرور لا تتحمّلُ الكنيسةُ، ولا المسـيحيّة، مسؤوليّتَه.. بل لا تبرحُ الكنيـسةُ، بوسائلها كلّها، ترسمُ للقارّتَين وللعـالم كلّه خَطّاً الأخلاق النبيلة التي على كلٍّ إنسـانٍ أن يتجمّلَ بها. ولا تزال رسائل الـبابوات والأساقفة، والمجـامع الكنسيّة العامّـة والخاصّة، المسكونيّـة والمحلّيّـة.. توجّـه، وتعلّم، وتـقوّم، وتـندّد، وتؤنّب، وتبـدي نظريّات الكنيسة ومواقـفها من كلٍّ شاردة وواردة تحصل في العالم. فـالكنيسة هي "أمّ ومعلّمة"، وهي التي تواكبُ الانسانَ في تطوّره ورقيّه.

الثاني– ليس ما في العـالم الإسلامي –ونأسفُ لهذه المقـارنة التي دَفَعَنَا إليها السيّدُ زكي– أقلّ فساداً وشراً ممّا هو في "القارّتَين" وفي العالم. ونأسفُ أيضاً أن نقـول له –ولو همساً– بأنّ ما في الـعالم الإسلامي، وبالتحـديد العالم الإسلامي العـربي، من شرور ومفـاسد، يفوقُ أضعـافَ أضعـافَ مـا في العالم

الغربي برمّته. أيعمى عقلُه عن معرفة ذلك!؟ ألا يرى عصابات العنف والإرهاب، وجماعات السرقات والنّهب، وأبطال الكذب والدجل، وحارمي الإنسانَ من حقوقه وكرامته وحرّيتّه، وخاطفي لقمةَ العيش من فم الجياع.. هم من مجتمع السيّد زكي. وعددهم يفوقُ ما في العالم كلّه منهم!!! مرّة أخرى نأسف لهذا الكلام. ونحن نسوقه، لا شماتةً بالإنسان الذي فيه ما فيه من مفاسد أكان في القارّتَين أم في العالم الإسلامي العربيّ.

الثالث– لا يليق بالسيّد أحمد زكي بأن يتّهم الناسَ جملةً واعتباطاً. فلا البابوات، كلّ البابوات، كانوا أصحاب عشيقات وخليلات وأموال حرام. ولا الأساقفة، كلّ الأساقفة كانوا أساكفة، كما يقول. ولا الكنيسةُ، كلّ الكنيسة، حرّضتْ وتحرّضُ العالمَ على فعل الشرّ وارتكاب المعاصي. ولا القارّتان الأوروبيّة والأميركيّة، بما فيهما من بشر، هما مفسودتان إلى هذا القدر من الفساد... هذا كلامٌ عامّ، لا يجوز، بأيِّ حالٍ، أن يُطلقَ على الناس كلّهم...

وكلامي إلى السيّد أحمد زكي أن يختلي بنفسه، ويصلّي من أجل الذين استحوذ عليهم الشيطان، وسقطوا في تجاربيه. وعليه، إذا ما وجدَ إنساناً يرتكب معصيةً، أن يستره برداثه، ويحميه من الظالمين، ويسامحه على ما أتى به من معاصي. بهذا يكون السيّد أحمد إنساناً كبيراً محبّاً، ينالُ أجرَه من ربّه ضعفَين.

خاتمة الكتاب

أكثر ما تعرّض له السيّد أحمد زكي، من نقد ونقض وتجريح، في كتابه "إنزعوا قناعَ بولس عن وجه المسيح"، هو **الكنيسة**. يحمّلها مسؤوليّة تحريف الدين المسيحي كلّه. من تحريف الإنجيل، إلى تزوير المعتقدات، من القول بالثالوث، وألوهيّة المسيح، وصلبه وقيامته، إلى أمومة العذراء مريم، والخطيئة الأصليّة، إلى تعاليم في العماد، والقربان، والاعتراف للقسّيس، والزواج والطلاق، والصلوات على أنغام الموسيقى والأجراس، إلى ما هنالك من أمور لاهوتيّة وأخلاقيّة واجتماعيّة...

الكنيسة ومَن وراءها، مثل شاؤول اليهوديّ الفرّيسيّ المتهوّر، ألدّ أعداء المسيح؛ ومَن اتّبع خطى شاؤول، مثل المجامع الكنسيّة، وبخاصّة مجمعَي نيقية والقسطنطينيّة؛ ومَن يديرها، كالبابوات والأساقفة والقساوسة والشمامسة... هذه الكنيسة، بأطقمها هؤلاء، لا تمتّ إلى المسيح بصلة. لا هي تعلّم ما علّم، ولا هو أنشأها أو عرفَ اسمها أو متّعها بأيّ سلطان.

والكلام على موقف السيّد أحمد زكي من **الكنيسة**، ومن خلاله، على موقف المسلمين عامّة، خير ما نختتم به ردّنا. لقد توفّق السيّد زكي في تحديد المسؤوليّة ووضعها على الكنيسة. فهي في معتقدي تتحمّل المسؤوليّة كاملة. ولهذا، نأمل أن يكونَ ردُّنا مركّزاً، واضحاً وصادقاً، يتبيّن فيه مقصودَنا، نقول:

موقف المسلمين من **الكنيسة** موقف رافض: يرفضون وجودَها أصلاً. يرفضون انتسابَها إلى المسيح وعلاقتها به. يرفضون أهليّتَها في تعيين كتب الوحي، وفي تحديد العقائد. ويرفضون دورَها في سنّ القوانين والتشريع، وفي حقّها في إنشاء المؤسّسات والمنظّمات الدينيّة. ويرفضون، بنوع خاص، دورَها في خلاص الإنسان..

قد يحترمُ بعضُ المسلمين الكنيسةَ ورجالَها، لكونها مؤسّسةً إنسانيّةً، لها مكانتها في العالم. أمّا أن تكون الكنيسةُ "مكاناً للخلاص"، أو أن يكون لها دورٌ في تتميم ما جاء المسيحُ لأجله، أو أن يكون لها طابعٌ إلهيٌّ مميّز، أو أن يكون لها حقُّ التشريع وسنّ القوانين، أو أن تكون "سرّاً ظلَّ مكتوما في الله مدى الأزل، وقد كُشف الآن عنه" (رو ١٦/ ٢٥).. فهذه أمور يرفضونها رفضاً كاملاً.

وفي كلّ حال، الكنيسةُ، بمعناها اللاّهوتي الخلاصي هذا، لا وجود لها في القرآن. ولا اللفظةُ نفسُها موجودة. إلاّ لفظة "بيعة، مرّةً واحدة بصيغة الجمع "**بِيَع**"، في قوله: "ولولا دفعُ اللّهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لَهُدِّمَتْ صوامع (للرهبان)، وبِيَع (للنصارى)، وصلوات (لليهود)، ومساجد (للمسلمين)، يُذكَرُ فيها اسمُ اللّه كثيراً" (سورة الحج ٢٢/ ٤٠). ولكن، من الواضح هنا أن اللفظة تعني أمكنةَ عبادة. ولا تعني مفهوماً لاهوتيّاً معروفاً عند المسيحيّين، أي "جماعة المؤمنين بالمسيح"، أو "جسد المسيح السرّي"..

هذه الكنيسة، بمفهومها اللاّهوتي هذا، يجهلها الإسلامُ جهلاً تامّاً. وهي غير موجودة فيه، إطلاقاً... ولكن، هذا المجهول المطلق في الإسلام هو الفاعلُ المطلق في المسيحيّة. وحين يتكلّم المسلمون على الكنيسة، ينالون منها طعناً

ونقضـاً وتجريحاً.. وحين يتكلّم المسـيحيّون عـليها، فكأنّهم يتكلّمـون على المسيح نفسه؛ فيـقدّسونها، ويعتبـرونها امتداداً للتجسّد، واسـتكمالاً للخلاص.. ولو لم تكن الكنيسةُ هكذا، لـكنتُ "تساءلتُ مراراً عن مصيـر صلاتي وإيماني لو كانا ينبعثان منّي فقط" (اللاّهوتي المعاصر إيف كونغار).

هذه الكنيســة هي من تأسيس المسيح نفـسه. والمسيح أسّس كنيـسةً، ولم يؤسّس إلاّ كنيسةً، كنيسةً حيّةً تواكب الإنسانَ في تطوّره، لا تشريعاً جامداً منزلاً في كتاب؛ كنيسةً تشرّع لهذا العالم الذي تعـيشُ فيه، لا ديناً تتحكّمُ شريعتُه بكلّ العالـم؛ كنيســةً ترسمُ للبشـريّة نهجَ خلاص، لا ديناً يبـرمجُ البشــريّة ويصنّف الناسَ على نهج معـيّن؛ كنيسةً تقرّرُ هــي هويّةَ كتابِها المقـدّس، لا ديناً أُنزلَ عليه الكتابُ من عَلُ...

هذا، وإنّ "الكتاب المنزل" مــهدّدٌ دائماً بالإفلاس. وكلّ "كـتاب مُنزل" هو أمـام أحد الخطرَين: خطرِ أنْ تـتخطّاه المدنيّـات والحـضارات والعلوم، ويبـقى "الكتابُ المنزل" حيث هو، في جـموده؛ فلا يعودُ ينفعُ شيـئا. وخطرِ أنْ يتخطّى "الكتابُ المنزل" الإنسـانَ وظروفَه ومكانتَه، فيُـصبحُ بالتالي لكائنات غير بشريّة، لا تخضـعُ لأوضـاع بشريّة راهنة؛ فلا يـعودُ، والحالة هذه، من أجل الإنسان.. أمّا الكنيســة فجمالُهــا إنّها غيـر مقيّدة بشـريعة منزلة من فوق، وكـمالُها أنّها غـير متحجّرة، بل هي تتجدّد باستمرار، وتواكبُ الإنسانَ، وتحمل معه همَّ خلاصه.

أمّا المفهوم الإسـلامي الشامل للكنيسة فعبّر عنه مسلمون عديدون. وأجمعوا على أنّ الكنيســة هذه هي التي بدّلتْ وحرّفت دينَ المسيـح، وهي التي ضـيّعت، أو أخفت، الإنجيل الحقيقي المنزل على عيسى من السماء، وهي التي حدّدت العقائد،

وسنّت القوانين، ورسـمتِ الأنظمة، وعيّنت وسائل الخلاص والـهلاك، وانتحلت، بالنتيجـة، دورَ المسيح، ووضعت المسيحَ خلف ظهرهـا.. لهذا يمرّ في بال الشيخ حسن خالد، مفـتي الجمهوريّة اللّبنانيّة، بأن يقول: إنّ الكنيسـة "عقدتْ مجامعَ، واتّخذتْ من القرارات ما أضاف إلى النّصرانيّة ما لم يكن منها" (ص ٥٢٦).

هذا كلامٌ حقّ يراد فيه باطل: صحيح أنّ الكنيسة "اتّخذتْ من القرارات ما أضافَ إلى النّصرانيّة ما لم يكن منها"؛ ولكنّ الأصحّ أنّ الكنيسة هي هي نفسُها النّصرانيّة. أي ليس نصـرانيّة بدون كنيسة. وليس كنيسـة إنْ لم تتولَّ هي أمور النّصرانيّة. أعني بذلك، وللمرّة الألف، أنّ المـسيح أسّس كنيسةً، ولم يؤسّسْ ديناً. وأولى هذه الكنيسـة كلَّ سلطان. إنّـها، أي الـكنيـسة، وكـأنّـهـا مـوضـوع من موضوعـات إيمان المؤمنين. جاء في قانون الإيمان: "نؤمن بإلهٍ واحـدٍ آبٍ ضابطِ الكلّ.. ونؤمن بربٍّ واحدٍ يسوع المسيح.. ونؤمن بالروح القدس... ونؤمن بكنيسةٍ واحدةٍ جامعةٍ مقدّسةٍ رسوليّة"... وهل يجـدُ السيّد أحمد زكي عيباً في أن يلتزمَ المسيحيُّ بكنيسةٍ هي مجتمـعه الإيماني والخلاصي، في الوقت الذي لا يجدُ عيباً في انتماء الإنسان إلى أيّ مجتمع آخر!!

وكلمةٌ حقّ تقال: لقـد دعا السيّد أحمد زكي إلـى نزعِ القناع، فلبّينا دعوتَه، ونزعنا نصفَه. وبقي علينا نصفَـه الآخر..ولا نعلم متى يأتي "زكيٌّ" آخر، ويدعو دعوتَه، ويضطرّنا إلى نزع النصف الآخر! وعندئذ، يتاح لنا بأن نتخطّى كلَّ حاجز لنقول الحقيقـة مهما كانت صعبة. نقـول هذا، لأنْ لا شـيء، في اعتقادنا وإيماننا، يقف حائلاً بينَنا وبين قول الحقيقـة، مهما كانت النتائج، ولا شيء في الكون يعلو على محبّة الإنسان واحترامـه، ولو كان ذلك على حساب اللّه نفسه. فالطريق إلى اللّه، كما تعلّم المسيحيّة، ولا تعلّم إلاّ ذلك، هو الإنسان.

ونحنُ مستعدّون دائماً إلى أن نضحّي بكلّ شيء من أجل قول الحقيقة ومن أجل حرّيّة الإنسان وكرامته معاً. وفي إيماننا أيضاً بأنّ اللّهَ ليس في العبّ أو الجيب حتّى يتقاتلَ البشرُ بسببه؛ إنّما اللّهُ لا يزالُ غيرَ خاضعٍ لعقلِ أحدٍ من الناس مهما كان عبقرياً. اللّهُ، لكي يسلَمَ من البشر، لا يزال غامضاً، نبحثُ عنه باستمرار. وما يُقال أنّه وحي ليس هو إلاّ مرحلة من مراحل ذلك التقرّب الذي شاءه اللّه. وكم من المراحل لا تزال أمامَنا لنقطعها!

لهذا، كم يجملُ بالبشر أن يكمّلوا بعضهم بعضاً، وأن يُفيدَ الواحد الآخر، في البحث المستمرّ عن اللّه. وخصمنا الألدّ ليس هو الذي يناقض ويعارض، بل الذي يرفض وينغلق على ذاته، معتبراً الحقَّ كلَّ الحقِّ ملكَه. ولو قبِلَ المتديّنون مقولات خصومهم، لانجلتِ الحقيقةُ الإلهيّة أضعاف أضعاف ما هي عليه الآن! ولكنّ كبرياء المتديّنين هو السبب. وانغلاقهم على الآخرين سببٌ آخر. واللّه هو الخاسرُ الأكبر في هذين الشرّين، الكبرياء والانغلاق.

لو شاء اللّهُ أن يخلق البشر متشابهين، متآلفين، متماثلين، متوافقين، متّفقين.. لكان من هذا التشابه والتوافق شرّان: شرّ في أن يكون البشرُ، بالنسبة إلى بعضهم بعضاً، أرقاماً متشابهة في سلسلة؛ وشرٌّ في أن يكونَ اللّهُ فقيراً إلى درجة أنّه يوجِدُ كائناتٍ بعضَها مثل بعض، لا تكامل فيها ولا تنوّع.. والحال، أنّ الشرَّ الثاني يبدو غير صحيح إطلاقاً، لما نجد من تنوّع بين البشر يصلُ بهم حتّى التناقض والتقاتل. وهذا دليلٌ عظيم في غنى اللّه. والشرّ الأوّل حاصلٌ، ويا للأسف، بسبب أنّ الناسَ لا يقبلونَ غنى اللّهِ هذا.

نريدُ أن نقول: لو شاء اللّهُ لخلقَ البشر متّفقين، ولكنّه لم يشأ. يعني شاء

أن يكونوا مختلفين، أي متكاملين. بهـذا برهانٌ على غنى اللّه، وعلى أنّ الحقيقةَ لا تنكشفُ لأحـدٍ منهم إلاّ بالولادة العـسيـرة، والتناقضـات، وحتّى بالضـلالات.. أبوسعنا القول لمن يريد أن يسـمع: فليقبلِ الإنسانُ أخاه في ضـلاله، وليترك له مجالَ الدفاع عن ذاته، والتعبير عن مضامين صدره، والاعتراض على ما يحلو له الاعتراض عليه.. بهذا تغتني البشريّة، وتنجو من حروبٍ ومآسٍ لا حصر لها!!!

ألم يرتكب قايين في حقّ أخـيه هابيل جريمةً كـان اللّهُ سببَـها! فلمَ يستـمرُّ الإنسـان على الادّعاء بأنّه يدافع عن اللّهِ وحـقوق اللّه! لمَ تستمرُّ البشـريّة تتقاتل من أجل اللّه! إذا شـئنا أن نحـصرَ كـلامَنا، ونُعلن للقـارئ عن النصف الثـاني للقناع الذي نروم نزعَـه، فـإنّنا نقـولُ كلمـةً واحدةً، بعـد مـا طال الكلام، وهي "إنزعـوا الجهـادَ من أجل اللّه"، فتـسلمُ كرامـةُ الإنسانِ، ويعـود قايين الشـريد المضطهد إلى الفردوس.

نخشى أكثرما نخشى، ونحن نطبّق الجـهادَ على المخالفين، أن نسمعَ مجدّداً صوتَ اللّه لقايين: "ماذا فعلتَ بأخـيك؟". وكان من المنتظر أن يقول: "ماذا فعلتَ بي، فقـدّمتَ لي قرابينَ غـير لائقة بجـلالي؟!". ولكنّه لم يقل إلاّ ما قـال. وما كنّا لنقول ما نقول لو لم تكن، في كتاب السيّد أحمد زكي، صفحاتٌ سوداءُ جداً بحقّ الكرامة البشريّة.. ولو لم يمارس "المركز" جهـاداً من نوع آخر على كتاب السيّد زكي. أجل، والحمدُ للّه، "جـهادٌ على الكتاب" لا على "الكاتب". ونأسف ألاّ يكون الكتابُ سهلَ المنال ليكون ردُّنا عليه أسهل.

فهرس الكتاب

